سَيّدُ الوُجُوْد

نقض كتاب "وهم الإله" لريتشارد دوكنز

نَبْيلُ الكَرْخِيُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة:

يقول دوغلاس آدمز: (من الخطأ أن تظن أن بإمكانك حل مشكلة جوهرية بأساليب تافهة)! وجوهرة حقيقة وجود الخالق (عزَّ وجلَّ) لا يمكن للملحد ان يحاول طمسها باساليب تافهة ككتاب ريتشارد دوكنز (وهم الإله) الذي يحتوي في داخله اسباب اخفاقاته ! ولولا نسبة المبيعات العالية لهذا الكتاب (يقال انه باع منه ٣ ملايين نسخة) التي ربما تدل على سعة انتشاره ، لما التفتنا اليه لضحالته الفكرية. وهذا ليس رأينا وحدنا ، بل ان بعض مفكري الملحدين أيضاً يشعرون بالخجل من كتاب دوكنز ، فهذا الملحد مايكل روز M. Ruse يقول عنه: (جعلني اخجل من كوني ملحد)[١]! ومن الواضح ان المبيعات تعتمد على حجم الدعاية له ، وإلا فإنَّ من يقرأه مرّة ربما لن يدعو الاخرين لإقتنائه ! ويمكن أن أُشَخِّص أن اسوأ فكرتين في هذا الكتاب هو دعوته لرفع الوعي الانساني لتقبل دوراً للانتخاب الطبيعي في نشوء الكون وليس في التطور وحده ! والفكرة الثانية هي نظرية الميمات الفنطازية التي يروّج لها !

ربما لو اكتفى ريتشارد دوكنز Richard Dawkins بنقد الاديان السماوية لما اعتبرناه عدواً أو خصماً للتوحيد ، فالظاهر أنَّ الاديان السماوية الحقيقية بنقائها وأصالتها لم تعرض عليه او على غيره من الملحدين كما انزلها الله سبحانه وتعالى لكي تقام عليه الحجة. فالمعروض من الاديان السماوية هو ما تبقى منها بعد تحريفها وتشويهها وادخال متبنيات ومعارف بشرية عليها. ولكن بالمقابل فإن دوكنز لم يبذل جهداً للبحث في الاديان واكتشافها وتمحيص ما هو اصيل عمّا هو طاريء عليها، فهو نفسه يعترف بأنه لا يعرف شيئاً عن إله المسلمين، فقال:

"في الحقيقة لا اعرف الكثير عن الإله المذكور في القرآن"[٢]!

وهذا يعني انه لم يكلّف نفسه قراءة القرآن الكريم بترجمة معانيه الى اللغة الانكليزية رغم ان هناك العشرات من ترجماته متوفرة في الاسواق الامريكية والانكليزية. إذن لم يكن دوكنز في حقيقته طالب حق وحقيقة وبحث متزن بل كانت هناك دوافع نفسية في داخله تدفع به نحو الإلحاد.

---

[١] لقاء مع مايكل روز منشور في موقع اليوتيوب تحت عنوان: (ملحد يقول كتاب دوكنز جعلني أخجل من كوني ملحدا Atheist M. Ruse says Dawkins' book is an embarrassment).

[٢] حوارات سيدني / مجموعة حوارات لريتشارد دوكنز - ص١٠٨.

ومن جهة اخرى فإن فقدان المرء للثقة بالاديان لأي سبب من الاسباب لا يجب ان يدفعه نحو جحود وجود الخالق (تبارك وتعالى). فلابد ان هناك عوامل اخرى تضافرت مع ما ذكرناه ادت به الى ان جحود وجود الخالق جل وعلا ويتحول نحو الالحاد اليساري. فلا نعذر دوكنز لجحوده وجود الخالق (جلّ وعلا) ، لأن الحجة قائمة عليه ، ودلائل وجوده (سبحانه وتعالى) اوضح من أن تحتاج لأدلة معقدة سواء فيزيائية او فلسفية او غيرها. فهو (تعالى شأنه) موجود، ووجودنا يدلنا عليه. وجودنا هو اول ادلتنا عليه (عزَّ وجلَّ) كما ان وجودنا هو اول نِعَمِهِ (سبحانه وتعالى) علينا.

نعم ان الايمان بالله (جلَّ وعلا) بالنسبة للبشر اوضح واشد واوكد مما يمكن انكاره بالسطحية التي يلجأ اليها دوكنز والتطوريون. وفيما إذا كانت الاديان السماوية قد اصبحت بعد التغييرات التي طرأت عليها بتأثيرات بشرية غير قادرة على جذب البشر اليها فهذا لا يعني انه يجب ان يتحولوا الى ساحة الالحاد. فهناك اشخاص يؤكدون على وجود الخالق ويؤمنون به وان لم تجذبهم الاديان السماوية الحالية المحرفة في تكوينها او تطبيقها وأشهرها المسيحية واليهودية، حينما لا يتمكن الانسان من تمييز صحيحها من باطلها، وهؤلاء يطلق عليهم اسم الربوبيون. ويمكن ان نستشهد بشخصية اشهر الملحدين الراجعين لإعتناق الايمان بوجود الإله، وهو انطونيو فليو Antony Flew الذي اعلن اعتناقه الايمان بوجود الخالق وان لم يؤمن بأيٍ من الاديان السماوية بحسب المعروض منها عليه. وفي تقديري هو معذور في ذلك ، وحسابه على الله جلَّ وعلا فهو المطّلع على بواطن الامور، فنحن نعلم ان النسخة الحقيقية والصافية من الاسلام هي الاسلام المنتسب لآل البيت (عليهم السلام) ، والظاهر ان هذه النسخة النقية من الاسلام لم تعرض على انطونيو فليو ليؤمن بها او ليكون مذنباً إنْ لم يؤمن بها بعد ان تقوم الحجة عليه بها أي ان تعرض عليه عرضا كاملا نقياً سماوياً بدون الشوائب التي لحقته من قبيل التطبير او التصوف العرفاني الذي اخترق بعض اجنحته وجوانبه.

ومن المعلوم أنَّ دوكنز يؤمن بنسخة معدّلة من نظرية التطور هي الداروينية الجديدة والتي اصبح يطلق عليها فيما بعد اسم (التركيبية التطورية المعاصرة Modern Evolutionary Synthesis) او اختصاراً التركيبية المعاصرة. واليها ينتمي ايضاً الملحد دانييل دنيت والملحد جيري كوين. وهي تعتمد على عدة مباديء الى جانب الانتخاب الطبيعي منها الطفرة وتغيير التردد الجيني والتزاوج الداخلي والانعزال. وإننا في هذا الكتاب – إنْ شاء الله – لن نتناول الرد على النظرية التطورية بصورة تفصيلية ، فهناك عدة كتب اشبعوا هذه النظرية بحثاً ونقداً اغنتنا عن تكرار ما جاء فيها.

ان خطتنا في كتابنا هذا هو ابداء الملاحظات على الفقرات وفق تسلسل ورودها في كتاب دوكنز الذي ننقده ، ولذلك قد تكون المواضيع التي نذكرها غير متسلسلة الفكرة ، وهذا لا يضرنا ، لان

فكرتنا الاصلية واضحة وهي الايمان بالخالق جلَّ وعلا وتوحيده ، ومرادنا بيان تهافت افكار دوكنز الواردة في كتابه هذا وعدم جدارتها. وقد وجدنا في كتاب دوكنز هذا حشو كثير وكلام لا يمس الهدف الاصلي له، ولذلك اعرضنا عن الكثير جداً من فقراته والعديد من فصوله الحشوية.

وقبل ان نبدأ في نقد كتاب (وهم الاله) لريتشارد دوكنز ، نتوقع انه من حق القاريء الاطلاع على اهم ما في سيرة حياة ريتشارد دوكنز هذا الانسان الجاحد لنِعَمِ خالقه ...

"البروفيسور ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) هو عالم أحياء تطوّريّ ثيولوجي (خبير في علم السلوك الحيواني)، كما أنه كاتب معروف له كتب عديدة، ويُعدّ أشهر الملاحدة في العصر الحديث.

وُلِد عام ١٩٤١، والتحق بجامعة أوكسفورد (Oxford)، ليحصل على شهادة البكالوريوس منها في علم الحيوان، ثم الماجستير والدكتوراه من نفس الجامعة، واللذان أشرف عليهما عالم الإيثولوجيا نيكولاس تينبرغن (Nikolaas Tinbergen) الحاصل على جائزة نوبل(Nobel Prize) .

عمل أستاذًا مساعدًا في علم الحيوان بجامعة كاليفورنيا، بركلي (California, Berkeley) لمدة سنتين، ثم عاد بعد ذلك إلى إنجلترا ليعمل محاضرًا في جامعة أوكسفورد (Oxford) في علم الحيوان.

وعمل أستاذًا في قسم سيموني لإيصال العلوم إلى عوامّ الناس (Simonyi Professorship for the Public Understanding of Science)، وهو كرسيّ تم إنشاؤه لتحقيق عالميّة العلم، وإيصاله إلى كل الناس –من غير مبالغة– على اختلاف أفهامهم وتخصصاتهم.

وفي الوسط العلميّ عُرِف ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) بنظرية الجين الأناني التي تعيد صياغة نظرية داروين مرة أخرى في الانتخاب الطبيعي؛ حيث يرى في كتابه: (الجين الأناني[1976] The Selfish Gene) أنه لا يتكيف أيّ كائن ولا تتطوّرأيّ مجموعة، وإنما الشيء الذي يتطور ويتكيف هو الجينات الفرديّة.

يزعم ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) أن التطوّر لا يخدم أيّ هدف غير أنانيّ؛ فكلّ جهاز عضويّ حيّ في الجسد ما هو إلا آلة إنقاذيّة للجينات الخاصّة به فقط.

وفي نفس الكتاب هذّب ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) مفهوم الميم (meme)، (النظير الثقافي والسلوكي للتطوّر الجيني).

وعلى الرغم من أن الجين الأناني (The Selfish Gene) يعتبر أهمّ المفاهيم العلمية التي اشْتُهر بها ريتشارد دوْكينز(Richard Dawkins) ، فإن دوكينز قد عُرف أيضًا بنقده الحادّ للأديان المعاصرة وتجلياتها، ونقده الشديد لنظرية الخلق ورجالها.

يرى ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) أن نظريتي التطور والانتخاب الطبيعي كفيلتان بتفسير الكون من حولنا بطريقة أفضل من التفسير القائم على فكرة التصميم الذكيّ التي يتزعمها كائن اسمه الله!

ولقد ألهم الحقوقيّون من الشواذ ريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) بضرورة الدعوة إلى أن يخرج الملاحدة في مختلف بقاع الأرض؛ ليعلنوا إلحادهم ومعتقداتهم بكل استعلاء وفخر ومن غير خوف.

هذه الدعوة بلغت ذروتها عام ٢٠٠٧ عندما أنشأ (مؤسسة ريتشارد دوكينز للعقل والعلم)؛ لتزعّم هذه الحملة العالميّة.

وصف دوكينز (Dawkins) نفسه في مناظرته مع أسقف كانتربري روان ويليامز (Archbishop of Canterbury Rowan Williams) في فبراير عام ٢٠١٢ أنه لا (أدريّ(بدلاً من كلمة (ملحد)؛ لأنه كإنسان لا يمكن أن يتأكد بنسبة ١٠٠% أنه لا وجود لله بهذا الإطلاق.

ولقد حاول الكثيرون تفسير هذا التصريح حيث قالوا: إن ريتشارد دوْكينز(Richard Dawkins) قد عَدَل عن قضية الإلحاد إلى موقف أكثر حياديّة وميوعة، على الرغم من أنه قد أضاف – في نفس المناظرة – أنه يعطي القول بعدم وجود الله ٩,٦ درجة من ٧ درجات؛ لذا فيقينه الذاتيّ بعدم وجود الله يعادل هذه الدرجة.

وفي عام ٢٠١٠ نقل دوكينز حملته العالمية إلى الصحافة والتأليف ليتزعّمها الصحفيّ الراحل كريستوفر هيتشن (Christopher Hitchens)؛ للقبض على البابا بندكتوس السادس عشر (Pope Benedict XVI) بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

وكان الهدف من وراء هذه الحملة: الكشف عن الفضائح الجنسيّة التي يتعرّض لها الأطفال، والتي تورطت فيها الكنيسة الكاثولوكيّة في كثير من البلاد، وحاول البابا أن يتستّر عليها طبقًا لما قاله دوكينز وهيتشنز.

وريتشارد دوْكينز (Richard Dawkins) رجل غزير التصنيف، وقد تسلّم العديد من الجوائز لأعماله التي كتبها، ومن بين أشهر كتبه:

١- (الجين الأناني – The Selfish Gene) الكتاب الذي تُرجِم إلى أكثر من ٢٠ لغة.

٢- (صانع الساعات الأعمى – The Blind Watchmaker). الفائز بجائزة رويال سوسايتي للآداب، وجائزة لوس أنجلوس تايمز عام ١٩٨٧.

٣- (وهم الإله – The God Delusion). الكتاب الذي بيع منه أكثر من ٢ مليون نسخة في طبعته الإنجليزيّة فقط"[٣].

يقول د. عمرو شريف:

"نؤكد عن يقين أن نشأة الإلحاد وإنكار (اساسيات النظرة الدينية) لم تكن مشكلة علمية على الاطلاق ، بل مشكلة نفسية فلسفية"[٤].

وحيث ان نظرية التطور قد وضعها تشارلز داروين في كتابه (أصل الانواع)، فهناك ملاحظات نجد من المهم تبيانها للقاريء الكريم ليكون على بينة من أمره، اول ملاحظة هي ان داروين لم يدرس العلوم المرتبطة بنظريته دراسة اكاديمية، وفي مقدمتها البايولوجي (علم الاحياء) والجيولوجي (علم الارض)، بل اكتفى بالدراسة والتثقيف الذاتي فيما وصلت اليه يداه من مصادر في هذين العلمين المهمين! وهذا يعني انه لم يتلق دراسة نظامية اكاديمية بل كانت ثقافته البايولوجية والجيولوجية مبنية على المنهج الالتقاطي فيما يمكن ان يعثر عليه من مصادر وفيما يفهمه هو منها! وكل من كتب في سيرة حياة داروين ذكر فيها انه ولد في انگلترا England سنة ١٨٠٩م، ودرس الطب في جامعة "أدنبرة" في اسكتلدنا مدّة عامين (١٨٢٥-١٨٢٧) ولم يكمل دراسته التي انصرف عنها إلى الدراسات اللاهوتية في كلية المسيح في كامبريدج، ولكنه لم يكملها أيضاً، وفي سنة ١٨٣١م بدأت رحلته في السفينة بيگل "Beagle" والتي زار من خلالها شواطىء أميركا الجنوبية وأستراليا وأفريقيا، وكتب عن رحلته تحت عنوان "يوميات أبحاث في التاريخ الطبيعي

[٣] مقال بعنوان (مترجم: من أئمة الإلحاد (٣/١)) ، ترجمة عبده طلبة، منشور على الموقع الالكتروني (ساسة بوست sasapost).
[٤] رحلة عقل / عمرو شريف – ص١٨.

والجيولوجيا للبلاد التي زرناها على متن سفينة البيگل". وكانت مشاهداته في هذه الرحلة اساس ثقافته البايولوجية والجيولوجية التي انتجت نظرية التطور!

ولذلك نجد من المهم ان ننبّه على أنَّ داروين كتب اصل الانواع بالاعتماد على اسلوب المراقبة والمشاهدة والاستقراء، ولكنه ليس استقراءاً منطقياً قائماً على اسسٍ عقلية، بل هو استقراء بمعنى الاستنتاج لطبيعة الحدث المُشاهد او قد يكون استقراءاً ناقصاً في احسن الاحوال. ولا ننسى ان داروين لم يدرس العلوم التي قام بالتأليف فيها دراسة اكاديمية، وهي علوم الطبيعة natural وعلم طبقات الارض geology وعلم الاحياء biology، ولم يتخرج من اي جامعة متخصصة بالعلوم التي كتب فيها، حيث ان داروين دخل كلية الطب في جامعة ادنبرة ولم يتخرج منها!! فكتابه هو محاولة لتفسير ظهور الانواع تفسيراً استنتاجياً اكثر منه أن يكون تفسيراً علمياً. ويمكن ان نقول عنه انه استقراء حياتي وسلوكي. وهذه الطريقة لا تختلف عن اسلوب القدماء الذين كتبوا في عالم الحيوان والطبيعة والارض، فأصابوا في جانب واخفقوا في جوانب. فعلى سبيل المثال نجد ان علماء الكيمياء القدماء كانوا يعتمدون المشاهدة التي جعلتهم يقولون ان جميع ما في الكون يعود الى احد العناصر الاربعة: الماء والتراب والهواء والنار! ونحن اليوم بفضل تطور علم الكيمياء نعرف سذاجة هذه الفكرة، حيث ظهرت عشرات العناصر الكيمياوية واصبحت لنا معرفة باوزانها الذرية وطريقة تفاعلاتها مع العناصر الاخرى والظروف المطلوب تحققها لانجاح التفاعل إلخ...، وايضا من الامثلة التي تنطبق على نظرية داروين انه كان يظن من خلال منهجه في المشاهدة والتأملات والاستنباط بالاعتماد على الرأي! أن التمايزات التي تصبح صفات مكتسبة، تورث من جيل لآخر، وبنى على ذلك نظريته، الى ان جاء العالم مندل بنظريته عن الوراثة التي بينت ان الصفات المكتسبة لا تورث واصبحت نظرية داروين في وضع لا تحسد عليه.

اذن، كانت نظرية داروين نتاج لمرحلة البساطة والسذاجة في الوسائل العلمية، ولكنها لظروف معينة، بعيدة عن العلم، اصبح لها قبول في المؤسسات والمعاهد العلمية رغم الثغرات المهمة التي تكتنفها ورغم ان صاحبها ليس لديه اي دراسة او لقب علمي بل ولم يتناول الدراسة البايولوجية الخاصة بالتطور بمنهج علمي اكاديمي !! ولذلك ظهرت فكرة الانتخاب الطبيعي التي لم يمكن اقامة دليل على صحتها أو معقوليتها سوى بعض الافتراضات القائمة على مشاهدات!

ومن المهم أيضاً قبل ان نبدأ بنقد فصول كتاب دوكنز ان نسلط الضور على الاختلاف في مفهوم الانتخاب الطبيعي بين داروين ودوكنز من اجل ان نعمق فهم مطالب دوكنز في كتابه هذان وهذا لا يعني ان الانتخاب الطبيعي الذي جاء به داروين صحيح بل يعني انه رغم ان ما جاء به داروين هو شيء غير علمي ولم يثبت في الواقع، إلا أن ما اضافه دوكنز وطوره في مفهوم الانتخاب

الطبيعي إنما زاده بعداً عن العلم والواقعية. وفيما يلي نستعرض بعض النصوص من كتاب (أصل الانواع) يبين فيها داروين مفهومه للانتخاب الطبيعي. يقول:

"(الكفاح من اجل البقاء) فيما بين جميع الكائنات العضوية في جميع أنحاء العالم والذي لا مناص من أنه تابع للمتوالية الهندسية العالية لتزايد أعدادهم. وهذا هو مبدأ (مالثوس) Malthus المطبق على كل الممالك الحيوانية والنباتية. وبما ان عدد الذين يولدون من كل نوع هو أكبر من ان يعيش ، وبما انه بالتالي ، هناك صراع يتكرر كثيراً من أجل البقاء ، فالذي يحدث بعد ذلك هو: لو أن أي كائن تمايز بأي قدر بسيط ، وبأي وسيلة مفيدة له ، تحت تأثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير ، فسوف تكون له فرصة أفضل للأستمرار في الحياة ، وبالتالي سوف يتم انتقاؤه طبيعياً ، وبناءاً على المبدأ القوي للوراثة ، فإن أي ضرب منتقى سيميل الى الاكثار من شكله الجديد والمعدل"[٥].

"إن الانتقاء الطبيعي يسبب بصورة لا مناص منها تقريباً الكثير من الاندثار لأشكال الحياة الاقل تحسناً ، ويؤدي الى ما قد اطلقت عليه (تشعب الطابع)"[٦].

"انا مقتنع بأن الانتقاء الطبيعي قد كان الوسيلة الاكثر اهمية ، ولكنه ليس الوسيلة الوحيدة للتعديل"[٧].

"يؤثر الكفاح من اجل البقاء على الانتقاء الطبيعي"[٨].

"التنازع من اجل البقاء نتيجة حتمية للمعدل العالي للزيادة التي تميل إليه جميع الكائناتت العضوية"... "لا يمكن ان يكون هناك أي زيادة مصطنعة في الغذاء، ولا كبح متعقل عن التزاوج"[٩].

"ان كل فرد من الكائنات العضوية قد يقال عنه أنه يبذل قصارى جهده للزيادة في العدد"[١٠].

"هل نستطيع ان نرتاب (مع تذكر أن عدد الافراد الذين يولدون أكبر بكثير من العدد الذي يمكن ان يعيش) في أن الافراد التي لديها أي ميزة ، مهما تكن بسيطة ، عن الاخرى ، سوف يكون لديها أحسن فرصة للبقاء على قيد الحياة وعلى زيادة أنسال صنفها؟ – وعلى الجانب الآخر ، فقد نشعر بالثقة في أن أي تمايز مضر بأي درجة

[٥] أصل الانواع / تشارلس داروين / ترجمة مجدي محمود المليجي – ص٦٨.
[٦] المصدر السابق – ص٦٩.
[٧] المصدر السابق – ص٧٠.
[٨] المصدر السابق – ص١٤٦.
[٩] المصدر السابق – ص١٤٩.
[١٠] المصدر السابق – ص١٥٣.

قليلة سوف يتم تدميره بصرامة. وهذا الحفاظ على الاختلافات والتمايزات الفردية المواتية ، والتدمير للاختلافات والتمايزات الفردية الضارة ، قد اطلق عليه مصطلح (الانتقاء الطبيعي) أو (البقاء للأصلح). والتمايزات التي ليست مفيدة أو ضارة لن تتأثر بالانتقاء الطبيعي ، وسوف يتم إهمالها إما كعامل متقلب ، كما هو من المحتمل أن نراه في بعض الانواع المتعددة الاشكال ، أو سوف تصبح في النهاية ثابتة ، وذلك يعتمد على طبيعة الكائن وطبيعة الظروف"[١١].

"العديد من الكتاب قد اخطأوا الفهم أو اعترضوا على مصطلح (الانتقاء الطبيعي) وبعضهم وصل الى انه تخيل ان الانتقاء الطبيعي يسبب التمايز[١٢] ، مع انه لا يتضمن الا الحفاظ فقط على مثل هذه التمايزات كما تظهر"[١٣].

"وقد اعترض آخرون على ان المصطلح (انتقاء) يلمح الى الاختيار المتعمد للحيوانات التي تصبح معدلة ، وحتى ان الجدال قد تطرق الى أنه بما ان النباتات ليس لها ارادة فإن الانتقاء الطبيعي غير قابل للتطبيق عليها ! – ولا شك في أن الانتقاء الطبيعي مصطلح زائف ، ولكن على الاطلاق قد أعترض على الكيميائيين عندما يتكلمون عن القابليات الاختيارية للعناصر المختلفة – ومع ذلك فإنه من غير المستطاع ان يقال إن احد الاحماض قد اختار القاعدة التي يفضل أن يتحد بها. وقد سبق ان قيل اني اتحدث عن الانتقاء الطبيعي وكأنه قوة فعالة أو (إله) ، ولكن من الذي يقوم بالاعتراض على مؤلف يتحدث عن التقارب بالجاذبية على أساس انه المسيطر على حركات الكواكب؟ – كل إنسان يعلم ما الذي يعنيه أو ما الذي ينطوي عليه استخدام مثل هذه التعبيرات المجازية ، وهذه التعبيرات غالباً ما تكون ضرورية بغرض الايجاز. وهكذا للمرة الثانية فإنه من الصعب تجنب تجسيد كلمة (طبيعة) ، ولكني أعني فقط بكلمة (طبيعة) المفعول الاجمالي والنتيجة للكثير من القوانين الطبيعية ن واعني بكلمة (قوانين) تعاقب الاحداث كما تم التحقق منها بواسطتنا. ومع القليل من الالفة والاعتياد فإن مثل هذه الاعتراضات السطحية سوف تجحد طريقها للنسيان"[١٤].

"الانتقاء الطبيعي سوف يلغي الايمان بالخلق المستمر لكائنات عضوية جديدة، أو بحدوث أي تعديل كبير ومفاجيء في تركيبها"[١٥].

---

[١١] اصل الانواع / داروين – ص١٧٠ و ١٧١.
[١٢] والظاهر من عبارات دوكنز في كتابه انه احد الذين افتهموا "الانتقاء الطبيعي" بصورة خاطئة بنفس الطريقة التي نبه داروين على خطأها !
[١٣] المصدر السابق – ص١٧١.
[١٤] المصدر السابق – ص١٧١.
[١٥] المصدر السابق – ص١٩١.

"وعلى الرغم من ان الطبيعة تمنح فترات طويلة من الزمن للانتقاء الطبيعي للقيام بعمله، فإنها لا تمنح فترة لا نهائية: وذلك لأنه بما أن جميع الكائنات العضوية تسعى للاستحواذ على كل من الاماكن الموجودة في منظومة الطبيعة، وإذا لم يقم أي واحد من الانواع بإدخال تعديلات أو تحسينات بدرجة متطابقة مع منافسيه فإنه سوف يستأصل"[١٦].

"انا مقتنع تماماً بأن الانتقاء الطبيعي يعمل عادة ببطء شديد. وهو يستطيع أن يعمل فقط عندما يكون هناك أماكن في التشكيل الطبيعي لإحدى المناطق من الممكن أن تشغل بشكل أفضل بواسطة التعديل لبعض من القاطنين الموجودين فيها. والتواجد لمثل هذه الاماكن سوف يكون في الغالب معتمداً على التغييرات المادية ، التي تحدث في العادة ببطء شديد ، وعلى المنع لهجرة الاشكال المتكيفة بشكل أفضل. وبما ان البعض القليل من القاطنين القدامى قد أصبح معدلاً ، فإن العلاقات المتبادلة للآخرين سوف تضطرب غالباً ، وهذا من شأنه أن يخلق أماكن جديدة ن مستعدة لأن تمتليء بواسطة أشكال متكيفة بشكل أفضل ، ولكن كل هذا سوف يحدث بمنتهى البطء"[١٧].

"فالانتقاء الطبيعي يعمل ببطء من خلال الحفاظ على التمايزات المفيدة بطريقى ما، وبالتالي تصبح ثابتة"[١٨]!

"الانتقاء الطبيعي يعمل على وجه الحصر عن طريق الاحتفاظ والتكديس للتمايزات، التي هي مفيدة تحت الظروف العضوية وغير العضوية التي يتعرض لها كل كائن حي في جميع فترات الحياة، والنتيجة النهائية أن كل من الكائنات يميل الى أن يصبح أكثر فأكثر تحسناً بالنسبة الى ظروفه، وهذا التحسن يقود بالضرورة الى التقدم التدريجي في التعضية الخاصة بالعدد الاكبر من الكائنات الحية في جميع انحاء العالم"[١٩].

"وهذا المبدأ الخاص بالحفاظ أو البقاء للأصلح، فأنا قد اطلقت عليه اسم الانتقاء الطبيعي، وهو يؤدي الى تحسين كل كائن فيما يتعلق بظروف حياته العضوية وغير العضوية"[٢٠].

"فأنا اؤمن بأن الانتقاء الطبيعي سوف يميل على المدى البعيد الى اختزال أي جزء من التعضية، بمجرد أن يصبح، من خلال السلوكيات المتغيرة عديم الفائدة"[٢١].

---

[١٦] اصل الانواع / داروين – ص١٩٩.
[١٧] المصدر السابق – ص٢٠٥.
[١٨] المصدر السابق – ص٢٠٦.
[١٩] المصدر السابق – ص٢٢٥.
[٢٠] المصدر السابق – ص٢٣٤.
[٢١] المصدر السابق – ص٢٦٠.

"ان الانتقاء الطبيعي يعمل بشكل كلي عن طريق الاختفاظ بالتعديلات المفيدة"[٢٢].

"ان الانتقاء الطبيعي – عاملاً من أجل ما هو صالح لكل من الكائنات، ومنتهزاً الفرصة الموجودة في جميع التمايزات المفيدة"[٢٣].

"ان الانتقاء الطبيعي يعمل عن طريق الحياة والموت – وعن طريق البقاء للاصلح وعن طريق الابادة للأفراد الأقل في الصلاحية التامة"[٢٤].

"الانتقاء الطبيعي يميل فقط الى ان يجعل كل كائن متعضياً على نفس الدرجة من الكمال، أو على درجة من الكمال أعلى بشكل بسيط"[٢٥].

"عملية الانتقاء الطبيعي دائماً بطيئة جداً، وهي عند أي وقت محدد تؤثر فقط على أشكال قليلة، وجزئياً لأن نفس عملية الانتقاء الطبيعي تقتضي الإحلال والإنقراض المستمر للتدرجات السابقة والمتوسطة"[٢٦].

"لن يكون من الضروري للانتقاء الطبيعي أن يؤدي الى حد الكمال المطلق، ولا يمكن حسب قدرتنا على الحكم على الاشياء بواسطة قدراتنا المحددة، التنبؤ في كل مكان بالكمال المطلق"[٢٧].

"الانتقاء الطبيعي يعمل إما عن طريق التكييف الحالي للأجزاء المتمايزة في كل كائن على ظروف الحياة العضوية وغير العضوية الخاصة به، أو عن طريق القيام بتكييفهما في أثناء العهود السابقة من الزمن"[٢٨].

"الانتقاء الطبيعي هو عملية بطيئة، ونفس الظروف الملائمة يجب ان تستمر لفترة طويلة"[٢٩].

"اصبحت الغرائز في البيئة الطبيعية معدلة عن طريق الانتقاء"[٣٠].

""ان الانتقاء الطبيعي يعمل فقط عن طريق التكديس للتعديلات الطفيفة في التركيب أو الغريزة"[٣١].

---

[٢٢] اصل الانواع / داروين – ص٢٨٧.
[٢٣] المصدر السابق – ص٣١٩.
[٢٤] المصدر السابق – ص٣٢٦.
[٢٥] المصدر السابق – ص٣٣٧.
[٢٦] المصدر السابق – ص٣٣٩.
[٢٧] المصدر السابق – ص٣٤٢.
[٢٨] المصدر السابق – ص٣٤٣.
[٢٩] المصدر السابق – ص٣٦٦.
[٣٠] المصدر السابق – ص٤١٥.
[٣١] المصدر السابق – ص٤٣٨.

"نحن لا نستطيع ان نخمن إذا ما كانت الغريزة أم التركيب هي التي قد اختلفت أولاً"[٣٢].

"يقوم الانتقاء الطبيعي بالتكديس الى أي مدى، للتغييرات البسيطة في الغريزة التي قد تكون مفيدة بأي طريقة"[٣٣].

"ان القانون الخاص بالتاريخ الطبيعي ونصه (الطبيعة لا تسمح بالطفرة) ينطبق على الغرائز مثلما ينطبق على البنية الجسدية"[٣٤].

"ان الاعضاء الجسدية والغرائز الاكثر اكتمالاً، لم تصل الى ذلك عن طريق وسائل أفضل من – ولو انها متناظرة مع – التفكير الانساني، ولكن ان ذلك قد تم عن طريق التراكم لتمايزات بسيطة لا تحصى، كل منها مفيد للفرد الحائز عليها"[٣٥].

"ان السجل الجيولوجي غير مكتمل بشكل كبير جداً عما يعتقد فيه معظم علماء الجيولوجيا"[٣٦]... "اذا اعترفنا بأن السجل الجيولوجي غير مكتمل بدرجة مفرطة، فحينئذٍ تصبح الحقائق التي يقدمها لنا هذا السجل، مؤيدة بشكل قوي للنظرية الخاصة بالنشوء مع التعديل"[٣٧].

""ان الانتقاء الطبيعي يؤثر بشكل منفرد عن طريق تكديس التمايزات البسيطة والمتتابعة والمواتية، فإنه لا يستطيع أن ينتج أي تعديل عظيم أو مفاجيء ولكنه يستطيع أن يعمل فقط عن طريق خطوات قصيرة وبطيئة. ومن ثم، فإن الشريعة الخاصة بأن (الطبيعة لا تقبل الطفرة) والتي تميل كل إضافة جديدة في معارفنا الى تأكيدها، تصبح مفهومة بناء على هذه النظرية"[٣٨].

إذن يقوم مفهوم داروين عن الانتخاب (الانتقاء) الطبيعي Natural Selection على وجود تمايز في الكائن الحي لأي سبب من الاسباب، فيظهر دور الانتخاب الطبيعي في الحفاظ على ذلك التمايز، ومن ثم تراكمه عبر السنين الطويلة جداً.

بينما يقول دوكنز مبيناً فكرته عن الانتخاب الطبيعي:

---

[٣٢] اصل الانواع / داروين – ص٤٤٢.
[٣٣] المصدر السابق – ص٤٥٠.
[٣٤] المصدر السابق – ص٤٥٠.
[٣٥] المصدر السابق – ص٧٤٨.
[٣٦] المصدر السابق – ص٧٥٣.
[٣٧] المصدر السابق – ص٧٦٧.
[٣٨] المصدر السابق – ص٧٦١.

"على الرغم من أن نظرية الانتخاب الطبيعي محصورة بتفسير العالم الحي فإن باستطاعتها أن ترفع مستوى الوعي للإدراك والقابلية للمقارنة عندنا مما يساعد على فهم الكون نفسه"[٣٩].

فدوكنز يتصور ان الانتخاب الطبيعي قادر على اداء فعل ما! بحيث يريد استثماره لرفع مستوى الوعي لفهم الكون، وهو يقصد فهم اصل الكون ومصدره !! وفات دوكنز ان الانتخاب الطبيعي لا يقدم شيء سوى الحفاظ على التمايزات فليس هو مصدر التمايز، بحسب فهم داروين.

وقال دوكنز:

"الانتخاب الطبيعي ، تلك العملية الاتوماتيكية العمياء غير الواعية التي اكتشفها داروين والتي نعرف الآن أنها تفسر بيولوجيا الحياة ، فليس له عقل فيه هدف. إنّه بلا عقل ، وبلا عين لعقل ، وهو لا يخطط للمستقبل ، وليس له رؤية ، ولا بصيرة للأمام ، ولا بصر على الاطلاق ، وإذا كان من الممكن أن يقال عنه أنه يلعب دور صانع الساعات في الطبيعة فهو صانع ساعات (أعمى)"[٤٠].

"الانتخاب الطبيعي هو صانع ساعات اعمى اعمى لأنه لا يرى اماماً ، ولا يخطط النتائج ، وليس له هدف يراه. على ان النتائج الحية للانتخاب الطبيعي تحدث فينا انطباعاً دامغاً بأن فيه مظهر للتصميم والتخطيط"[٤١].

"وعلى الرغم من ان الداروينية لا تتعلق بشكل مباشر بعالم الأشياء الجامدة، كعلم الكون مثلاً، فإنها ترفع مستوى الوعي عندنا خارج نطاق مجالاتها المحصورة بالبيولوجيا"[٤٢].

"لو كنتَ تظن بأن الصدفة هي البديل الوحيد للتصميم، فالاجابة لا" ... "التصميم ليس البديل الوحيد للصدفة. الانتخاب الطبيعي هو البديل الافضل"[٤٣].

وضمن نفس الاطار نجد أن هوكينغ ومالدينوف (من الفيزيائيين الملحدين) يقولان وهما يتحدثان عن البحث عن النظرية الفيزياوية الموحدة التي تجمع القوى الفيزيائية الرئيسية الاربعة (النووية

[٣٩] وهم الاله / دوكنز – ص٥.
[٤٠] صانع الساعات الاعمى / دوكنز – ص٢٦.
[٤١] الجديد في الانتخاب الطبيعي / ريتشارد دوكنز – ص٤٥.
[٤٢] وهم الاله / دوكنز – ص١١٥.
[٤٣] المصدر السابق – ص١٢٢.

القوية والنووية الضعيفة والجاذبية والكهرومغناطيسية) أن الانتخاب الطبيعي سيقود البحث العلمي نحو تحقيق نتائج صحيحة في سبيل اكتشاف النظرية المطلوبة !!!

"بعد ملاحظة أن العالم يتطور بطريقة منتظمة فإننا قد نتوقع أن المقدرات المتميّزة التي ظهرت نتيجة للانتخاب الطبيعي قد تكون صالحة كذلك في بحثنا عن النظرية الموحدة الشاملة، وهكذا قد لا تؤدي بنا الى نتائج غير صحيحة"[٤٤].

فليس المقصود من هذا النص ان الانتخاب الطبيعي هو الذي ينتج المقدرات المتميزة، بل هو يحافظ عليها فقط، وفقاً لفهم داروين للانتخاب الطبيعي. ولذلك فإنَّ ادخال النص لمفهوم (الانتخاب الطبيعي) لا مكان له في هدف البحث عن النظرية الموحدة الشاملة، إنما هو قد يكون نوع من التدليس لإضفاء بعض الاهمية لمفهوم الانتخاب الطبيعي. ويقول هوكينغ أيضاً ضمن نفس الإطار:

"فإن لنا أن نتوقع أن القدرات العقلية التي أتاحها لنا الانتخاب الطبيعي ستكون أيضاً صالحة في بحثنا عن نظرية كاملة موحَّدة، وهكذا فإنها لن تؤدي بنا إلى الاستنتاجات الخطأ"[٤٥]!

ونحن في كتابنا هذا ونحن نفنّد افكار دوكنز ونبين تهافتها ينبغي التنبيه على ان كتابه مكون من عشرة فصول، الفصول الاربعة الاولى فقط تتحدث عن وجود الإله بينما الستة الاخرى تنتقد الدين. ولذلك فقد اكتفينا في ردنا على ها الكتاب بالرد على الفصول الاربعة الاولى، وايضا شملنا الفصل الخامس بالرد كنموذج لبيان لتهافت افكار دوكنز في موضوع الاديان. ولسنا متحمسين للرد على باقي الكتاب لأن المهم هو إثبات وجود الإله، وبعد ذلك فإننا نعلم ان العقل يحكم انه اذا كان الإله قد خلقنا فهو عليم حكيم قدير، ولذلك لا يمكن ان يصدر عنه العبث ولا يمكن ان يخلقنا ويتركنا على غير هدىً. فيصبح الدين ضرورة حتمية لكي يسير الانسان وفق المنهج الذي يريده الله سبحانه وتعالى منه في ضوء ان الانسان غير مسيّر في افعاله بل يملك زمام نفسه.

بقيتْ نقطة واحدة نرى من الواجب التنبيه عليها قبل استئناف كتابنا هذا وهو ان الترجمة العربية لكتاب (وهم الاله) لدوكنز استعملت اسم الجلالة (الله) سبحانه وتعالى ، بينما دوكنز في النسخة الانجليزية الاصلية لم يستعملها وإنما استعمل لفظ (God) أي (إله) وليس (Allah) الذي يعني

[٤٤] تاريخ أكثر إيجازاً للزمن / ستيفن هوكينغ وليونرد ملوندينوف – ص٢٧.
[٤٥] تاريخ موجز للزمان / ستيفن هوكينغ – ص٤٠.

(الله) تبارك وتعالى ، ولذلك فإننا في أي نص للترجمة العربية لهذا الكتاب سنستخدم لفظ (إله) وليس (الله) جلَّ جلاله. فلا يتهمنا أحد بتحريف الترجمة جهلا منه!

المؤلف

بغداد ١٥/٧/٢٠١٨م

دوكنز واهدائه لكتابه ... عبارة الملحد دوغلاس آدمز:

اهدى دوكنز كتابه "وهم الاله" لذكرى الملحد دوغلاس آدمز (١٩٥٢– ٢٠٠١) وقوله:

(الا يكفي النظر لروعة الحديقة وجمالها لماذا يجب علينا الاعتقاد ان هناك جنيات خلفها ايضاً؟!)[٤٦].

ويبالغ مترجم الكتاب الى العربية بسام البغدادي ليصف هذه المقولة بقوله:

(هي اشبه برصاصة الرحمة لكل افكار الايمان الغيبي. يتسائل الكاتب معنا اذا كانت هناك حاجة حقيقية للايمان بالغيبيات كي ندرك جمال الواقع كما هو ونعيش فيه؟ الا يكفي جمال الطبيعة وروعة الحياة كما هي دون الحاجة لمكياج الايمان المليء بعفاريت مرعبة وشخصوص غابرة وأشباح لا احد يعرف عنها شيء سوى ما توارثناه من ناس بدورهم لم يعرفوا عنها شيء ايضاً؟ الا تكفي روعة الجسد دون الحاجة للاعتقاد بأن هناك روح تعيش فيه ؟ ثم ينتقل المؤلف ليصف لنا بوضوح ومن دون رتوش صفات الذات الالهية كما نقرأ عنها في الاديان الابراهيمية)[٤٧].

ومن المؤسف ان ينطلق هذا الكلام من اشخاص يظهرون انفسهم بمظهر التبني للمواقف العلمية التجريبية وانه اساس التقدم والحضارة ! فيتوقفون عند الجمال بحدوده الخارجية دون محاولة لاقتحام خفاياه العلمية وفلسفته ، فلماذا تكون الاشياء جميلة ولماذا يختلف تقييم الجمال من شخص لآخر ، وكيف تؤثر البيئة الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل الجمال واختلاف النظر اليه. فمن المؤسف انه يبحث عن جمال عقيم بلا حكمة. يريد ان يكتفي بجمال بلا علم وبلا فلسفة ! يريد ان يهمل فلسفة الجمال (Aesthetics) التي شغلت العقل الانساني واحتلت مساحات واسعة من تفكير البشر والفلاسفة خاصة وفي مقدمتهم جورجياس وفيثاغورس وسقراط. وفلسفة الجمال هي فرع من علم القيم (Axiology) والذي يشمل ايضاً علم المنطق وعلم الاخلاق. نعم التفكير في الجمال وما خلف الجمال ومن خلق الجمال وكيف ينشأ ضده يسحبك الى ساحة الايمان التي لا يريد دوغلاس آدمز ولا ريتشارد دوكنز الانجرار اليها ، ولذلك فهما يريدان جمالاً بلا حكمة وبلا تفكر. فالتفكر العميق يقودك نحو الايمان. ان عبارة دوغلاس آدمز المذكورة والتي افتتح دوكنز بها كتابه هي عبارة سطحية وهشة جداً ، ولا تليق بعمل يراد له ان يتحدى الله سبحانه وتعالى من داخل ملكوته

---

[٤٦] وهم الإله / ريتشارد دوكنز – ص٣.
[٤٧] المصدر السابق – مقدمة المترجم ص٢.

!! ولعل القاريء لا يعرف شيئا عن دوغلاس آدمز هذا الذي جعل دوكنز كلامه مفتتحاً لكتابه الجحود ، فننقل ما مذكور في الموقع الالكتروني (ويكيبيديا الموسوعة الحرة) عنه حيث جاء فيها:

(دوغلاس نويل آدمز بالانجليزية:Douglas Noël Adams. (عاش بين١١ مارس ١٩٥٢ – ١١ مايو ٢٠٠١) وهو روائي بريطاني وكاتب درامي إذاعى وموسيقار هاوي. من أشهر أعماله سلسلة روايات دليل المسافر للمجرة (The Hitchhiker's Guide to the Galaxy) والتي بدأت كمسلسل إذاعى وتطورت فيما بعد لسلسلة روايات من خمس أجزاء (بيع منها أكثر من خمسين مليون نسخة أثناء حياته) وحولت إلى مسلسل تلفزيوني مبني على القصة وكتاب قصص مصورة ولعبة كمبيوتر وأخيرا فيلم سينمائي اكتمل بعد وفاته)!

هذا هو ، كاتب درامي اذاعي ، يريد دوكنز باستعارة كلامه ان يتحدى الله (تعالى عمّا يصفون) !!! ما أشد حِلمك يا إلهي.

بل نجد أن دوكنز يناقض نفسه حيث نجده يقول في موضع آخر من هذا الكتاب:

"أن معرفتنا لأسباب تكون قوس قزح لا يقلل ذلك من روعته وجماله ، هذا هو العلم"[٤٨].

وهو بهذه العبارة ينسف كلام دوغلاس آدمز من أساسه لأنه يعني اننا لا يجب ان نترك البحث في اسباب تكون قوس قزح نظراً لجماله !

[٤٨] وهم الاله / دوكنز – ص١٦.

مقدمة كتابه

تنميق دوكنز للالفاظ:

يحاول دوكنز تجميل موقف الالحاد والملحدين فيصفهم بقوله:

. (الالحاد مصحوباً باستقلالية صحية للعقل وأبداع عليه تفكير بناء).

. الملحدون (معتادون على التفكير المستقل).

. الملحدون معتادون على (عدم الانصياع لأي نوع من السلطات الفكرية).

. نقاش الملحدين نقاش عقلاني!

. عقول الملحدين (عقول نيرة)!

هكذا يحاول تجميل الالحاد! فأي عقول نيرة تلك وأي نقاش عقلاني ذلك الذي ينتهي للايمان بوهم واسطورة اسمها (الانتخاب الطبيعي)! ، فدوكنز نفسه يقول عنه انه صانع اعمى بلا هدف بينما داروين يقول انه ليس بصانع انما يحافظ على ما يُصنَع. وبين اوهام الصانع الاعمى واوهام المحافظ على المصنوع ضاعت الحقيقة! فلا صانع اعمى ولا محافظ على المصنوعات، انما هي اوهام الملحدين تترى!

بين العقل العلمي والعقل الديني:

يحاول دوكنز ان يعتبر ان التفوق هو للعقل العلمي وبالتالي فان من يرتقي مرتبة عالية في المجال العلمي يكون هو المعيار في تحديد صحة الخيارات الفكرية والدينية التي يتبناها!

يتصور دوكنز انه اذا كان هناك معتنقون لدين الالحاد ويتبوأون مناصب علمية متقدمة فهذا يعطي زخماً تأكيدياً على صحة خيارهم في اعتناق الالحاد !! فاستشهد في كتابه بمقولة جون ستيوارت:

(من المحتم أنها ستكون صدمة هائلة لو عرف العالم كم هي نسبة المشككين في الدين بين الحاصلين على أعلى الاوسمة لتميزهم اللامع في مجالات العلم والفكر) ، ثم يضيف

دوكنز: (من المؤكد ان هذه المقولة تصلح أكثر في ايامنا هذه بدون أي شك ولدي الادلة والبراهين على ذلك)[٤٩].

وقد فات دوكنز ان هناك درجات علمية متقدمة لاشخاص يعتنقون الهندوسية والبوذية. علماء بدرجة بروفيسور وعقيدته عبادة البقرة أو الصنم ، فهل نقول ان درجته العلمية يمكن ان تكون مبرراً كافياً على صحة عقيدته !! ما هكذا تورد الابل يا دوكنز.

ونحن ننفي اسلوب دوكنز لا من باب الضعف لعدم وجود علماء مؤمنين بل هناك منهم اكثر بكثير من العلماء الملحدين. ولا يهمنا احصائهم فمنهجنا لا يعترف بهذا الاسلوب في الاستدلال على صحة العقائد. بل نحن نلتزم بالمعيار المروي عن امير المؤمنين (صلوات الله عليه) : (لا يُعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف اهله)[٥٠]. فصحة عقيدة ما من عدمها تبنى على الحجة والبرهان. وسوف نرى ان الملحدين يبنون الحادهم على نظرية التطور التي عمادها الانتخاب الطبيعي الذي يختلفون هم انفسهم حول مفهومه وابعاده ونتائجه، فهو قضية وهمية اقصى ما يمكن ان توصف به انها فرضية ادلتها غير ناهضة.

الشرور عند دوكنز:

يبتدأ دوكنز كتابه بالتحدث عن الشرور وان مصدرها هو الاديان ! (هل كان ستالين متديناً !! قتل اكثر من ١٠ ملايين انسان في بلده ، وهل كان الشيوعيون متدينين عندما ارتكبوا مجازر كركوك والموصل ١٩٥٩ في العراق !). وهو يتسلح بالعلم لإيهام المقابل ان العلم يتعارض مع الايمان أو ان كلامه مبني على العلم!! وسنبين لكم ان لا تعارض بين العلم والايمان، وان الملحدين بضمنهم دوكنز لا يستطيعون الاجابة عن سؤال كيفية ظهور المادة بدون اللجوء الى اجابة تتعلق باللانهاية، كما ان الله سبحانه وتعالى لا نهاية ولا حد لوجوده، فهو الازلي، كان وسيبقى كذلك، ليس كمثله شيء.

يذكر د. دوكنز انواعاً من الشرور التي يتصور ان الدين مسؤول عنها منها: الانتحاريون، تفجيرات ١١ أيلول ، تفجيرات لندن، الحملات الصليبية، تقسيم الهند، الحرب الفلسطينية الاسرائيلية، مذابح الصرب والكروات للمسلمين، اضطهاد اليهود كونهم قتلة المسيح، مشاكل ايرلندا الشمالية، جرائم

[٤٩] وهم الاله / ريتشارد دوكنز – ص٨.
[٥٠] بحار الانوار / العلامة المجلسي – ج٤٠ ص١٢٦.

الشرف، المبشرين الانجيليين بهندام لامع على التلفزيون الامريكي يأخذ اموال السذّج، تفجير طالبان لتماثيل بوذا الاثرية، قطع رؤوس الكفار، ضرب ظهر المرأة بالسياط لأنها لم ترتدي حجاب بصورة صحيحة! ولكنه لم يتطرق الى اي من المشاكل التي يثيرها الملحدون مثل قتل الملحد ستالين اكثر من عشرة ملايين انسان في دولته! ومثل مقتل الملايين من الناس بسبب الثورة الثقافية في الصين الشيوعية الملحدة والتي دمرت ايضاً المعابد البوذية والكنائس والمساجد واحراق النصوص المقدسة والتمثيل الدينية المقدسة وغيرها من التحف التراثية والاثرية والفنية واللوحات الفنية في المتاحف والمنازل لمجرد ارتباطها بتراث غير شيوعي الحادي، ورغم ان من الباحثين من يقول انه ما بين (٧٥٠ ألف الى ٤ ملايين انسان) تعرضوا للموت بسبب الثورة الثقافية في الصين الملحدة[٥١]، يتواضع البعض ليقول ان عدد المقتولين هو بالآلاف[٥٢] وليس الملايين!!! كما ولم يتحدث دوكنز عن اضطهاد حوالي ٣٥ مليون من شعب الأويغور المسلمين الصينيين في اقليم شينجيانغ من قبل الحكومة الصينية الشيوعية الملحدة، وتضطهدهم دينياً فتمنعهم من الصيام الذي هو من الحقوق الفردية الشديدة الخصوصية.

بل ان الملحدين الذين يحكمون الصين قد كونوا نظاماً سياسياً اقترفوا من خلاله مساوىء كثيرة وجعلوا الحياة في الصين مليئة بالاضطهاد والقمع حتى بالنسبة لغير المسلمين وغير البوذيين. واصبح الصين غارقاً في القمع والاضطهاد من قبل الملحدين الحاكمين هناك !

ولو تتبعنا الاضطهادات والقمع من قبل الملحدين المتزعمين للنظامين السوفيتي سابقاً والصين لاحتجنا الى عشرات الصفحات ويكفي ان تعرف انه قُتِلَ في عهد لينين حوالي ٤ ملايين انسان وفي عهد ستالين قُتِلَ حوالي ٤٣ مليون انسان وفي عهد ماو تسي تونغ قُتِلَ حوالي ٣٧ مليون انسان ! ويمكن ان نضيف لهم زعيم كوريا الشمالية كيم سونغ الذي قتل حوالي ١,٦ مليون انسان. ولا يمكن ان نتجاهل اغتصاب (١٠٠) الف امراة المانية في برلين بعد دخول القوات السوفيتية اليها في نهاية الحرب العالمية الثانية[٥٣].

---

[٥١] مقال بعنوان (الثورة الثقافية الصينية في عيون ناقديها وحنين المولعين بها ، بقلم د. عيسى بوقانون ، منشور في الموقع الالكتروني Euronews.com

[٥٢] يقول ريتشارد كيرت كراوس: (فقد أدين المتهمون العشرة باضطهاد ٧٢٧٤٢٠ شخصاً وقتل ٣٤٢٧٤). ... (ولكن اذا ادرجنا ضمن ضحايا الثورة الثقافية اي شخص لقي احد افراد عائلته معاملة مجحفة فربما يكون ١٠٠ مليون صيني قد أصابهم الضرر) ! أنظر: الثورة الثقافية ، مقدمة قصيرة جداً / ريتشارد كيرت كراوس / ترجمة شيماء طه الريدي / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة / الطبعة الاولى ٢٠١٤م - ص١١٠ و١١١.

[٥٣] مقال منشور في موقع الـ BBC الالكتروني تحت عنوان (The rape of Berlin). ، من خلال الرابط: http://www.bbc.com/news/magazine-32529679

واما ما حدث في البوسنة والهرسك من قتل وتهجير للمسلمين واغتصاب منظم للنساء فهو اشهر من ان نذكّر به ، حيث جاء في تقرير نشره موقع (الجزيرة.نت) تحت عنوان (ميلوسوفيتش .. حياة سياسية محفوفة بالتحديات والصراعات) انه:

"في العام ١٩٨٩ ألغى ميلوسوفيتش نظام الحكم الذاتي الذي منحه تيتو عام ١٩٧٤ إلى كوسوفو حيث غالبية ألبانية، مكرسا تفوق الصرب في هذا الإقليم وحظي في ذلك بتأييد واسع. شجعت هذه الانتصارات ميلوسوفيتش على دفع صرب "الخارج" إلى إعلان "جمهورية كرايينا ذات الحكم الذاتي" (كرواتيا) و"جمهورية الشعب الصربي في البوسنة والهرسك" (الجمهورية الصربية اليوم). وتعاقبت سلسلة الأحداث الدامية، فقامت القوات الصربية بتحويل مدينة فوكوفار الكرواتية إلى خراب، في ما أوقع حصار سراييفو (١٩٩٢-١٩٩٥) عشرات آلاف القتلى وقتل ٧٠٠٠ مسلم في مجزرة سريبرينيتسا. وكان ميلوسوفيتش يتمتع بمهارة تكتيكية مكنته من فرض نفسه كمحاور لا يمكن تخطيه في المفاوضات التي أدت عام ١٩٩٥ إلى توقيع اتفاقات دايتون التي وضعت حدا للنزاع في البلقان. لكنه لم يتخل عن نزعته الحربية فاستعان بآلية قمعية ليواصل هروبه إلى الأمام في كوسوفو. وقامت قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) عام ١٩٩٩ بحملة قصف جوي عنيفة على صربيا استمرت ١١ أسبوعا لمنع ميلوسوفيتش من تنفيذ سياسة التطهير الإثني التي دفعت ٨٠٠ ألف ألباني إلى الهروب من كوسوفو، ما اضطر القوات الصربية إلى الانسحاب من الإقليم وكانت البلاد على شفير اندلاع حركة تمرد. وفي سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠ صوت الناخبون ضد "بطلهم" السابق وطردوه من السلطة في الشهر التالي. وسلمت السلطات الصربية ميلوسوفيتش إلى محكمة جرائم الحرب في لاهاي في يونيو/ حزيران ٢٠٠١، حيث خاض معركته الأخيرة قبل أن يواجه منيته داخل زنزانته".

أمّا مذبحة سربرنيتشا المذكورة آنفاً فقد حدثت في ١١ تموز / يوليو ١٩٩٥ حيث قتل حوالي ٨٠٠٠ بوسني مسلم ، واغتصاب منظم لأكثر من ٢٠ ألف امرأة بوسنية ، ونزوح حوالي ٢٠ الف مدني بوسني من مناطقهم. وقد ارتكب المجزرة وحدات من الجيش الصربي تحت قيادة الجنرال راتكو ملاديتش Ratko Mladic وهو ملحد أيضاً.

ولا يفوتنا ان نذكر الملحد موسوليني مؤسس الفاشية في ايطاليا تلك الحركة الاقصائية المليئة بالكراهية للآخر ، وما ارتكبه من جرائم في ايطالياً.

ومن الجدير بالذكر ان الملحد غافريلو برينسيب Gavrilo Princip وهو أيضاً قومي صربي قام في حزيران / يونيو ١٩١٤ باغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق النمساوي فرانز فرديناند وريث عرش الإمبراطورية النمساوية المجرية وزوجته صوفي دوقة هوهنبيرغ ، في سراييفو ، الأمر الذي أدّى إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى في تموز / يوليو عام ١٩١٤ !

وقبل ذلك نجد ان الملحد التركي عبد الله جودت هو احد اربعة مؤسسين لـ "جمعية الاتحاد والترقي" في زمن العثمانيين سنة ١٨٨٩ والتي تمكنت من خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨ ، ورغم انه انسحب من الجمعية في السنة المذكورة الا انها استمرت في السيطرة على السلطة بين عامي ١٩٠٨– ١٩١٨ وفرضت سياسة التتريك على جميع المناطق العربية التي كانت خاضعة لها. كما انها ادخلت السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وتسببت في فقدانها اراضي شاسعة كانت تخضع لها. وهي التي ارتكبت المجازر ضد الارمن سنة ١٩١٥.

ومن الملحدين الصهاينة الذين ساهموا في تأسيس دولة اسرائيل في فلسطين ، علماً ان الامم المتحدة قد اقرّت في سبعينيات القرن الماضي ان الصهيونية حركة عنصرية[٥٤]، فمنهم:

. تيودور هيرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية العنصرية.

. دافيد بن غوريون، قائد حرب ١٩٤٨ حينما اغتصبت اراضي واسعة من فلسطين وتأسيس دولة اسرائيل فيها. وهو اول رئيس وزراء لاسرائيل بعد تأسيسه.

. اسحاق رابين، انضم الى مليشيات الهاجانا الارهابية واصبح من كبار قادتها. وشارك في حرب ١٩٤٨ ، وكان رئيس الاركان في حرب ١٩٦٧ ثم اصبح رئيسا للوزراء في دولة اسرائيل سنة ١٩٧٤.

. جولدا مائير، انتخبت في الكنيست الاسرائيلي سنة ١٩٤٩. واصبحت وزيرة العمل للفترة (١٩٤٩– ١٩٥٦) ووزيرة خارجية للفترة (١٩٥٦– ١٩٦٦) ورئيسة وزراء للفترة (١٩٦٩– ١٩٧٣).

[٥٤] جاء في ويكيبيديا الموسوعة الحرّة: " قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٣٣٧٩، الذي اعتمد في ١٠ نوفمبر، ١٩٧٥ بتصويت ٧٢ دولة بنعم مقابل ٣٥ بلا (وامتناع ٣٢ عضوًا عن التصويت)، يحدد القرار "أن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري". وطالب القرار جميع دول العالم بمقاومة الأيدولجية الصهيونية التي حسب القرار تشكل خطرًا على الأمن والسلم العالميين. وكثيرًا ما يستشهد بهذا القرار في المناقشات المتعلقة بالصهيونية والعنصرية. ألغي هذا القرار بموجب القرار ٨٦/٤٦ يوم ١٦ ديسمبر، ١٩٩١). وواضح ان هذا القرار كان بدوافع سياسية ، بعد مهادنة اغلبية الدول العربية للاسرائيل بعد غزو نظام صدام للكويت في ٢ آب ١٩٩٠ وكمغازلة عربية فلسطينية – عربية لاسرائيل من اجل بدأ المفاوضات الفلسطينية – الاسرائيلية التي بدأت بمؤتمر مدريد في إسبانيا في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩١ وانتهت باتفاقية اوسلو سنة ١٩٩٣.

. موشي دايان، التحق بميليشيلت الهاجانا الارهابية ، وشارك في حرب ١٩٤٨ ، ثم اصبح رئيس الاركان دولة الاسرائيلي في خمسينيات القرن الماضي ، ثم اصبح وزيراً للدفاع في حربي سنة ١٩٦٧ و١٩٧٣.

. آهارون زيسلينغ، هو أحد الموقعين على وثيقة إعلان استقلال إسرائيل.

. أوري أفنيري، انتمى الى مليشيات الإرغون الإرهابية وشارك في حرب ١٩٤٨. ومن اقواله: "أنت لا تستطيع أن تحدثني عن الإرهاب، فأنا كنت إرهابياً". وهو احد ناشطي اليسار في اسرائيل.

هؤلاء السبعة من الملحدين الاسرائيليين كان لهم دور كبير في تأسيس وإدامة حركة عنصرية وفي عمليات القتل والتهجير وسلب الحقوق تجاه الفلسطينيين.

هذه الاحداث الاليمة التي جرت الحروب والقتل والدمار والتهجير والاغتصاب وضياع الحقوق إنما حدثت في المناطق التي تسلط الملحدون عليها ، ولو تمكنوا من التسلط على دول اخرى لاقترفوا جرائم اخرى من نفس السياق وضمن نفس الاطار الذي اشار اليه د. دوكنز. إن الاستاذ دوكنز ينظر نظرة غيرمنصفة للقضايا !

ومن المضحك المبكي ان دوكنز يذكر من بين آلامه (مذابح الصرب والكروات للمسلمين) محاولاً ذرف دموع التماسيح والتغطية على – ربما لا يعرف ذلك – ان مرتكب تلك المذابح ضد المسلمين هو احد القادة الصرب وهو ايضا كان ملحداً ! لقد كان سلوبودان ميلوسوفيتش Slobodan Milošević ملحداً وكذلك الجنرال راتكو ملاديتش Ratko Mladic كان أيضاً ملحداً وقد قادا ابشع عمليات تصفية عرقية بعد الحرب العالمية الثانية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، ورفع ميلوسوفيتش شعاراً قومياً عنصرياً يقول: "صربيا نقية عرقياً"! وتسبب هذاالشعار بالجرائم التي ذكرناها قبل قليل من قتل حوالي ٨٠٠٠ مسلم واغتصاب منظم لآلاف النساء وتهجير آلاف البوسنيين من مناطقهم. اذن تلاقت عندهما العنصرية مع الالحاد.

ومن الملاحظ ان الملحدين ينزعون الى تشكيل حركات قومية متطرفة او حركات فكرية آيديولوجية شوفينية ، لذا فإن من يقول بأن اخطاء الملحدين ليست ناتجة عن الحادهم بخلاف المتدينين الذين تكون اخطائهم ناتجة عن تدينهم ودينهم يكون واهماً ، فالالحاد يدفع الملحد نحو تشكيل حركات قومية عنصرية شوفينية بخلاف بقية القوميين المؤمنين بالخالق الذين تكون حركاتهم القومية معتدلة تتقبل وجود الاخر.

وقد توسعنا في بيان نماذج من تأثير الملحدين على احداث مؤلمة كثيرة وحكمهم لمناطق شاسعة من الكرة الارضية لنثبت للقاريء ان الالحاد الذي لا يقدم حقائق عقائدية بل يحرف الانسان نحو الجحود والنكران، هو في نفس الوقت ينتج ملحدين يرتكبون نفس الحماقات التي قد يرتكبها الاخرون في اماكن اخرى، فلا ميزة للالحاد في صقل الشخصية الملحدة نحو التسامي والخير والسعادة، بل هو مفتقر لذلك !

وربما يقال ان الملحدين لا يقترفون الجرائم المنسوبة اليهم بدوافع إلحادية بل هم يستندون في تلك الجرائم الى آيديولوجيات ينتمون اليها ماركسية او قومية. ولكن لو قمنا بتحليل الشخصية الالحادية لوجدنا ان الالحاد يفتح الباب واسعاً لارتكاب أي جريمة بدوافع فكرية (كالتطرف الماركسي) او قومية (كالتطرف العنصري) ويجعل الملحد متحللاً من أي رادع لو أتيح له المجال للإفلات من العقوبة القانونية.

ومن المفيد ان نستعرض آراء اخرى حول موضوع الشرور مثل رأي داروين وهو لاأدري المذهب، وستيفن وانبرغ وهو ملحد المذهب.

يقول ديفيد كوامن في كتابه (دارون متردداً):

"كان يضايقه تحديداً تناقضان اثنان رآهما في العقيدة المسيحية التقليدية، أو يتعلقان بها، وهما: التعارض بين فكرتي الكون المحكوم بقانون والإله المتدخل، وأيضاً وجود الشر في عالم صممه إله كلّي القدرة يؤثر الخير. هل تعدّت قوانني الطبيعة على الامتيازات الربانية؟ هذا ما حدث فعلاً، وفقاً لرأي بعض المفكرين، وليس في عالم البيولوجيا وحسب. كان داروين يعرف ان قانون الجاذبية لنيوتن هاجمه ذات مرّة ليبنتز بوصفه (هدّاماً) للعقيدة الطبيعية. فالجاذبية (صفة غامضة) عامل ملفق إلحادي، استحضر على نحو خاطيء لتفسير الدوران الإعجازي للكواكب، أو هذا ما ذهب إليه ليبنتز في اتهامه. هل لاقى هذا النقد قبولاً من الناس العاقلين؟ كلا. في أغلب الاحوال فضل الناس قانون نيوتن الأساسي الأنيق. لماذا إذن يقبلون الاتهام نفسه عند تطبيقه على التباين والتكيف بين الكائنات الحيّة؟ كتب داروين: (لا أستطيع أن اؤمن بأن الخالق يتدخل في بناء كل نوع أكثر من تدخله في مسار الكواكب). كان يزعجه أيضاً، على نحو مماثل على الأقل، مشكلة الشر، والمعاناة غير المبررة التي تنزل بالابرياء. كتب داروين لأسا جراي، صديقه الامريكي عالم النبات في هارفارد: (لا أستطيع أن أرى بوضوح، كما يفعل الاخرون، الدلة على التصميم والخير في كل جوانبنا. يبدو لي أن هناك بؤساً في العالم أكثر مما ينبغي). لماذا مثلاً يصمم إله خيّر دبابير النمس التي تضع بيضها داخل

حشرات اليسروع الحيّة، بحيث تلتهم يرقات الدبور بعد فقسها عائليها من الداخل للخارج؟ لماذا تُصمَّم قطط تعذب الفئران من باب التسلية؟ لماذا يولد طفل بتلف في المخ، ليواجه حياة البلاهة؟ هكذا تساءل داروين"[٥٥].

ظن داروين ان هناك تعارضاً بين الكون المحكوم بقوانين وبين تدّخل الإله في الحياة الانسانية من خلال التشريعات التي يفرضها من خلال أنبياءه (صلوات الله عليهم)، وهذا من سطحية نظرته، أو فلنقل لأنه لم يكن يؤمن بأن الإله فعلاً ارسل الانبياء (عليهم السلام) وأحدث المعجزات !

لقد خلق الإله (تبارك وتعالى) الكون ووضع له قوانين دقيقة جداً لا يمكنه ان يتخلف عنها. فكل شيء محكوم بقانون أو مجموعة قوانين. فهذه المجرات بملاييننها، والكون بتوسعه، والأفلاك التي تدور حول الشمس كلها خاضعة لقوانين الإله (عزَّ وجلَّ). وكما قال تعالى في سورة فصّلتْ: ((ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)). أي خضع الكون كله لإرادته سبحانه وتعالى طوعاً أو كرهاً. ثم خلق سبحانه وتعالى الملائكة وهم ((لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) كما في سورة التحريم. فهم خاضعون لإرادته سبحانه، وإرادته هي قوانينه.

وخلق الله (سبحانه وتعالى) الانسان، وكرّمه، قال عزَّ وجلَّ في سورة الاسراء: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً))، فيمكن ان نفهم من انه سبحانه حمل الانسان في البر والبحر هو إيجاد القوانين التي تمكن الانسان من السير في البر والبحر، كقانون الجاذبية وارخميدس وغيرها من القوانين التي وضع لها الانسان مسمياتها المعروفة. فكانت الارض والكواكب والمجرات مهيّأة للحياة على الارض.

وتكريماً للإنسان فقد اطلق الله سبحانه وتعالى له العنان، ((فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ))، وبدلاً من ان يفرض الخالق على الانسان المخلوق أفعاله، فقد ترك له حريته، وانزل له القوانين التي يجب ان يدور في فلكها، وهي القوانين التي تَصلَح له وتُصلِح له حياته. فكما ان الارض وبقية الكواكب تتحرك حول الشمس وفق قوانين ثابتة، فقد كان للإنسان قوانينه التي يجب ان يتحرك وفقاً لها في الحياة. تلك القوانين هي التعاليم الدينية.

وحينما وضع الله (تبارك وتعالى) القوانين للإنسان من خلال الاديان السماوية، تعددت الاديان السماوية وهي جميعها تشترك في عقيدة واحدة، سوى ان تعاليمها تدريجية، فالشريعة التي جاء بها موسى (عليه السلام) نسخ بعضها عيسى (عليه السلام)، وما جاء به موسى وعيسى (عليهما

[٥٥] داروين متردداً / ديفيد كوامن – ص٩٨ و٩٩.

السلام) نسخه الاسلام الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) ليستقر دينه وتعاليمه الى نهاية العالم، إنها امر مقارب لفكرة نظرية الانفجار العظيم، حينما كانت القوانين البدائية التي بدأ الانفجار العظيم بها وسار وفقاً لها، ثم ظهرت بعد ذلك القوانين الفيزيائية المعروفة اليوم. إنه نفس الاسلوب الإلهي في ظهور الكون، سواء لقوانين الكون او لقوانين البشرية.

ومن خلال القوانين التي وضعها الإله (عزَّ وجلَّ) للإنسان على الارض، نُبرِز التالي:

١. ليس هناك موعد محدد لموت الانسان. فكل إنسان يمكن ان يموت في أية لحظة، وكما يُقال: تعددت الاسباب والموت واحد.

٢. ليست هناك طريقة معينة لموت الانسان، فيمكن ان يموت نتيجة مرض او وباء او فيضان أو غرق أو حريق أو قتلاً أو سماً او بزلزال أو بإعصار أو بأي كارثة أخرى إلخ.

٣. ليس هناك عمر معين يجب أن يتجاوزه الانسان لكي يموت. فالانسان مهما كان عمره معرض للموت لسبب معين.

٤. وهب الإله (سبحانه وتعالى) الحياة على الارض للإنسان، ووضع له القوانين التي تصلح لهذه الحياة. فمن يخرج على القانون فإنما يسيء الى تلك الحياة ويسعى في خرابها، بنفس درجة إسائته لعموم الجنس البشري.

ونأتي الان الى موضوع الشرور. فما ذكره داروين أو غيره حول موضوع الشرور فهو لا يخرج من أحد النقاط الأربعة أعلاه. فالإعتراض اما على طريقة معينة لموت الانسان او عمر معين يموت فيه الانسان أو وباء معين يظهر يجرف معه العشرات او المئات من البشر ويقذف بهم الى الموت. وكل هذا لا يمكن ان يبرز صورة للشرور. فكل شيء معلن من البداية. فلم يكن خافياً ان حياة الانسان مبنية على هذه المرتكزات الاربعة المذكورة اعلاه.

تصوروا لو أنَّ الجاذبية بين الكواكب والنجوم داخل المجرات تنهار فماذا سيكون حال الكون؟ هل يمكن تخيّل حجم الكارثة التي تحصل؟ النجوم والكواكب والمجرات يصطدم بعضها مع البعض الآخر وينهار النظام الكوني كلّه ويتفجر وينتثر، ((إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ، وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ))[٥٦]، و((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ))[٥٧]، فما الذي يمنع ذلك من الحدوث الآن؟ الذي يمنع حدوث ذلك هو إرادة الإله ومشيئته، فهو الآن يفرض القوانين على المجرات والنجوم والكواكب

[٥٦] القرآن الكريم ، سورة الانفطار.
[٥٧] القرآن الكريم، سورة التكوير.

والتي تحافظ عليها وعلى تناسقها وانتظامها. فماذا يحصل في العالم البشري، لو أن الإله فرض على البشر الخضوع بصورة حتمية الى القوانين الشرعية (التي جاءت بها الأديان السماوية) لما حدث شيء من تلك التي يسمونها شروراً حيث سيكون الحال في فرضية الحتمية أن الحياة الانسانية خاضعة لقوانين حتمية ولا يلام الإنسان ولا الإله على حدوثها لأن الملحد أو اللاأدري سيظن أن كل شيء يحدث وفق قانون أو مجموعة قوانين تحكم الكون والحياة البشرية ولن يكون عنده اعتراض ! أما حينما يكون الانسان مخيراً بين اتباع القوانين الشرعية او تركها ونبذها وإهمالها، ويؤدي ذلك الترك الى حدوث الكوارث على الارض، كما هو حال الكوارث الكونية التي يمكن ان تحدث لو تركت المجرات والنجوم والكواكب قوانينها، فحينئذٍ سيقولون إنَّ الإله فعل الشرور أو سمح بالشرور او انه رغم تصميمه العظيم للكون لم يحميه من الشرور ! والحق هو أن الانسان هو المتسبب بالشرور فهو المتسبب في إحداث ذلك نتيجة تركه القوانين الشرعية التي تضمن انتظام حياته الانسانية على الارض واستبدالها بقوانين اخرى من وضعه لا تصلح حياته.

اعلن الإله أن كل شيء حتمي، النجوم والكواكب والمجرات وحتى الملائكة: ((ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)) في الحالتين طوعاً او كرها فالنتيجة حتمية وهي خضوع السماوات والارض لإرادة الإله وقوانينه. وحتى الملائكة ((لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)). فالكل حتمي في حركته وخضوعه للقوانين والتعاليم الإلهية، عدا الانسان الذي تُرِكَ له حرية الاختيار وحينما يكون اختيار الانسان خاطئاً ويتسبب اختياره الخاطيء بنشوء الكوارث والفساد في الحياة والشرور، يعترض الانسان نفسه وينسب الشرور التي تسبب في ظهورها الى الإله بدلاً من أن يتحمل مسؤوليتها !!؟؟

وضمن نفس الإطار، ينسب الملحد عالم الفيزياء ستيفن وانبرغ في كتابه (احلام الفيزيائيين) الشرور الى الإله، فيقول:

"عليَّ أن اعترف أن الطبيعة تبدو لي احياناً جميلة أكثر مما ينبغي لها أن تكون. فمن نافذة مكتبي في البيت شجرة ميس كثيراً ما تعقد عليها الطيور اجتماعات سياسية ، الغربان الزرقاء والعصافير الدورية وذوات العنق الاصفر ، والاجمل منها جميعاً العنادل الحمراء أحياناً. ورغم أنني أعرف جيداً كيف تطورت تلاوين الريش من تنافس الإناث على الذكور الجميلة ، لا أملك نفسي من تصور أن هذا الجمال كله قد حصل لإمتاعنا. ولكن إله الطيور والأشجار هو أيضاً إله التشوهات الولادية والسرطان. لقد تجادل المتدينون قروناً طويلة بخصوص القدر السيء أي مسألة وجود الشقاء في عالم يُفترض

أنه محكوم بإله يريد الخير لعباده ، فاخترعوا حلولاً تعتمد على افتراض وجود خطط ربانية متنوعة. انا لن احاول مناقشة هذه الحلول ، وأقل من هذا أن أضيف من عندي حلاً آخر. والتفكر بالاضاحي البشرية والقرابين لا يدع لي مجالاً للتعاطف مع محاولات تبرير التقرب من الله. فإذا كان يوجد إله عنده خطط خاصة للبشر ، فلا شك أنه يبذل قصارى جهده لإخفاء اهتمامه بنا. وأنا يبدو لي أن من العيب ، إن لم يكن من الإثم ، ان نزعج مثل هذا الإله بصلواتنا"[٥٨].

فنضيف لما سبق بيانه، ان الشرَّ، في التكوينيات، هو كل ما يفسد الكون والطبيعة. وفي الاخلاق، هو كل ما يخالف العدالة اي إنَّ كل ظلم فهو شر. وفي التشريعات الدينية ، كل معصية فهي شر. ولا يخرج موضوع الشرور عن هذه المعايير الثلاثة. ومن الواضح ان الخلاف في موضوع الشرور هو بخصوص ما يفسد الكون والطبيعة ، اما ما يخص الاخلاق والتشريعات الدينية فالله سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم الذي يعرف بمصالح الانسان خير منه.

ولابد ان نوضح ان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وجعل له الخلافة في الارض ، كما في قوله تعالى (واذ قال ربك اني جاعل في الارض خليفة) ، وهذا يعني ان الانسان سيكون مسلطاً لبناء الحضارة وتطويرها بجهوده الذاتية وفكره ، وان ارقى العلوم واصحها التي يمكن ان يحصل عليها الانسان هي القواعد والمباديء العلمية التي يمكن ان يعلمها للبشر عن طريق الانبياء (صلوات الله عليهم). ولكن حيث ان الشيطان كان هو جهة المعارضة للخلافة الانسانية فلذلك سعى لتهديم جهود الانبياء (عليهم السلام). فنشات حضارات واسعة تمخضت عن صراع معقد بين الانبياء (عليهم السلام) واتباعهم وبين ابليس وجنوده واتباعه. وبدأ الانسان يشق طريقه على الارض بعيداً عن تعاليم الانبياء (عليهم السلام) نتيجة تحريف رسالات الانبياء (عليهم السلام) او طمسها واخفاء معالمها. وكانت خطة الله سبحانه وتعالى للبشر ان يبنوا هم حضارتهم تدريجياً. وأراد لهم الله ان يسيروا في طريق التكامل المادي والروحي تدريجياً. ولذلك فإنَّ جوهر الاديان السماوية هو الاخذ بيد الانسان نحو التكامل المذكور.

ورب سائل يسأل لماذا خلق الله سبحانه وتعالى الشرور من قبيل التشوهات الولادية والامراض المعدية او المهلكة او المزمنة ، والزلازل والفيضانات إلخ. فيمكن ان ننظر للامر من جهات عدة. حيث تشكل الامراض حافزاً للانسان للتقدم الصحي ، والكوارث الطبيعية كانت حافزاً للانسان للبناء

[٥٨] احلام الفيزيائيين / ستيفن وانبرغ – ص١٩٥ و١٩٦.

الحضاري المقاوم لتلك الكوارث. وحتى الحروب والصراعات بين البشر كانت حافزاً قوياً للتقدم الحضاري.

ورب قائل يعترض ويقول لماذا لم يخلق الله البشر في واقع حضاري او معهم المقاومات الحضارية مباشرة بعيداً عن التدرج المادي والروحي المذكور؟ ونجيبهم بأنه اذا خلق الله (جلَّ وعلا) البشر مع حضارتهم بلا صراع فما هي جدوى خلقه ؟ الله سبحانه وتعالى لا يحتاج خلقاً اضافياً ، فيمكنه ان يخلق من الانواع ما لا يحصى كثرة. والانواع الحيَّة الموجودة على الكرة الارضية قديما وحديثاً خير شاهد. بل ان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة وهي مخلوقات لا تعصي الله سبحانه وتعالى ابداً وكان يمكنها ان تكون هي الخليفة على الارض فتعمرها ، بلا معاصي ولا كوارث ولا امراض. وفضلا عن ذلك فإن الحضارة الانسانية التي لن يكون فيها صراع ولا امراض ولا كوارث ولا تشوهات خلقية ولا حروب هي ما سيحصل عليه الانسان في اليوم الاخر ، بعد ان يثبت الانسان جدارته وكفائته في استحقاق تلك الحضارة الابدية الرائعة ، في جنة الخلد. او ما سيستحقه الفاشلون في هذا الاختبار الدنيوي من عذاب جهنم. فليس من العدالة ان ينال كل اصناف البشر نفس المكافأة الأخروية من نعيم مقيم ابدي.

فماذا يمكن ان يقترح الملحد من حياة للانسان ؟ هل يريد الملحد انه وفقاً لفرضية وجود الخالق فيجب ان تكون الارض ممهدة لمعيشة البشر دون ادنى ضرر يمكن ان يلحق بهم ؟! وان البشر يجب ان يعيشوا ويبنوا حضارتهم بلا امراض ولا كوارث ولا حروب ! وان الانسان يجب ان يولد وفي عقله كل العلوم وحقائقها التي تمكنه من البناء الاتم للحضارة ! هل يرى الملحدون انه يفترض ان يخلق الله الجيل البشري الاول وفي عقله جميع الحقائق العلمية ليبني الحضارة وفق اتم ممكن واكمله منذ بداية وجوده ؟! فما هي الحكمة من خلقه حينئذٍ ؟ ربما يرد الملحدون ان يكون الجيل البشري الاول والاجيال التي تليه حامله للتكامل الانساني فتعيش في مجتمع المدينة الفاضلة حيث الجميع في سعادة ، فلا صراع ولا حزن ولا طموح ! ومهما يولد من بشر يكون لهم نفس الاستحقاق في المعيشة في ذلك المجتمع المتكامل ! ولكن ألا يكون خلق الانسان في تلك الحالة عبثياً ! فالكل يعلم ان الله عظيم القدرة وانه يمكنه ان يخلف الف الف عالم من تلك العوالم التي يكون فيها ألف الف مجتمع بشري وهو يعيش عيشة التكامل والرغد ، ثم اذا مات انتهى كل شيء. ورب معترض يقول انه يمكن للخالق ان يخلق المجتمعات المتكاملة خالية من الموت؟ وفي هذه الحالة نقول انه يجب ان تكون غير خالية من الموت وإلا فإن اعداد البشر ستكون كبيرة لدرجة انه لا يمكن ان تحتويها الكرة الارضية او اي كوكب آخر فيه مجتمع بشري مهما كبر حجمه. فعلى الملحد ان ياتينا بفكرة لخلق الانسان لا تكون عبثية.

ورب ملحد يعترض انه في الجنة ستكون معيشة الانسان عبثية أيضاً وكذلك معيشة اهل النار في جهنم ايضاً عبثية. ولكنهم بهذا الاستنتاج يكونون غافلين عن انه لا يخلد في جهنم الا من يستحق الخلود ، ولا يخلد في الجنة الا من يستحق الخلود ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فإنه في الجنة من قال انه سيتوقف كل شيء ؟! بل ان هناك من يرى ان تكامل الانسان مستمر في جنة الخلد الى ما شاء الله سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه (نفحات القرآن):

"هل يوجد في الجنة تكامل ؟ ... نعم ان التكامل موجود هناك قطعاً ولا يبقى اهل الجنة في اماكنهم في حالة من السكون والمراوحة ، بل هم يقتربون . بفضل الله ولطفه ورحمته . نحو ساحة قدسه يوما بعد يوم ، ويواصلون سيرهم في التقدم صوب القرب الى الله. وليس مفهوم هذا الكلام وجود العبادات والطاعات والاعمال هناك ، لان الجنة ليست دار التكليف فالمقومات الاولية للتكليف معدومة هناك ، بل هم يواصلون مسيرتهم التكاملية في ظل اعمالهم المنجزة في الدنيا تماما كالاشجارالمثمرة التي يغرسها الانسان مرة واحدة ، فتمتد جذورها وتخرج منها فروع واغصان هنا وهناك حتى تعم السهول والصحارى ، او كسفينة الفضا التي تحتاج في بداية انطلاقها وخروجها عن مجال جاذبية الارض الى طاقة عظيمة ، ولكنها بعد الخروج من هذا المجال تواصل حركتها . اذا لم تصطدم بمانع . من غير حاجة الى اي وقود جديد. وهناك آيات قرآنية تشير الى هذه القضية ، كما هو الحال في الاية (٦٢) من سورة مريم التي تتحدث عن اصحاب الجنة : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا). ويتضح جلياً من خلال الايات السابقة لهذه الاية بان هذا الوصف ينطبق على جنة الآخرة التي عبرت عنها بكلمة (جنات عدن) لا على جنة البرزخ ، وهنا يتبادر السؤال الى الاذهان وهو اذا كانت الايات الشريفة تشير الى ان اهل الجنة لهم فيها ما يشتهون في اي وقت وزمان ، فما هي هذه العطايا والفضائل التي تمنح لهم في كل بكرة وعشي ؟ من المؤكد انها فضائل وارزاق مادية ومعنوية تقدم لهم في هذه الاوقات ،اضافة الى رفعهم نحو درجات اسمى واعلى"[٥٩].

اما الملحدون فما يطمحون اليه يعني نسف الفكر الانساني برمته ! ... كتب الدكتور حسام الالوسي في كتابه (الفلسفة والانسان) في معرض حديثه عن سبب ظاهرة التفلسف عند الفلاسفة ، ما نصّه:

"يذكر وليم جيمس في كتابه "بعض مشكلات الفلسفة" ان شوبنهاور يرجع اصل التفلسف الى تأمل الانسان لوجوده وللعالم ، وعلى حد تعبير شوبنهاور في كتابه "العالم كارادة

[٥٩] نفحات القرآن / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج٦ ص٢٦٣ و٢٦٤.

وتصور" انه بصرف النظر عن الانسان – ليس ثمة موجود يتساءل عن وجوده. وحين يغدو الانسان واعياً لاول مرة يسلم بوجود ذاته تسليمه بشيء لا يحتاج تفسير. ولا يستمر الامر على ذلك طويلاً ذلك لأنه مع نشأة التأمل يبدأ التساؤل والتساؤل ام الميتافيزيقا ، وهو الذي جعل ارسطو يقول: ان الناس – الآن ودائماً – يسعون الى التفلسف بسبب الدهشة. وكلما كان الانسان ادنى في مرتبة التفكير كان تساؤله اقل عن لغز الوجود .. ولكن كلما زاد وعي الانسان اتضاحاً بدت له المشكلة اعظم ما تكون" الى ان يقول: "ويعلق وليم جيمس: "لا يتطلب الامر من الانسان اكثر من ان يغلق نفسه في صومعته ويشرع في التأمل في واقع وجوده وفي شكل جسمه .."[٦٠].

بينما يريد الملحدون ان يخلق الله تبارك وتعالى البشر متكاملون فلا تفكير ولا سعي علمي ولا تفلسف ولا أي شيء آخر ! مجرد ان يعيشوا ويتناسلوا ثم يموتوا !! أي عبثية تلك يريد الملحدون للانسان ان يعيشها !!

اذا كان الملحدون يريدون مجتمعاً فيه البشر متكاملون ، حاصلون فيه على الحقائق العلمية كاملةً ، وليس لهم شغل سوى تسبيح الله سبحانه وتعالى ، فقد خلق الله تبارك وتعالى الملائكة الذين يسبحونه ليلاً ونهاراً ، فما هي الحكمة – وفق المنطلق الالحادي – من خلق البشر الذين ليس لهم دور سوى مشابهة الملائكة في تسبيحهم؟!!

جون ستيوارت وعدد الملحدين:

قال جون ستيوارت في القرن التاسع عشر:

"من المحتم أنها ستكون صدمة هائلة لو عرف العالم كم هى نسبة المشككين فى الدين بين الحاصلين على أعلى الأوسمة لتميزهم اللامع فى مجالات العلم والفكر"[٦١].

وهذا النص يستشهد به دوكنز في سبيل تشجيع الملحدين على اعلان الحادهم ! ويريد ان يقتدي بحركة (الفخر بالمثلية) لانها بعد حوالي ٥٠ سنة:

[٦٠] الفلسفة والانسان / الدكتور حسام الآلوسي – ص٢١.
[٦١] وهم الاله / دوكنز – ص٨.

"اصبح من الممكن الى حد ما ان يُنتَخَب المثليي جنسياً لمركز حكومي مرموق"[٦٢].

ثم يقول:

"من الواضح ان الطريق امامنا لا زال طويلاً ، لكن الملحدين اكثر عدداً مما كنا نتصور وخصوصاً بين النخبة المثقفة. ثم يستشهد بمقولة جون ستيوارت الانفة الذكر[٦٣].

ثم يقول:

"ان السبب الرئيسي لعدم انتشار فكرة وجود الملحدين بين عامة الشعب هي اننا نتردد في الظهور علناً. واملي ان يساعد كتابي هذا الناس ليتجرأوا على الظهور. تماماً كما كان الحال مع المثليين، فكلما ظهر عدد أكبر منهم سيصبح من الاسهل للآخرين أن ينضموا للمجموعة"[٦٤].

ثم يكشف المزيد من افكاره:

"لا يوجد تنظيم للملحدين واللادريين وبالتالي فليس لهم أي تأثير. لا عجب في ذلك ، لأن تنظيم الملحدين سيكون أشبه بمحاولة أنشاء قطيع من القطط ، شيء مستحيل حيث هم معتادون على التفكير المستقل وعدم الانصياع لأي نوع من السلطات الفكرية. لكن كخطوى اولى فإن عدد كاف من الذين يرغبون بالاعلان عن إلحادهم كافي لتشجيع الآخرين على عمل الشيء نفسه. برغم أننا لا نستطيع تنظيم قطيع من القطط ولكن وجود عدد كاف منهم سيؤدي لضجة كافية ولن يكون من الممكن أهمالهم"[٦٥].

هذه النصوص تكشف عن ان دوكنز ليس صاحب دعوة علمية فقط. بل هو صاحب آيديولوجية يريد لها الإنتشار وكسب المزيد من الانصار. انه صاحب دعوة عقائدية قائمة على (جحود الايمان بالخالق). ويسعى لنشر عقيدته بكل الوسائل. ولذلك لا يمكن ان نأخذ كلام دوكنز الذي ظاهره علمي بأنه كلام ينم عن حقيقة علمية او نزاهة علمية حيث لا توجد ثقة بأنه لا يلوي عنق الحقيقة العلمية من اجل الانتصار لعقيدته الالحادية التي يسعى لنشرها.

اما بخصوص عبارة جون ستيوارت مل فمن الملفت للنظر ان القرآن الكريم اسقط نظرية الاستدلال بالكثرة على صحة عقيدة ما ، حيث بيَّن ان اكثر الناس للحق كارهون ، وان اكثر الناس لن يكونوا

---

[٦٢] وهم الاله / دوكنز – ص٧.
[٦٣] المصدر السابق – ص٨.
[٦٤] المصدر السابق – ص٨.
[٦٥] المصدر السابق – ص٨.

مؤمنين. فالمؤمن لا يهمه ان كانت الاكثرية ملحدة او تابعة لأي عقيدة أخرى ، لأن معيار الايمان هو الحق والحجة الصحيحة.

قال تعالى في سورة يوسف (عليه السلام): ((وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)).

وقال عزَّ وجلَّ في سورة المؤمنون: ((بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)).

وبالمناسبة فان الملحدين مهما قيل من زيادة في اعدادهم فانها تبقى ضئيلة اذا ما قيست بعموم الناس في الكرة الارضية وعبر مختلف العصور. وحتى في الجانب العلمي فإن الغالبية العظمى من العلماء هم من المؤمنين بوجود الخالق – وإن اختلفت اديانهم – وليسوا من الملحدين.

وسنعود في الفصل الخامس ونناقش هذا الموضوع من خلال ما ذكره باول بلوم Paul Blorom في احد مقالاته.

مقولة روبرت بيرسيغ:

يعمد دوكنز الى تعريف كلمة (الوهم) فيقول:

> "يُعرّف القاموس المرافق لبرنامج مايكروسوفت للكتابة كلمة الوهم بـ (الاعتقاد الخاطيء والمستمر بفكرة بعناد في وجه أدلة قوية معاكسة تنفيها ، وخاصة كأعراض لأمراض نفسية) ، القسم الاول من التعريف ينطبق بدقة على حالة الايمان الديني. فيما يخص الجزء الخاص بالمرض النفسي فأنا اميل لتباع روبرت بيرسيغ كاتب (الزن وفن صياغة الدراجة النارية) في قوله: (الجنون صفة شخص واحد يعاني من وهم ما ، أما عندما يعاني العديدون من نفس الوهم يدعى هذا الوهم ديناً)"[٦٦].

والمشكلة ان دوكنز نسب هذه المقولة الى المصدر المذكور دون توثيق لصفحة او طبعة ، حيث بحثت عنها في نفس المصدر (Zen and the Art of Motorcycle Maintenance) طويلا ولم اعثر عليها[٦٧]، وربما دوكنز ذكرها بالمعنى وليس بالنص مما يعني انه ربما لم يكن روبرت

---

[٦٦] وهم الاله / دوكنز – ص٩.

[٦٧] والعبارة بالنسخة الانكليزية التي كتبها دوكنز هي:
'When one person suffers from a delusion, it is called insanity. When many people suffer from a delusion it is called Religion'.

بيرسيغ Robert Pirsig يقصد نفس مقصد دوكنز ! او ربما لم اتمكن من البحث فيه بصورة جيدة رغم ادوات البحث التي توفرها الكتب الالكترونية !

وحتى لو افترضنا صحة نسبة العبارة لبيرسيغ ، وهو امر ممكن، فكلامه ينطبق بنفس المقدار على معتنقي عقيدة او آيديولوجية الالحاد ، فوهم الالحاد الذي يعاني منه العديد من الملحدين ينتقل بهم من مجرد اعتقاد شخصي الى مستوى عقيدة دينية آيديولوجية قائمة على الايمان بعدم وجود الخالق.

الفصل الاول

احترام مستحق:

يبتديء دوكنز هذا الفصل بالتحدث عن قسيس مدرسته ، وانتقل بكلامه الى المقطع في نهاية كتاب "اصل الانواع" لداروين ، فقال:

"لم يعرف القسيس في صباه (ولا انا ايضاً) بالاسطر الاخيرة والشاعرية جداً من كتاب اصل الانواع ، المقطع الشهير الملقب (البنك المشترك) مع الطيور تشدو في الغابات ومع رفرفة اجنحة الحشرات فوقها والدود الذي يسرح زاحفاً في ارضها الرطبة .. الخ لو عرف بهذه الاسطر وقتها لشعر انها تنطبق تماماً على ما كان يفكر فيه وربما ما كان ليتوجه لخدمة الكنيسة وإنما لتفهم موقف داروين ووجهة نظره عن ان كل شيء هو (خلاصة للقوانين التي تعمل حولنا)"[٦٨].

ثم يذكر الفقرة الاخيرة من كتاب داروين ، والظاهر ان دوكنز نقل الفقرة الاخيرة من الطبعة الاولى لكتاب اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩م ، حيث قام داروين بتعديلها لتظهر في الطبعة الثانية للكتاب سنة ١٨٦٠م والطبعات التالية اعترافه بوجود الخالق ، وهو الامر الذي لا يسعد دوكنز بل ويكشف عن عدم انصافه لان اي كتاب تكون طبعاته الاخيرة هي المعبرة فعلاً عن الرأي النهائي الذي يستقر عليه رأي المؤلف ، ولكن دوكنز تجنب هذا السياق ليتمسك بالنقل من الطبعة الاولى التي لم يظهر فيها اعتراف داروين بوجود الخالق (سبحانه وتعالى) فتكون متناغمة مع إلحاد دوكنز !

فقد قال داروين في آخر فقرة بكتابه في الطبعة الثانية سنة ١٨٦٠م والطبعات التي تلتها ما ترجمته:

"وان هناك شيئاً من الفخامة في هذا المنظور للحياة ، بالاشتراك مع قدراتها العديدة المختلفة ، في أنه تم نفخها بواسطة الخالق بداخل العدد القليل من الاشكال وفي شكل واحد ، وانه بينما كان هذا الكوكب يدور بناء على القانون الثابت للجاذبية الارضية فإنه

[٦٨] وهم الاله / دوكنز – ص١٣ و١٤.

من مثل هذه البداية البسيطة ، لا توجد هناك حدود للاشكال الحية التي في غاية الجمال والروعة التي قد تم وما زال يتم نشوؤها"[٦٩].

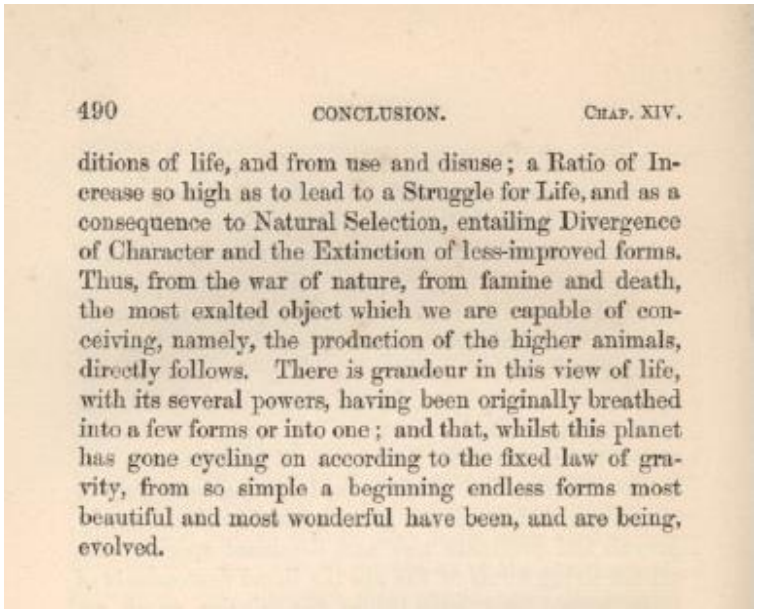

490 CONCLUSION. CHAP. XIV.

ditions of life, and from use and disuse; a Ratio of Increase so high as to lead to a Struggle for Life, and as a consequence to Natural Selection, entailing Divergence of Character and the Extinction of less-improved forms. Thus, from the war of nature, from famine and death, the most exalted object which we are capable of conceiving, namely, the production of the higher animals, directly follows. There is grandeur in this view of life, with its several powers, having been originally breathed into a few forms or into one; and that, whilst this planet has gone cycling on according to the fixed law of gravity, from so simple a beginning endless forms most beautiful and most wonderful have been, and are being, evolved.

الفقرة الاخيرة من كتاب اصل الانواع ، الطبعة الاولى ١٨٥٩م ولا تحتوي على كلمة الخالق (Creator)

[٦٩] أصل الانواع / تشارلز داروين / ترجمة مجدي محمود المليجي – ص٧٨٧.

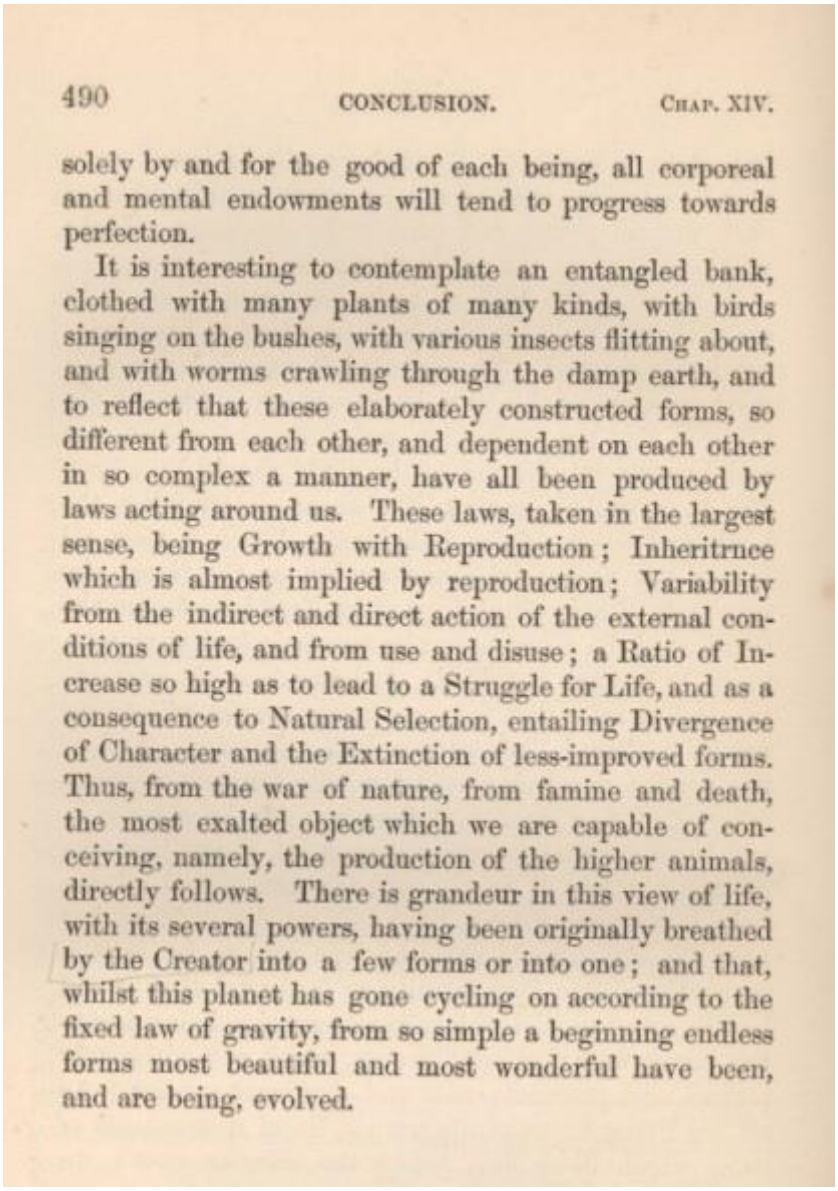

490 CONCLUSION. CHAP. XIV.

solely by and for the good of each being, all corporeal and mental endowments will tend to progress towards perfection.

It is interesting to contemplate an entangled bank, clothed with many plants of many kinds, with birds singing on the bushes, with various insects flitting about, and with worms crawling through the damp earth, and to reflect that these elaborately constructed forms, so different from each other, and dependent on each other in so complex a manner, have all been produced by laws acting around us. These laws, taken in the largest sense, being Growth with Reproduction; Inheritrnce which is almost implied by reproduction; Variability from the indirect and direct action of the external conditions of life, and from use and disuse; a Ratio of Increase so high as to lead to a Struggle for Life, and as a consequence to Natural Selection, entailing Divergence of Character and the Extinction of less-improved forms. Thus, from the war of nature, from famine and death, the most exalted object which we are capable of conceiving, namely, the production of the higher animals, directly follows. There is grandeur in this view of life, with its several powers, having been originally breathed by the Creator into a few forms or into one; and that, whilst this planet has gone cycling on according to the fixed law of gravity, from so simple a beginning endless forms most beautiful and most wonderful have been, and are being, evolved.

الفقرة الاخيرة من كتاب اصل الانواع ، الطبعة الثانية ١٨٦٠م وهي تحتوي على كلمة الخالق (Creator).
ونفس الامر بالنسبة للطبعات المتتالية التي صدرت في حياة داروين

وسنرى في كتابنا هذا كيف ان دارون لم يكن ملحداً بل كان لا أدرياً[٧٠].

[٧٠] داروين متردداً / ديفيد كوامن - ص٩٨.

مقولة كارل ساغان:

ذكر دوكنز عبارة قال انه نقلها من كتاب "النقطة الزرقاء الفاتحة" Pale Blue Dot لكارل ساغان Carl Sagan ، ونصُّها:

"اعجب انه لم يحصل قط ان نظر دين ما الى العلم واستنتج "ذلك افضل مما ظننا ! الكون أكبر وأعظم بكثير بل أدهى وأشد اناقة بكثير مما أخبرنا عنه الانبياء"؟ بدلاً من ذلك يقولون "لا لا لا ! إلهي هو ذلك الاله الصغير وأريد له ان يبقى كذلك". لو ان ديناً ما قديماً او حديثاً قد اصر بشدة على الدهشة بعظمة الكون كما كشفه العلم الحديث لحصل ربما على قدر كبير من التقديس بدون أي ضرورة لوجود أي نوع من الايمان التقليدي المتعارف عليه"[٧١].

وفي النسخة الانكليزية الاصلية لكتاب دوكنز نقلنا النص المترجم السابق، بلغته الاصلية وهو التالي::

"Carl Sagan, in Pale Blue Dot, wrote: How is it that hardly any major religion has looked at science and concluded, 'This is better than we thought! The Universe is much bigger than our prophets said, grander, more subtle, more elegant'? Instead they say, 'No, no, no! My god is a little god, and I want him to stay that way.' A religion, old or new, that stressed the magnificence of the Universe as revealed by modern science might be able to draw forth reserves of reverence and awe hardly tapped by the conventional faiths"[72].

ولم يذكر تفاصيل المصدر الذي نقل منها هذه العبارة كرقم الصفحة مثلاً ! وقد بحثت عن العبارة في النسخة العربية المترجمة لهذا الكتاب فلم اعثر عليها !

[٧١] وهم الاله / دوكنز – ص١٤.

[72] THE GOD DELUSION / Richard Dawkins - p12.

حسناً فلنفترض ان ساغان قال ذلك فعلاً واننا لم نبحث جيداً في المصدر.

والظاهر ان العقيدة المسيحية كان لها تأثير سلبي على مفهوم الإله في ذهن ساغان، فرغم ان "العهد القديم في الكتاب المقدس" صريح في ان الإله هو خالق السموات والارض، وفيه عدد من النصوص التي تبيّن عظمة افله، منها ما جاء في المزامير(١٩: ١- ٤):

"اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَماً وَلَيْلٌ إِلى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً. لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ وَإِلى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَناً فِيهَا".

وايضاً في سفر المزامير (٨: ٣- ٤):

"إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا. فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ".

وفي سفر اشعياء (٤٠: ٢٥- ٢٦):

"فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ".

غير ان ما تمخضت عنه المسيحية التي يمثلها "العهد الجديد في الكتاب المقدس" من اعتبار ان الإله تجسد بهيئة بشرية هو المسيح (عليه السلام)، وتارة يقولون انه ابن الإله وتارة اخرى انه الإله نفسه، وانه الاقنوم الثاني والاب هو الاقنوم الاول والروح القدس الاقنوم الثالث، وانه ضحّى بنفسه ليتمكن من غفران خطايا المؤمنين به!! هذه العقيدة لا يمكن ان تكون مقنعة للعقل الانساني، فكيف يكون الإله واحداً وهو مركب من ثلاثة اقانيم! بل كيف يكون إلهاً ومركباً في نفس الوقت فيحتاج اجزاءه ليكتمل!! فيكون فقيراً في بعض اجزاءه ومحتاجاً لأجزاءه الاخرى!! وكيف يمكن ان يتجسد الإله بصورة بشرية يفترضون انه المسيح (عليه السلام)! وهو بتجسده هذا يعني انه يحتاج الجسد البشري ليتمكن من التجسّد، مع ان الجسد البشري هو مخلوق من قبل الإله! وهذا يعني ان الإله يحتاج بعض مخلوقاته ليتجسد ويظهر بطبيعة بشرية!! بينما الإله يجب ان يكون غنياً عن مخلوقاته. فهذا الارباك الفكري الذي تتسبب به العقيدة المسيحية قد تدفع الانسان للابتعاد عن الاقتناع بهذه العقيدة والابتعاد عن الدين كله!! ولذلك لا نتفاجأ ان رأينا ظهور بعض الاشخاص ممن يؤمنون بوجود إله ولكن لا يؤمنون بالدين لانهم تربوا في بيئة تعتبر المسيحية هي الدين الحق

فإذا اكتشفوا انها لا تصلح ان تكون مقنعة للعقل والمنطق فحينئذٍ سيضربون بالاديان جميعها عرض الحائط، فيسمون انفسهم الربوبيين. فلا نستغرب اذا وجدنا ان الفيلسوف البريطاني الشهير انطوني فلو (١٩٢٣– ٢٠١٠)م الذي قضى عمره ملحداً والّف اكثر من ٣٠ كتاب في الإلحاد، ليتراجع في اواخر حياته الى الايمان بوجود إله وألّف كتاب (هناك إله)، غير انه لم يعتنق أي دين وبقي ضمن خانة الربوبيين أي الذين يؤمنون بوجود إله ولا يؤمنون بالاديان! وقضية تهافت العقيدة المسيحية وعدم قابليتها للتناغم مع العقل الانساني تظهر بوضوح في كلام دوكنز في مناظرته مع جون لينكس John Lennox العالم البريطاني في الرياضيات وفلسفة العلوم والمؤمن بوجود إله خالق للكون، حيث يناقشان قضية الصليب وتضحية المسيح (عليه السلام) على الصليب بحسب عقيدة المسيحيين لغفران الخطايا قال له دوكنز:

"هل تعتقد فعلاً ان الذي صمم هذا الصرح الكوني العظيم، بتوسعه ومجراته، لم يجد وسيلة أفضل من تخليص الخطايا، على ذرة الغبار هذه، من ان يسلّم نفسه للتعذيب؟! هو الذي يصفح الخطايا بكل حال فلماذا لم يصفح وحسب؟!!"[٧٣].

ويقول دوكنز في مناظرته مع الكاردينال جورج بيل وهو اعلى رجل في الكنيسة الكاثوليكية في استراليا:

"الافكار الفظيعة التي جاء بها العهد الجديد، اعني جوهر المسيحية من ان المسيح الذي هو ابن الرب وقد جاء ليخلصنا من الخطيئة، الخطيئة التي ولدنا بها ونعيش معها. والطريقة الوحيدة لهذا الخلاص هي بموت المسيح فداء لنا، أظن أن هذه فكرة فظيعة بذاتها المجرّدة، طبعاً سيكون من المفزع أن الرب، الذي هو مستودع المعرفة والحكمة والقوة، لم يتمكن من التفكير في طريقة لتخليصنا من الخطايا وغفرانها إلا أن يأتي بنفسه الى الارض، ويتمثل بشخص ابنه، ثم يعرض نفسه للتعذيب والإعدام كي يتمكن من الغفران لنفسه"[٧٤].

ولا يمكن ان نلوم دوكنز لرفضه فكرة ان الإله لا يتمكن ان يغفر الخطايا الإ بعد تعذيبه على يد اليهود ثم تضحيته بنفسه او بأبنه على الصليب!! بينما في الاسلام نجد شيئاً مختلفاً كليّاً. في الاسلام يغفر الإله لكل من يؤمن به، ويغفر لكل من يعلن توبته، مجرد اعلان شفوي او يقرر

[٧٣] مناظرة جون لينكس مع ريتشارد دوكنز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي ومترجمة الى العربي تحت عنوان: (هل دفن العلم الله).

[٧٤] حوارات سيدني / مجموعة حوارات لريتشارد دوكنز – ص١٩.

الانسان مع نفسه انه تاب عن ذنوبه ومعاصيه ترافقها نيّة صادقة بالتوبة في قرارة نفسه، فحينئذٍ سيغفر الإله له، و كما وعده في القرآن الكريم. وبالاضاة الى ذلك قد اعلن الاسلام مواسم للتوبة كما في شهر الصيام وايام الحج في مكة، وليالي الجمعة، وغيرها من المواسم الاسلامية التي تذكّر بالتوبة وضرورتها قبل الموت، وبنفس الطريقة المذكورة، أي بقرار مع النفس. وأيضاً بالاضافة الى ذلك، فقد اعلن الإله انه يمكن ان يغفر جميع ذنوب البشر بصورة "مجانية" إنْ صح التعبير، عدا ذنب الاشراك به، فقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا))[٧٥]. ومن الطبيعي انه اذا لم يغفر لمن يشرك به فمن باب اولى أن لا يغفر للملحد الذي يجحد وجوده. فكل هذه العظمة الإلهية التي يكشف عن جانب ضئيل جداً منها عظمة الكون الذي على سبيل المثال يحتوي على حوالي ٢١٥ مليون مجرّة وكل مجرة على ملايين النجوم، وكل هذا التصميم الفريد والنظام الدقيق للكون والنجوم والانسان والكائنات الحية والطبيعة، وإبداع إيجاد المادة والحياة، ثم يأتي ملحد ليجحد وجود الإله، بكل وقاحة!!

وفي الاسلام، يبين لنا القرآن الكريم جانباً من عظمة الإله الذي خلق الكون، فيقول عزَّ مِن قائل:

((قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))[٧٦].

وقال تبارك وتعالى:

((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِن

[٧٥] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ٤٨.

[٧٦] القرآن الكريم، سورة فصلت، الآيات (٩– ١٢).

تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[٧٧].

وقال عزَّ وجلَّ:

((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ))[٧٨].

وقال سبحانه وتعالى:

((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[٧٩].

ونقرأ في القرآن الكريم قصة النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام):

((وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[٨٠].

---

[٧٧] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآيات (٢-٥).

[٧٨] القرآن الكريم، سورة الملك، الآيات (١-٥)).

[٧٩] القرآن الكريم، سورة الزمر، الآيات (٦٢-٦٧).

[٨٠] القرآن الكريم، سورة الانعام، الآيات (٧٥- ٧٩).

هذه الآيات الكريمة تبين جانباً من عظمة الإله تبارك وتعالى. الإله الذي لا يمكن ان يكون كوكباً، ولا قمراً، ولا شمساً، فهو دائم الوجود، أزلي وأبدي، غير مادّي، الذي فطر السماوات والارض أي خلقهن وهن بهذه العظمة من ايجاد ونظام دقيق، ومن يخلق هذه العظمة فهو بلا شك اعظم بكثير.

ويقدح في ذهني فكرة من قراءة قوله تعالى: ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ))، فالمعروف ان زينة السماء الدنيا هي النجوم والكواكب التي هي مرئية للانسان في مختلف العصور، ولا تحتاج تقدم علمي لرؤيتها، بل هي مرئية بالعين المجردة لعموم البشر، وفي عموم الازمنة وفي عموم مناطق الارض. فكون الإله سبحانه وتعالى قد جعلها رجوماً للشياطين، قد لا يكون فقط ما يفسره المفسرون بأنها الشُهب والنيازك التي تتبع الشياطين التي تحاول استراق السمع، فقد يكون هذا احد مصاديقها، وربما هناك مصداق آخرن وهو ان هذه المصابيح دليل دائم على وجود الإله وعظمته، لأن من يصنع هذه النجوم والكواكب المضيئة على بعد مسافتها ويعطيها خاصية الانارة هو بلا شك اعظم مما خَلَقْ. فكانت هذه المصابيح دليلاً دائمياً على وجود الإله وعظمته، فهي بذلك ترجم الملحدين الذين يجحدون وجود الإله ويُعَلِّمُون الناس ان يجحدوا مثلهم، فالملحدون هم من شياطين البشر الذين يعلمون الناس الكفر. وقد ذكر القرآن الكريم ان الشياطين منهم من الجن ومنهم من الانس اي البشر، فقال تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا))[٨١].

نعود لكلام كارل ساغان الذي نقله دوكنز، فإنَّ قوله "الكون أكبر وأعظم بكثير بل أدهى وأشد اناقة بكثير مما أخبرنا عنه الانبياء" هو كلام سطحي وتافه، فالكون وعظمته من الامور المحسوسة لكل انسان، ولا تحتاج لمن يشرح عظمة الكون، فالكون يدل على عظمته بنفسه، فهو القائم المحيط بنا بسمائه وارضه ونجومه وشمسه وقمره وكواكبه، وجباله وانهاره وهوائه. هو عظيم بوجوده الذي لا يمكن لأي قوة انسانية ان تأتي بمثله.أما الانبياء فهم مصدر هداية وإرشاد، فليس من واجبهم النبوي التحدث عن تفاصيل العلوم لعموم البشر. الانبياء هم مصدر للهداية وليسوا مصدراً لحسابات فيزيائية، ولا الكتب المقدسة التي تصل الى البشرية عن طريقهم هي كتب علمية تخصصية بل هي كتب هداية عامة. ومع ذلك فهناك اشارات واضحة فيها الى ان عظمة الله سبحانه وتعالى هي اكبر واشد واعظم من عظمة هذا الكون ، كيف لا وهو خالقه ، فالموضوع تحصيل حاصل ، أي ان عظمته سبحانه وتعالى هي امر مفروغ منه للمؤمنين بكونه هو خالق هذا الكون، فكيف يخلق هذا الكون الا من هو اعظم منه قدرة وعلماً وحكمةً.

[٨١] القرآن الكريم، سورة الانعام، الآية ١١٢.

فعلى سبيل المثال نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وأَنَّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرى)) ، والشِّعْرى هي كوكب نَيِّر يقال له المِرْزَم يَطلعُ بَعد الجوزاء، وطلوعه في شدّة الحرّ[٨٢]، وقيل أن قبيلة خزاعة وحِمْيَر كانت تعبد هذا الكوكب. وفيه تقريع لمن يعبد الشعرى التي هي جزء من الكون ويترك عبادة الله (تبارك وتعالى) خالق الكون.

وقال تعالى: ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)) ، وهي تبين بوضوح عظمة الخالق جلّ وعلا الذي بنى السماء، وهل يبنيها الا من هو اعظم منها، ليس ذلك فقط، بل بناها وهي مستمرة الان بالتوسع، وهو مطابق للنظرية الكونية التي تقول بتوسع الكون. ولذلك يردد المسلم دائماً: الله أكبر.

وبالمناسبة فإن توسع الكون المستمر دليل على الخلق المستمر، ولذلك فلا يصح ان يسأل احدهم ماذا يفعل الإله الان بعد ان خلق الكون، لان عملية الخلق مستمرة. وحيث ان هناك حركة حادثة ومستمرة فهي تحتاج الى محدث لها، وهو الإله. صحيح ان الحركة لها قوانينها التي وضعها الإله لها، ما نعلمه منها وما لا نعلمه، ولكن حدوث الاشياء المخلوقة ودوام قوانينها لا يمكن ان يستمر لولا دوام قيومية خالقها. ولذلك كان اسم (القيّوم) من الاسماء الحسنى. وسوف نناقش هذه القضية بالتفصيل في الفصل الرابع القادم إنْ شاء الله، حينما نفند ادعاء دوكنز حول عدم وجود عمل للإله بعد انجاز الخلق!

وبمناسبة ذكر دوكنز لساغان وكتابه المشار اليه، فكما ذكرنا في فقرات سابقة عن اتجاه الملحدين لتبني مفاهيم قومية عنصرية، نجد ان ساغان قد تلفظ فيه بعبارة فيها مضامين عنصرية، حيث قال:

> "إن الفوز بموطيء قدم على عوالم أخرى يهمس في أذننا بأننا شيء أكبر من البكتيّين أو الصِّرب أو بولينيزيّي تونجا أننا بشر"[٨٣].

ويعلق حسين بيومي في هامش نفس الصفحة: "(البكتيون) شعب في شمال اسكتلندا ورد اسمه لأول مرة في السجلات التاريخية في نهاية القرن الثالث الميلادي. (البولينيزيون) هم سكان مملكة

---

[٨٢] لسان العرب / ابن منظور - ج٤ ص٤١٦.

[٨٣] كوكب الارض ، نقطة زرقاء باهتة / كارل ساغان – ص٢٣٠.

تونجا الصغيرة البالغة عددهم ٩٥ ألف نسمة. ما يسترعي الاهتمام هو أن المؤلف على الرغم مما يبديه من روح التسامح على مدى الكتاب يظهر هنا نظرة استعلاء غير مفهومة ولا مبررة" !

فما الذي يردع الملحد عن العنصرية والجريمة وعموم المظالم، اذا كانت الحياة الدنيا لن تحقق العدالة للبشر، وليس هناك حياة آخرة بحسب معتقده، فالموت سوف ينهي حياة الانسان الظالم والمظلوم ويتحول كل شيء الى هباء. فلماذا إذن لا يكون الملحد عنصرياً أو مجرماً؟!!

الالحاد أيضاً دين:

قال دوكنز:

"كل نهايات كتب ساغان تصيب نهايات الاعصاب وتسبب دهشة متعالية كانت حكراً على الدين في القرون الماضية. كتبي كذلك تطمح لنفس الشيء. خلاصة يتم غالباً وصفي بالتدين. كتبت احدى الطالبات الامريكيات عن رأي بروفيسور لها عندما سألته عني: (من المؤكد ان علمه لا يتطابق مع الدين لكنه مشمع بنشوة عارمة عن الطبيعة والكون ، وهذا تدين بالنسبة لي). لكن هل الدين هو الكلمة المناسبة؟ لا اعتقد ذلك. هذه النقطة تكلم عنها حامل جائزة نوبل للفيزياء (الملحد) ستيفن واينبرغ في (الحلم بالنظرية النهائية): (يحمل البعض رؤيا عريضة ومرنة جداً عن الله ومن المحتم انهم سيجدون الله أينما بحثوا. نسمع أقوالاً مثل "الله هو النهائي" أو "الله هو طبيعتنا المثلى" أو "الله هو الكون". بدون شك يمكن ان نعطي كلمة الله تماماً مثل أي كلمة أخرى ، أي معنى نريده. عندما تقول ان "الله طاقة" فسنجده أذن في قطعة اللحم). واينبرغ على حق بدون ادنى شك وحتى لا تكون الكلمة "الله" عديمة المعنى وبدون فائدة علينا ان نضع لها تعريفاً عاماً يفهمه الجميع: كلمة تدل على خالق من عالم ما وراء الطبيعة و(شيء جدير بأن نتوجه له بالعبادة)"[٨٤].

ومن الواضح أنَّ النص الذي استشهد دوكنز به من كتاب ستيفن واينبرغ Steven Weinberg ليدحض من يصف الحاده بانه ايضاً تدين ، تدين إلحادي ، ولكن النص الذي اقتبسه من واينبرغ

[٨٤] وهم الاله / دوكنز – ص١٤ و١٥.

لا يتحدث عن هذه النقطة بل هو يتحدث عن الله سبحانه وتعالى وليس عن الدين وطبيعته ومفهومه ! أي ان النص الذي اقتبسه لا يساعد فكرته !

ومن جهة أخرى ، يتصور دوكنز ان الدين هو فقط المنظومة الفكرية والعقائدية التي تؤمن بإله ومقدسات. في حين اننا لو راجعنا التعريف الفلسفي للدين نجد ان لالاند في معجمه الفلسفي ذكر ثلاثة تعاريف للدين ، اهمها: "الاحترام الضميري لقاعدة ، لعادة ، لشعور. دين كلام الشرف. إن هذا المعنى الذي قد يكون الأكثر قدماً ، كان في الماضي أكثر تداولاً مما هو عليه اليوم"[٨٥]. وبذلك يمكن ان نعتبر إنَّ الايمان بالالحاد هو نوع من التدين وان الملحد يعتنق ديناً قائماً على الايمان بعدم وجود إله ويرى ان الانسان ظهر نتيجة مراحل تطورية عبر ملايين السنين ! وان لهذا الدين منظومة اخلاقية اساسها الحرية الشخصية الموغلة في الشخصنة لدرجة الابتذال ! وربما كانت الثورة الجنسية التي نبتت في اربعينيات القرن العشرين وانتشرت في ستينياته والتي ظهرت منها حركة الهيبيز hippie في الستينيات المذكورة وهي حركة مبنية على مفاهيم الحادية وجودية محركها المخدرات والجنس وموسيقى الروك ، خير مثال على الاخلاق الالحادية ! وقد شارك الملحدون في تلك الثورة الجنسية والحركة الهيبية ، الملحدون المعلنون لإلحادهم ، والاخرون المتبنون للالحاد العملي (اي الشخص الذي يتظاهر بالايمان بدين سماوي او ارضي وتكون تصرفاته منفلتة وغير خاضعة لذلك الدين الذي يعلنه وانما تصرفات منفلتة ومبتذلة تعكس عدم ايمانه الحقيقي بوجود الخالق).

دين اينشتاين ...

يعوّل دوكنز كثيراً على وجود فائدة من ان يكون العالم الفيزياوي الشهير ألبرت اينشتاين (١٨٧٩ – ١٩٥٥)م ملحداً ولذلك يحاول ان يحرف عبارات اينشتاين لتصب في هذا المطلب. وفي الحقيقة فإنه من الصعب لمن يقرأ كلام أينشتاين ان يتهمه بالالحاد. نعم ربما يكون ربوبياً (يؤمن بوجود الخالق ولا يؤمن بالاديان السماوية) او لا ادرياً (يشك ببين وجود الخالق او عدمه) ، وربما كان شيعياً كما اشاع البعض ! لكن ان يكون ملحداً فهذا اضعف الاحتمالات ، بل هو الاحتمال المستبعد.

[٨٥] مدخل الى فلسفة الدين / محمد عثمان الخشت - ص١٩.

ولكن هل هناك فائدة حقيقية من أن يكون اينشتاين يهودياً او مسلماً او ربوبياً او ملحداً ؟ هل ان فكر اينشتاين هو معيار الحق ؟ استغرب كثيراً من طريقة تفكير دوكنز ! فسابقاً كنت اعرف كمعلومة عابرة ان اينشتاين كان يهودياً ، ولم يؤثر هذا على ايماني او على ايمان من اعرفهم شيء. ثم عرفت انه لم يكن يعتنق الفكر اليهودي ، وان لديه كلام قد يجعل منه ربوبياً. وربما كما يفترض دوكنز يكون ملحداً. فما علاقة هذا بالحق والباطل والحجة الصحيحة. فنحن نعرف ان الاصل هو الحجة الصحيحة والدليل الحق لتحصيل الحقيقة ، كما نعرف من القول المروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب: "إنَّ الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف اهله"[٨٦]، أي ان معرفة الحق هي المطلوبة ومن ثم انظر من يتبع ذلك الحق من الناس. اما ان يكون الحق تبعاً للرجال فهذا يعني اتباع الهوى. فقد يستهويك شخص ما بكاريزميته او علميته او نبوغه فتتبع افكاره في مجال تخصصة وايضا في غير مجال تخصصه ! فحينئذٍ تكون قد اتبعت اهوائك. قال تعالى: ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)) ، وروي عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة: " فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ".

اما ان يكون تحديد ديانة ومعتقد اينشتاين من باب دراسة شخصيته ، ودراسة سيرة حياته فلا بأس من دون ان تكون له اية دلالة عقائدية خارج هذا الاطار.

ونحاول ان نستعرض الان بعض العبارات المنقولة عنه لعلنا نستفيد منها في الكشف عن موقفه الفكري من قضية وجود الخالق.

قال ستيفن وانبرغ:

> "وقد قال إينشتاين ذات مرة لتلميذه إرنست شتراوس: (إن ما يهمني حقاً هو أن اعلم ما إذا كان لله أي خيار في خلق هذا العالم)"[٨٧]. ... "كانت ديانة أينشتاين غامضة لدرجة تجعلني أعتقد أنه أورد عن قصد جملة (بعبارة مجازية)"[٨٨].

---

[٨٦] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – ج١ ص٣٤٠.

[٨٧] احلام الفيزيائيين / ستيفن وانبرغ – ص١٩٠.

[٨٨] المصدر السابق.

"وقد قال اينشتاين ذات مرة بأنه يعتقد (بإله سبينوزا ، الذي يتجلى في تناسق موجودات هذا الكون ، لا بإله يهتم بمصائر وأفعال الكائنات البشرية)"[٨٩].

وقال والتر ايزاكسون:

"ذات مساء في برلين دُعي أينشتاين وزوجته الى حفل عشاء عبّر فيه أحد الضيوف عن إيمانه بالتنجيم ، استخف أينشتاين بالفكرة معتبراً إياها خرافة صِرفة ، ثم تقدم ضيف آخر واستخف أيضاً بمكانة الدين وأصر على أن الايمان بالله يعتبر هو الآخر خرافة ، وعند هذا الحد حاول المضيف أن يسكته عن طريق الاشارة الى أن أينشتاين يُكن في نفسه معتقدات دينية. قال الضيف الشكاك: هذا مستحيل ، والتفت الى أينشتاين ليسأله إن كان متديناً بالفعل ، رد أينشتاين عليه بهدوء قائلاً: "نعم يمكن أن تقول هذا. حاول ان تخترق أسرار الطبيعة بوسائلنا المحدودة وسوف تجد انه يوجد فوق نطاق كل القوانين والعلاقات التي ندركها شيء غامض لا يُدرك ولا يمكن تفسيره ، وأن ديانتي هي تعظيم هذه القوة الموجودة فوق نطاق أي شيء يمكننا فهمه ، وبهذا أكون متديناً بالفعل"[٩٠].

"مرّ أينشتاين وهو طفل بمرحلة دينية سعيدة غير انه تمرد عليها فيما بعد ، واتجه الى عدم التحدث كثيراً عن هذه المالة خلال العقود الثلاثة التالية. على أنه عندما بلغ الخمسين من عمره بدأ يفيض في الحديث عنها بصورة واضحة ، فقد عبّر في عديد من المقالات واللقاءات والرسائل عن تقديره العميق لميراثه اليهودي ، وعبّر أيضاً عن إيمانه بالله على الرغم من أن هذا الايمان جاء نوعاً ما في صورة مفهوم مجرد عن الله واعتقاد بأن الله قد خلق الكون لكنه لا يتدخل فيه"[٩١].

"كشف اينشتاين عن ايمان عميق باتساق الكون وانتظامه سواء أكان ذلك باعتناقه للجمال في مهادلاته عن مجال الجاذبية أو برفضه لمبدأ عدم اليقين في ميكانيكا الكم ، وعمل هذا الايمان كأساس لوجهة نظره العلمية ، وأيضاً لوجهة نظره الدينية ، وكتب عام ١٩٢٩ يقول: (غن اعظم ما يرضي الشخص العلمي هو التوصل الى ان قدرة الله

[٨٩] احلام الفيزيائيين / ستيفن وانبرغ – ص١٩١.

[٩٠] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون - ص٣٩٣ و٣٩٤.

[٩١] المصدر السابق - ص٣٩٤.

نفسه على تنظيم هذه العلاقات بطريقة أخرى غير تلك الموجودة عليها لا تزيد عن قدرته في ان يجعل الرقم أربعة رقماً أولياً)"[٩٢].

وقد دار الحوار التالي بين شاعر الماني اسمه جورج سيلفستر فيريك وبين أينشتاين ، بعد فترة وجيزة من بلوغ أينشتاين الخمسين من العمر ، ننتقي منها الاسئلة والأجوبة التالية:

فيريك: هل تقبل فكرة الوجود التأريخي للمسيح؟

أينشتاين: اقبلها دون شك ، لا يمكن لأحد أن يقرأ الأناجيل دون الشعور بالوجود الحقيقي للمسيح ، فشخصيته تنبض في كل كلمة ، ولا توجد أي خرافة تتمتع بمثل هذا القدر من الحياة.

فيريك: هل تؤمن بالله؟

أينشتاين: لست ملحداً. فالمسألة المطروحة أكبر من أن تستوعبها عقولنا المحدودة ، نحن نقف في موقف الطفل الصغير الذي يدخل مكتبة ضخمة مملوءة بكتب مكتوبة بلغات عديدة. يعرف الطفل أنه لا بد أن شخصاً ما كتب هذه الكتب ولكنه لا يعرف كيف ، فهو لا يعرف اللغات التي كتبت بها هذه الكتب. ويساور الطفل قد ضئيل من الشك في ان هناك نظاماً غامضاً استُخدِمَ في ترتيب الكتب غير أنه يجهل كنه هذا النظام. وحسبما يراءى لي فإن هذا هو موقف البشر من الله ، حتى أكثرهم ذكاء. فنحن نرى الكون منظماً على نحو يثير الدهشة ويخضع لقوانين معينة ، لكننا لا نفهم هذه القوانين إلا بقدر ضئيل.

فيريك: هل هذا مفهوم يهودي عن الله.

أينشتاين: انا من المؤمنين بالقضاء والقدر ، ولا أؤمن بالإرادة الحرة في حين يؤمن بها اليهود مثلما يؤمنون بأن الانسان يشكل حياته ن وأنا أرفض هذه العقيدة ، وانا لست يهودياً فيما يتعلق بهذا الامر.

فيريك: هل هذا هو رب اسبينوزا؟

[٩٢] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون - ص٣٩٤.

أينشتاين: انا مفتون بمذهب وحدة الوجود الذي قال به اسبينوزا ، على أنني معجب بدرجة أكبر بإسهامه في الفكر الحديث ، فهو أول فيلسوف يتعامل مع الروح والجسد باعتبارهما كياناً واحداً وليسا شيئين منفصلين.

فيريك: هل تؤمن بالخلود؟

أينشتاين: لا ، حياة واحدة تكفيني[٩٣].

وفي صيف عام ١٩٣٠ كتب عن العقيدة التي يعتنقها وأطلق على ما كتبه أسم (ما أؤمن به) What I Believe ، جاء فيه:

"إن الغموض هو أجمل عاطفة يمكن أن نشعر بها ، وأي إنسان يستغرب هذه العاطفة أو لم يعد يتعجب ويقف منتشياً في رهبة فهو كالميت أو كالشمعة التي انطفأ لهيبها. والتدين هو الشعور بأنه يوجد وراء أي شيء يمكن الشعور به شيء لا تستطيع عقولنا استيعابه ولا يصلنا جماله وسناؤه ورفعته إلا بشكل غير مباشر. وبهذا المعنى ، وبهذا المعنى فقط فأنا رجل متدين ورع"[٩٤].

وعندما سُئِلَ أينشتاين: هل يؤمن بالله؟ اجاب:

"لا اتصور إلهاً شخصياً يؤثر بصورة مباشر على تصرفات الافراد ، او يُصدر أحكاماً على مخلوقات من صنعه ، إن تديني ينبع من إعجاب متواضع بالروح الهائلة في عظمتها التي تكشف عن نفسها في الامور القليلة التي يمكننا فهمها عن العالم المادي ، وتتشكل فكرتي عن الله من هذا الاقتناع العاطفي العميق بوجود قوة مدبرة عظمى تظهر في العالم اللانهائي"[٩٥].

وطرحت فتاة في الصف السادس في احد مدارس الاحد التابعة للكنيسة في نيويورك على أينشتاين السؤال التالي: (هل يصلي العلماء)؟ "أخذ اينشتاين السؤال مأخذ الجد وقال لها:

(يقوم البحث العلمي على فكرة أن كل شيء يحدث في الكون تحدده قوانين الطبيعة، وينطبق هذا على تصرفات الناس. ولهذا السبب تجدين من الصعب على العالِم أن يميل

---

[٩٣] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون - ص٣٩٤- ٣٩٦.

[٩٤] المصدر السابق – ص٣٩٦.

[٩٥] المصدر السابق – ص٣٩٧.

الى الاعتقاد بأن مجرى الاحداث يمكن أن يتأثر بصلاة مصلٍّ، أي بامنية يتوجه بها الى كائن خارق لتحقيقها له) ومضى يشرح للفتاة أن هذا لا يعني أنه لا يوجد إله قدير أو روح أعظم من أرواحنا ، ثم قال للفتاة الصغيرة: (كل من يرتبط ارتباطاً حقيقياً بالانشطة العلمية يقتنع بأنه توجد روح تتجلى في قوانين الكون ، وهي روح أعظم بكثير من روح الانسان ، وهي روح ينبغي على البشر بقواهم المتواضع أن يشعروا بالضعة أمامها. وبهذه الطريقة تقود الانشطة العلمية الى خلق شعور ديني من نوع خاص عند من يقومون بها وهذا الشعور يختلف تمام الاختلاف عن تدين الشخص الأقل علماً"[٩٦].

وكتب ايزاكسون ان ويليام هنري أوكونيل William Henry OConnell رئيس اساقفة مطرانية بوسطن اتهم اينشتاين بالالحاد ، وهذا الانتقاد العلني شجع الحاخام هربرت إس جولدشتاين Herbert S. Goldstein الزعيم اليهودي الآرثوذكسي الشهير في نيويورك لأن يرسل اليه برقية قال فيها: "هل تؤمن بالله؟" فاجاب أينشتاين جوابه الشهير:

"أنا أؤمن بإله اسبينوزا الذي يعبر عن نفسه من خلال التآلف المنظم لكل الموجودات ، على انني لا أؤمن بإله يهتم بمصائر وأفعال البشر"[٩٧].

"كان اينشتاين طوال حياته ثابتاً على موقفه في رفض رميه بتهمة الالحاد ، وقال لصديقه: (هناك أشخاص يقولون بعدم وجود إله ، على أن ما يغضبني كثيراً هو انهم يستشهدون بي لدعم وجهات النظر هذه)"[٩٨]. "وقال ذات مرة: (إن الشعور بالضعة التامة أمام انسجام الكون بأسراره بعيدة المنال هو الفارق بيني وبين اولئك الذين يطلق عليهم اسم الملحدين)"[٩٩]. "وكتب في خطاب يقول: (إن الملحدين المتعصبين شأنهم شأن العبيد الذين لا يزالون يشعرون بثقل سلاسلهم التي نُزِعَت عنهم بعد نضال شاق. إنهم مخلوقات عاجزة عن سماع صوت موسيقى السماوات بسبب ما يكنونه في صدورهم من حقد على الدين المتوارث مما يجعلهم مثل أفيون الجماهير)"[١٠٠].

---

[٩٦] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون – ص٣٩٧.

[٩٧] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون / ترجمة هاشم احمد / كلمات عربية للترجمة في القاهرة / الطبعة الاولى ٢٠١٠م – ص٣٩٧ و٣٩٨.

[٩٨] المصدر السابق – ص٣٩٩.

[٩٩] المصدر السابق – ص٣٩٩.

[١٠٠] المصدر السابق – ص٣٩٩.

وتبادل أينشتاين ... "مراسلات عن هذا الموضوع مع ملازم في البحرية المريكية لم يلتق به أبداً ، سأله الملازم البحري قائلاً: (هل صحيح ان قسيساً يسوعياً قد هدى أينشتاين الى الايمان بالله؟) ، رد اينشتاين بأن ذلك سخف ، ومضى في القول انه يعتبر أن الايمان بإله كان رمزاً للأبوة يأتي نتيجة (قياسات طفولية) ، وساله الملازم البحري إن كان يسمح له بأن يستشهد برده في مناظراته مع زملائه الأكثر تديناً على سطح السفينة ، فرد أينشتاين بتحذيره من المبالغة في التبسيط قائلاً: (ربما تصفني بأنني من المؤمنين باللاأدرية غير أني لا أحمل تلك الروح العدائية التي يحملها الملحد المحترف الذي غالباً ما تكون حماسته نتيجة أحد ردود الأفعال المؤلمة للتحرر من اغلال التعليم الديني الذي تلقاه في صباه وينغرس في ذهنه ، وانني أُفضل موقف المتواضع وهو الموقف الذي ينسجم مع ضعف قدراتنا العقلية على فهم أنفسنا والطبيعة)"[١٠١].

و"شرح اينشتاين فيما بعد وجهة نظره عن العلاقة بين العلم والدين في مؤتمر عن هذا الموضوع عُقِدَ في كلية اللاهوت بنيويورك قال فيه: (إن مهمة العلم أن يحدد كنه المسألة ولكن ليس عليه أن يقيم الأفكار والأفعال الانسانية حول ما "يجب" أن تكون عليه المسالة ، اما الدين فيقوم بعكس ذلك تماماً وإن كان هذا لا ينفي أن مساعي العلم والدين قد التقت بعضها مع بعض أحياناً) ، وقال: (لا يمكن أن ينشأ العلم إلا عن طريق أولئك الذين تملكهم الطموح للوصول الى الحقيقة والفهم ، ولا تنبع المشاعر إلا من المجال الديني)" ، وقال في نهاية حديثه الجملة البليغة التي حظيت بشهرة كبيرة: (يمكن التعبير عن الموقف باستخدام التصور الآتي: العلم بلا دين أعرج ، والدين بلا علم أعمى)[١٠٢].

ويقول توماس برنابا:

"أما عن توجهه الديني فقد صرح بأنه يتبع الايمان الحلولي Pantheistic لباروخ أسبينوزا... وقد سمى نفسه Agonistic و لم يشر لنفسه بأنه ملحد على الاطلاق...

[١٠١] اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون– ص٣٩٩.

[١٠٢] المصدر السابق – ص٤٠٠.

ففكرة الايمان بخالق لم تبارح ذهنه قط ولكن هذا الاله غير شخصي كما يقول الربوبيين Deists ! وبذلك يكون توجه أينشتين الديني هو لاديني !"[١٠٣].

وفي الحقيقة فإن اينشتاين لم يكن لا ادرياً ولم يكن ربوبياً كما انه من الواضح انه لم يكن ملحداً ، لقد كان يؤمن كما صرّح بإله سبينوزا ، وذكر كما مرّ آنفاً انه يؤمن بوحدة الوجود.

وقد تحدثت وليم كلي رايت William Kelley Wright في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة) عن اسبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢– ١٦٧٧)م وأفكاره الفلسفية وعقيدته ، ويمكن ان نختصر ما جاء فيه بالعبارات التالية التي تتعلق بمطلبنا في كتابنا هذا. يقول رايت متحدثاً عن فكر وإله إسبينوزا:

"والكلمات الثلاث: الجوهر والطبيعة والله ، تدل على نفس الموجود"[١٠٤]. "وليس الله – من حيث انه جوهر لا متناه له صفات لا متناهية – أي خاصية من الخصائص العادية للإنسان. فهو نسق رياضي وآلي عظيم من الناحية الطبيعية – اعني الطبيعة بأسرها ، وهو يفعل وفقاً لقوانين الرياضيات. وهو أزلي مثل الهندسة. فمنذ متى بدأ مجموع زوايا المثلث الثلاث يساوي يساوي زاويتين قائمتين ، ومتى ستتوقف عن ان تكون كذلك؟ تلك أسئلة ليس لها معنى ، لأن مباديء الهندسة لا زمانية وازلية. إن الله ليس خالقاً للعالم في لحظة معينة، إلا بمقدار ما يمكن القول أن بديهيات الهندسة ومسلماتها يمكن أن تخلق النظريات في زمن معين ، لأن مباديء الامتداد محايثة في الله من حيث إنه أساسها الأزلي والذي لا يحدده زمان. فالله علة محايثة للعالم ، بمعنى أنه الاساس المنطقي أو الجوهر ، أي أنه لم يصنع العالم لأنه ببساطة هو العالم. ومع ذلك فهو أيضاً عقل ، لأنه واع ويجد متعة عقلية في كماله الرياضي والمنطقي ، وذلك جزء مما يعنيه أسبينوزا بالقول بأن الله يحب نفسه"[١٠٥].

"ولأن الله كامل وشامل كل الشمول ، ليس له انفعالات وعواطف مثلنا ، تُحدثها أشياء خارجية ، ولأنه كل ، فإنه لا يمكن ان يرغب شيئاً ، ولذلك ليس له غايات ، خطط يرغب في تنفيذها ، وليس له بالتالي إرادة. ونحن نتعقل لكي نكتشف ما لا نعرفه ، أما الله الذي يعرف كل شيء فإنه لا يحتاج الى ذلك ، ومن ثم ليس له عقل بالمعنى

[١٠٣] مقال بعنوان (جدلية أينشتاين في وجود الله) بقلم توماس برنابا ، منشور في موقع (الحوار المتمدن) ، عبر الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=353987

[١٠٤] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص١١٨.

[١٠٥] المصدر السابق – ص١١٩ و١٢٠.

الانساني. ونحن نطلق على الاشياء التي نرغبها اسم الخير ن ونطلق على الأشياء التي نكرهها اسم الشر ، أما بالنسبة لله – الذي لا يملك رغبات أو صنوفاً من الكراهية – فلا يمكن ان توجد قيمة اخلاقية. ومن الحمق أن نفكر في الله على انه يخلق أي شيء لمنفعة الناس ، أو أنه يبطل قوانين الطبيعة ويقدم معجزات مكانها. إن الخير والشر والجمال ، صفات إنسانية غير كافية ، وليست خاصية لله على نحو ما هو عليه بالفعل. ويمكن للمرء أن يرى لماذا اتهمه الأصوليون المسيحيون واليهود الذين عاشوا في عصره بأنه ملحد. فهو يبدو منكراً لوجود الإله الذي يحب الانسان ويعتني به ، ويصلي له الانسان ، ويستمد منه العون والمساعدة"[١٠٦].

"إن وجهة نظر اسبينوزا عن الله ليست هي، بالفعل، مذهب الالحاد، ولكنها بالاحرى مذهب وحدة الوجود (وهي كلمة لم تكن قد ظهرت بعد في عصره[١٠٧]) وهي وجهة نظر تذهب الى ان الله هو الكل والكل هو الله. ويختلف مذهب وحدة الوجود، مع انه غير مالوف، عن مذهب الالحاد أتم الاختلاف. إنَّ الله وصفاته – عند اسبينوزا كما رأينا – لا متناه وأزلي، ولا يمكن أن يتغير، الله هو الجوهر الكلي، والاساس الاقصى وماهية كل شيء عقلي وفيزيائي. ويسمي اسبينوزا ، إحياءً لمصطلح مدرسي، الله "الطبيعة الطابعة" Natura naturans (المبدأ الفعال)، أعني الطبيعة التي توجد الاشياء منفصلة في العالم ، بينما يسمي الأشياء المنفصلة في الوجود بـ "الطبيعة المطبوعة" Natura naturata (المبدأ المنفعل) أعني الاشياء الجزئية كما نعرفها، وهي منفصلة بعضها عن بعض، وليست دائمة، وهي ايضاً الله"[١٠٨].

وعلى صعيد آخر ، فقد ظهرت ادعاءات ان اينشتاين في اواخر حياته قد اعتنق الاسلام وفق مذهب الشيعة الامامية ، حيث نشر موقع (العربية.نت) هذا الخبر تحت عنوان (مرجع إيراني بارز: أينشتاين كان شيعياً) ، ونص ما جاء فيه:

---

[١٠٦] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص١٢٠.

[١٠٧] يقصد رايت انها لم تظهر في الفكر الاوربي ، وإلا فإن مصطلح وحدة الوجود الذي كان احد مرتكزات تصوف ابن عربي قد تم بعثه من جديد بشدة على يد ملا صدرا الذي توفي في البصرة بعد ولادة اسبينوزا في امستردام بثمان سنوات.

[١٠٨] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص١٢٠ و ١٢١.

{أثار فيديو لتصريحات آية الله مهدوي كني، رئيس مجلس خبراء القيادة الإيراني، حول اعتناق عالم الفيزياء وصاحب النظرية النسبية الشهيرة، الأميركي ذي الأصول اليهودية الألمانية ألبرت أينشتاين، الإسلام الشيعي واتباعه مذهب "الإمام جعفر الصادق"، أثار زوبعة في وسائل الإعلام الإيرانية في الداخل والخارج خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي. ولم يشر الفيديو – الذي تم تداوله على مختلف المواقع الناطقة بالفارسية نقلاً عن اليوتيوب – إلى تاريخ أقوال مهدوي كني، إلا أن هذا المرجع الديني الإيراني البارز يظهر وهو يخاطب مجموعة من الشباب الإيراني قائلاً: "بعض الكتب الأجنبية تنقل عن أينشتاين أنه مسلم على المذهب الشيعي ومحب للإمام جعفر الصادق". ويعود الحديث حول "اعتناق الإسلام والمذهب الشيعي" من قبل أينشتاين إلى مراسلات ثنائية نسبتها مواقع شيعية له ولـ"آية الله بروجردي"، المرجع الشيعي الأول بإيران في ستينيات القرن الماضي، ولكن لم تنشر حتى الآن أي صورة لهذه المراسلات التي قيل عنها كانت باللغة العربية من قبل آية الله بروجردي وبالألمانية من قبل أينشتاين. ورغم ما جاء في موقع "آثار آية الله بروجردي" على الإنترنت بهذا الخصوص، حيث ذكر أنه "تم تخصيص مبلغ ثلاثة مليون دولار من قبل البروفيسير إبراهيم مهدوي (المقيم في لندن) بمساعدة بعض من الرأسماليين في شركتي مرسيدس وفورد لشراء هذه الرسالة من سمسار آثار يهودي. وتم فحص الخط بواسطة الحاسوب ومطابقته مع كتابات أينشتاين، وثبت أنها له وقد كتبها بخط يده." إلا أن هذه الرسالة لم تنشر حتى الآن ولم يتم إيضاح مصلحة رأسماليين بشركتي "مرسيدس" و"فورد" لصناعة السيارات في رصد هذا المبلغ لهذا الغرض. وتزعم كافة الكتابات بهذه الخصوص أن أينشتاين اعتنق الإسلام والمذهب الشيعي في آخر رسالة علمية له، والذي سماها بـ"البيان" وكانت هذه الرسالة تتضمن المراسلات السرية بينه وبين آية الله البروجردي. وتدعي هذه المواقع أن أينشتاين طابق في هذه المراسلات "نظرية النسبية" مع آيات من القرآن الكريم وروايات شيعية حول معراج الرسول الأكرم، نقلاً عن "بحار الأنوار" والتي ترجمها "حميد رضا بهلوي" شقيق الشاه من العربية إلى الإنجليزية.

الرسالة اللغز: ورغم ما تناولته المواقع الدينية المختلفة في إيران حول هذا الخصوص، فقد كان آية الله علوي حفيد آية الله بروجردي قد قال في مقابلة مع موقع "شيعة نيوز" إنه كان هناك اتصال عبر مراسلات شفهية بين بروجردي وأينشتاين بواسطة عالم الفيزياء الإيراني الدكتور حسابي، ولكن لا توجد أي معلومات موثقة بشأن اعتناق الإسلام وقبول المذهب الشيعي من قبل أينشتاين. وبالرغم من ذلك، فقد وصف آية الله علوي الارتباط بينهما باللغز الذي لا يمكن إثباته أو نفيه حسب تعبيره، مؤكداً عدم وجود أي رسالة بخط آية الله بروجردي موجهة إلى أينشتاين بين الآثار الباقية من هذا المرجع

الشيعي البارز. يذكر أن أينشتاين تُوفي في ١٨ أبريل ١٩٥٥ وحرق جثمانه في مدينة "ترينتون" في ولاية "نيو جيرسي" ونثر رماده في مكان غير معلوم، وحفظ دماغ العالم أينشتاين في جرة عند الطبيب الشرعي "توماس هارفي"، الذي قام بتشريح جثته بعد موته. وقد أوصى أينشتاين أن تحفظ مسوداته ومراسلاته في الجامعة العبرية في القدس، وأن تنقل حقوق استخدام اسمه وصورته إلى هذه الجامعة}[١٠٩].

ونحن نرى ضعف القول بإسلام أينشتاين وتشيّعه، وأن الموضوع يحتاج للمزيد من الادلة لمن يدعي ذلك. وإذا كان ذلك قد حدث ذلك فعلاً فهو محل فخر لأينشتاين وليس للشيعة الإمامية، لأن عند الشيعة من هم أعظم من أينشتاين بمراتب كثيرة جداً جداً، بل لا مقارنة، وهم آل البيت الاطهار (صلوات الله عليهم). ولعل عقيدة أينشتاين بوحدة الوجود والموجود هي التي جذبته للتشيع العرفاني المتّبع لأبن عربي وملا صدرا، حيث بدأ الاتجاه العرفاني الصوفي القائل بوحدة الوجود والموجود في داخل التشيّع بالنمو والاتساع منذ منتصف القرن العشرين الماضي ، بجهود السيد علي القاضي والسيد محمد حسين الطباطبائي والشيخ مرتضى مطّهري ، وبقية اتباع مدرسة الحكمة المتعالية التي أسسها ملا صدرا (١٥٧٢– ١٦٤٠م) والتابعة بصورة كلّية لتراث ابن عربي. ومن الملاحظ ان اسبينوزا وُلِدَ قبل ثمانية سنوات من وفاة ملا صدرا ، أي انهما عاشا في عصر واحد !

يقول د. بدران بن الحسن عن (وحدة الوجود عند اسبينوزا):

" وما يهمنا في هذا المقام من مذهبه الفلسفي هو رأيه في الصلة بين الله والطبيعة، وقوانين العالم، وتفسيره لرأيه في الخلق، وفي الوجود، والتي فيها عناصر من فكرة وحدة الوجود التي رأيناها عند ابن عربي، وفيما يتعلق بنظريته في وحدة الوجود فإننا نستطيع أن نعقد صلة بين آراء ابن عربي واسبينوزا من هذه الناحية "... " ويمكن أيضاً أن نلحظ شبها كبيرا بين فكرة وحدة الوجود عند ابن عربي وفكرة وحدة الوجود عند سبينوزا في هذه المسألة؛ فهما يقرران معا أن الله والعالم شيء واحد، ويقولان بألوهية شاملة تستوعب الكون بأسره. وهذا العالم خاضع لقانون الوجود العام كما قال ابن عربي، أو لضرورة الطبيعة الإلهية كما قال اسبينوزا. والحقيقة التي تبدو مما ورد عند اسبينوزا أنه وإن كان لدى ابن عربي كثيرا مما يذكرنا باسبينوزا كما يرى نيكولسن، فإن هناك اختلاف بين الرجلين في المنطلق، والمسلك، وحتى في تصور وحدة الوجود، وإن كان هناك بينهما تشابه واشتراك في التصور العام للفكرة. فاسبينوزا لا ينطلق من مرتكز صوفي بقدر ما

[١٠٩] ٦. موقع (العربية.نت)، مقال بعنوان (مرجع إيراني بارز: أينشتاين كان شيعياً)، منشور بتاريخ ٧ مارس / آذار ٢٠١٤م

ينطلق من فلسفة عقلية ذات عمق ديكارتي، يمجد الفكرة ويجعل لها المقام الأعلى في الاعتبار، حتى لا يعدو في الوجود سوى الفكر مرتكزا، ولذلك فإن المعرفة التي توصل إلى الله هي معرفة عقلية وإن كانت تلتقي مع تصوف ابن عربي في القول بأن معرفة الله هي أرقى مقامات العبادة بل أن العبادة معرفة"[١١٠].

ويقول الدكتور ابراهيم مدكور عن وحدة الوجود:

"قل ان نجد توافقاً في الرأي الى هذا الحد ، حتى بين الاستاذ وتلميذه. فأبن عربي واسبينوزا يعتنقان معاً مذهب وحدة الوجود ويصورانه تصويراً يكاد يتفق في التفاصيل والجزئيات ، فضلاً عن الاصول والمباديء. فهما يقرران أن العالم شيء واحد ، وانه هو الله جل شأنه ، ويقولان بواحدية لا تعدد فيها ولا كثرة ، ولا خلق ولا صدور ، ويقولان في الوقت نفسه بألوهية شاملة تستوعب الكون كله ، فكل الاشياء في العالم واحد ، والله هو الكل في الكل. وهذا العالم خاضع (لقانون الوجود العام) كما قال ابن عربي ، أو (لضرورة الطبيعة الالهية) كما قال اسبينوزا. فلا تخلف فيه ولا شذوذ ، ولا عرض ولا استثناء. وليس فيه عيب ولا نقص ، وانما هو خير كله وكما كله. ومن امتع صور هذا التلاقي فكرة الحق والخلق من جانب وفكرة الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة من جانب آخر ، فالحق عند ابن عربي يساوي تماماً الطبيعة الطابعة التي قال بها اسبينوزا ن والخلق يساوي أيضاً الطبيعة المطبوعة. ولعل الصوفي العربي كان أكثر توفيقاً في تعبيره من الفيلسوف الهولندي ، وكان على كل حال أقرب الى لغة رجال الدين والمتكلمين"[١١١].

وإذا كان اسبينوزا اليهودي يقول بوحدة الوجود والموجود ، ويتأثر به أينشتاين اليهودي أيضاً فيقول بنفس عقيدته. ويتضح تشابه عقيدتهما في وحدة الوجود والموجود مع عقيدة ابن عربي الصوفي الذي توارث التصوف عن ابي هاشم الصوفي "وهو اول من ادخل الفكر الغنوصي الى المجتمع الاسلامي من خلال ارتباطه بأحد كبار اليهود في فلسطين مركز عقيدة القبالة الغنوصية اليهودية. قال الحر العاملي عنه:

"واضع مذهب الصوفية ورد الطعن فيه من عدة طرق منها: ما رواه علي بن الحسين بن بابويه قمي في قرب الاسناد الذي صنفه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد

[١١٠] مقال بعنوان (فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا) للدكتور بدران بن الحسن ، منشور في شبكة الانترنيت العالمية.

[١١١] الكتاب التذكاري ، محي الدين ابن عربي ، في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده - ص٣٩٨ و٣٩٩.

الجبار عن العسكري (عليه السلام) انه قال: سُئِلَ الصادق (عليه السلام) عن حال ابي هاشم الكوفي الصوفي فقال: انه فاسد العقيدة جداً وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مفراً لعقيدته الخبيثة. ورواه ايضاً بسند خر وقال فيه وجعله مقراً لنفسه الخبيثة"[١١٢].

وقد نقل الحر العاملي عن السيد ابي المعالي محمد بن احمد بن عبد الله الحسني في كتابه عن الاديان ما معناه:

"ذكر مذاهب الصوفية هؤلاء لهم اسماء متكثرة وبناء مذهبهم من ابي هاشم الكوفي تابع بني اميّة وفرقهم متعددة"[١١٣].

فنص على انه تابع لبني امية أي على منهجهم.

وضمن نفس السياق يقول الدكتور كامل مصطفى الشيبي:

"وينقل عن كتاب أصول الديانات أنه (كان امو‌ياً وجبرياً[١١٤] في الظاهر وباطنياً ودهرياً في الباطن وكان مراده من وضع هذا المذهب أن يثير الاضطراب في الاسلام). وينقل أن صاحب أصول الديانات يرى انه ورد عنه أحاديث كثيرة في الطعن على الائمة المعصومين ، ويرى (إنما سماه المشايخ بالصوفي بقطع النظر عن لبسه الصوف او عدمه)"[١١٥].

... ويؤيد هذا قول الجامي في نفحات الانس وهو يتحدث عنه:

---

[١١٢] الاثني عشرية في الرد على الصوفية / الحر العاملي – ص٣٣.

[١١٣] المصدر السابق – ص٥٢.

[١١٤] وليس من قبيل المصادفة ان يكون أينشتاين أيضاً جبرياً ، فعقيدة وحدة الوجود والموجود تفرز عقيدة الجبر فيما يبدو.

[١١٥] الصلة بين التصوّف والتشيّع / الدكتور كامل مصطفى الشيبي – ص٢٩١.

"ومن قبله كان الزهاد والمتورعون والمتوكلون والمحبون لله ، لكن اول من سُمّي بالصوفي ابو هاشم الصوفي وما سُمّي أحد بهذا الاسم قبله. وكذا اول ابتداء بناء الخانقاه للصوفية الكرام لأجله في رملة الشام"[١١٦].

ويورد الجامي رواية التقاء ابو هاشم بيهودي اطلق عليه لقب (سلطان الرملة) وانه هو مَنْ بنى اول خانقاه للصوفية لأجل ابي هاشم ، ومن هذه القصة قد يتضح انه ربما كان ذلك اليهودي (سلطان الرملة) احد كبراء اليهود في تلك الناحية وربما كان من طائفة القبالة (Cabalism) اليهودية الغنوصية التي نشأت في فلسطين ، ومنه انتقلت الغنوصية الى ابي هاشم الصوفي ومن ثم تغلغلت في المجتمع الاسلامي تحت غطاء الزهد والتعبّد والورع. ويقوي غنوصية عقيدة ابو هاشم الصوفي ما نقله الدكتور كامل مصطفى الشيبي عن (طرائق الحقائق) من انه كان يقول بالحلول والاتحاد[١١٧]. وأيضاً نسبه الى هذا القول صاحب حديقة الشيعة قال عنه: (انه كان يلبس ثياباً خشنة من الصوف كالرهبان ويقول بالحلول والاتحاد لنفسه كالنصارى في عيسى عليه السلام ، وكان في الظاهر أموياً جبرياً وفي الباطن ملحداً دهرياً ، والطائفة التي ينتسب اليها تسمّى صوفية سواء لبست الصوف أو لم تلبسه) الى ان يقول:

"وكان غرض هذا الملعون من وضع مذهب التصوّف هدم مذهب الاسلام ، وقد ورد من الائمة (عليهم السلام) احاديث في طعنه"[١١٨].

إذن من الواضح ان عقيدة وحدة الوجود والموجود وجدت طريقها في اليهودية ، ومنها انتقلت الى الاسلام. ومن الملاحظ ان ابن عربي واسبينوزا يشتركان بانهما ذوا اصول اندلسية ! وان ملا صدرا كما اسلفنا والذي كان تابعاً فكرياً لتراث ابن عربي قد ، كان يعيش في عصر واحد مع اسبينوزا !

ولم يكن أينشتاين سوى فرد واحد ممن تأثر بها عن طريق تراث اسبينوزا !!

إذن إنَّ مصطلح الدين الاينشتايني الذي اخترعه دوكنز هو في غير محله لأن أينشتاين لم يكن لديه دين جديد او اتجاه فكر فريد ، بل هو من اصحاب فكر وحدة الوجود وهي فكرة غنوصية موغلة في التاريخ الانساني لمئات السنين قبل الميلاد !

---

[١١٦] نفحات الانس من حضرات القدس / ابو بركات عبد الرحمن الجامي – ص٦٧.

[١١٧] الصلة بين التصوّف والتشيّع / الدكتور كامل مصطفى الشيبي – ص٢٩٠.

[١١٨] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة / حبيب الله الهاشمي الخوئي ت١٣٢٤هـ – ج١٣ ص١٤٠.

وإنَّ عبارة دوكنز: "أينشتاين كان طبيعياً وليس ربوبياً" ، هي عبارة غير صائبة ، فاينشتاين لم يكن لا طبيعياً ولا ربوبياً ، وعبارة دوكنز هذه تدل على انه لم يدرس فكر اينشتاين بصورة محايدة بدون دوافع مسبقة ، فكما اثبتنا قبل قليل أن أينشتاين كان يؤمن بوجود الخالق ولكنه ايضاً يؤمن بوحدة الوجود مثل اسبينوزا وابن عربي وملا صدرا ضمن التيارات الغنوصية التي اخترقت جميع الاديان ، وهذا وإنْ كان لا يجعله في صف الاديان السماوية فكذلك لا يجعله في صف الالحاد.

احترام غير مستحق:

يرى دوكنز ان الدين يملك الحضور والسطوة في المجتمعات وقضاياها دون ان يكون مؤهلاً لمثل هذا الحضور ! وربما سنضطر لأكثر من مرّة لتبيان ان دوكنز متأثر باخطاء المتدينين فيخلطها بتعاليم الدين. نعم هو ساخط على كليهما ، ساخط على الدين وعلى المتدينين ، وله مبرراته التي قد لا تكون منطقية. ولكن ان يستمر في اتخاذ هذا الخلط منهجاً لمهاجمة كليهما فهذا امر يجانب الصواب.

يقول دوكنز:

> "من المسلمات والتي يقبل بها الجميع تقريباً في مجتمعنا الانساني ، حتى الغير متدينون ، بأن الايمان الديني هو فكرة هشة وضعيفة أمام النقد ويجب إحاطتها بجدار سميك من الاحترام وهذا النوع من الاحترام يختلف كلياً عن الذي من المفترض إننا نعامل به بعضنا"[١١٩].

ثم يستشهد بكلام لدوغلاس آدمز ومما قاله:

> "نواة الدين... هي بعض الافكار التي نسميها بالمقدسة أو ما شابه وذلك يعني : هذه الفكرة او المصطلح لا يحق لأحد أن ينتقدها وهذا كل شيء ، لم لا يحق لأحد؟ لأنه لا يحق لأحد انتقادها؟" ... "عندما نصل للتساؤل عن أصل الكون عن من خلقه ... لا ... هذا مقدس؟"[١٢٠].

---

[١١٩] وهم الإله / دوكنز – ص٢٢.

[١٢٠] المصدر السابق – ص٢٢ و٢٣.

هناك امران يتحكمان في تفكير دوكنز طيلة كتابه هذا:

الاول: "اسقاطات الكنيسة" ، بمعنى معاناته هو والكثير من الناس من الاسلوب المتخلف الذي كانت تدير به الكنيسة الحياة في القرون الوسطى وما بعدها.

الثاني: "خلط الدين بالمتدين" ، بمعنى انه يتبع منهجاً يخلط بين الدين واخطاء المتدينين من اجل ان تكون اخطائهم تلك ذريعة لتوجيه سهام النقد للدين !

إن ادعاءات من قبيل قوله "ان الايمان الديني هو فكرة هشة وضعيفة امام النقد" قد تصدق على من يؤمن بإله صُلِبَ ليتمكن من غفران الذنوب ، أو بإله يتكون من ثلاثة أقانيم وثلاثتهن تساوي واحد ! فمثل هذه الافكار البعيدو عن التعقل الانساني يمكن ان يكون سبيل المحافظة عليها هو احاطتها بجدار من القدسية لمنع نقدها خشية إظهار باطلها. أما من يؤمن بإله واحد عظيم عليم حكيم رحمن رحيم ، ((قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ، اللّهُ الصّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)). ومن يطلع على تراث المسلمين من اتباع آل البيت (عليهم السلام) ويقرأ الروايات عن احتجاجات الائمة الاطهار (صلوات الله عليهم) مع مخالفيهم من اتباع المذاهب الأخرى والنواصب والملحدين ، ويطلع على سعة صدرهم لمناقشة ادق التفاصيل الايمانية المتعلقة بالخالق (جلَّ جلاله) ، سيعرف ان الاسلام المنتمي لآل البيت (عليهم السلام) سمح متسع الصدر امام تساؤلات الناس مهما كانت، وهو لا يخشى من اي سؤال لأن الاساس الذي جاء به الاسلام هو ان كل مسلم يجب ان يكون معتقداً بعقيدة الاسلام من خلال فكره وتعقله ودراسته هو شخصياً دون تقليد لغيره من الناس، إذ لا تقليد في العقائد انما التقليد في الفقه اي التشريعات الاسلامية (الحلال والحرام في العبادات والمعاملات).

نعم هناك في المسلمين اشخاص حملوا نفس روحية الكنائس في القرون الوسطى يمنعون السؤال ويرفضون التعمق في الدين! فعلى سبيل المثال يروى انَّ رجلاً سأل مالك بن أنس إمام المالكية عن قوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) كيف استوى؟ قال: " الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وأراك رجل سوء ، اخرجوه !"[١٢١]، وأَمَر به أن يخرج من مجلسه!!

هذه الروحية هي التي تنفِّر الناس عن الدين عندما يجدون ان من يمثل الدين يغلق الباب في وجه التفكر والتدبر ! فيحصل افتراق بين الدين ومن يمثله ، وشتان بين مالك بن انس امام المالكية

[١٢١] الجامع لحكام القرآن (تفسير القرطبي) - ج١ ص٢٥٤.

وبين امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي كان يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني)[١٢٢]. هذه هي الروحية الايمانية الحقيقية التي تدعوا الناس للسؤال عما في ضميرهم وعما يجول في تفكيرهم ، لا اسلوب مالك بن انس المنفِّر للناس عن التساؤل والتفكر وعن الدين !

فالله سبحانه في القرآن الكريم يحث على التفكر والتدبر في الكون وآيات الله (تبارك وتعالى) فيقول:

- ((وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار)).
- ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ)) أولي الالباب أي اصحاب العقول. ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ)).
- ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)).

وصاحب (سلوني قبل ان تفقدوني) كان يقاتل في معركة الجمل فقام اليه اعرابي فسأله "يا أمير المؤمنين، أتقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه وقالوا: يا إعرابي أَمَا ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟ فقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): (دَعُوْه، فإنّ الذي يريده الإعرابي هو الذي نريده من القوم) (في يوم الجمل)! ثمّ قال: يا إعرابي، إنّ القول في إنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يَثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: (واحد) ، يَقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز؛ لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أَمَا ترى أنّه كُفْر مَن قال: إنّه ثالث ثلاثة؟ وقول القائل: (هو واحد من الناس) ، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز؛ لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك. وأمّا الوجهان اللذان يَثبتان فيه فقول القائل: (هو واحد ليس له في الأشياء شبه) ، كذلك ربّنا، وقول القائل: (إنّه عزّ وجل أحديّ المعنى، يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وَهْم، كذلك ربّنا عزّ وجل)"[١٢٣]. هذا هو الممثل الحقيقي للاسلام، لا يشغله القتال عن اجابة اي سؤال في العقيدة مهما كان سؤالاً معمقاً قد يقول البعض عنه انه في وقت غير مناسب ، لكن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) يرى ان كل الاوقات مناسبة لطلب العلم والمعرفة. فلا توجد ممنوعات في السؤال ولا جدران مقدسة تمنع من التساؤل عما يكتنف ضمير الانسان ووجدانه.

---

[١٢٢] نهج البلاغة / كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهما السلام) / شرح الشيخ محمد عبدة - ج٢ ص١٣٠.

[١٢٣] معاني الاخبار / الشيخ الصدوق – ص٥.

وعلى هذا النهج سار علماء الشيعة الامامية في عرضهم لعقيدتهم الدينية ، الشيخ الصدوق والشيخ المفيد وتلميذه الشيخ ابو جعفر الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي (الذي كان له اكبر الاثر في اعتناق المغول للاسلام) والعلامة الحلي والعلامة المجلسي والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ صاحب الجواهر والسيد كاظم اليزدي والسيد ابو القاسم الخوئي والسيد محمد باقر الصدر وغيرهم، ففي تراثهم المكتوب نجد انهم يناقشون ادق التفاصيل الدينية ويعرضون وجهات النظر المختلفة ويؤسسون لتقبل الرأي الاخر ومناقشته نقاشاً علمياً بالحجج والادلة. فليس هناك محذور من سؤال ولا عجز عن جواب بأدلة وحجج معرفية رصينة. فهذا هو الذي يعطي (القوة السحرية للدين)[١٢٤] على حد تعبير دوكنز ، ويجعل (الدين هو البوق الاعلى صوتاً)[١٢٥]، وليست القدسية القائمة على مصادرة التفكير وفق الطريقة الكَنَسيّة او طريقة مالك بن أنس!

ولذلك فإنّ استنتاج الصحفي آندرو موللر : "إنَّ قيم الدين الاسلامي تعلو على أي شيء"[١٢٦]، يجب ان يُنظَر لها في سياقها الواقعي ، فحين يكون الواقع مبنياً على نبي صادق امين وعلى خلقٍ عظيم ، وقرآنٍ معجز هو كلام رب العالمين ، وتعاليم دينية تبني المجتمع وتعمل على اشاعة الحوار والفضيلة فيه وتحصّنه وتدافع عنه وترتقي به وباخلاقيات وسلوك افراده بعد ان تساوي بينهم ، فلا فرق بين عربي او اعجمي او بين ابيض او اسود ، وبعد ان تحصّن نساءه وترتقي بهن وبسلوكهن في إطار العفة مع اعطائهن حرية في العمل وممارسة نشاط الحياة وفق ضوابطها الشرعية. فلا يكون احساس من ينتمي لهذا المجتمع الا انه يحمل قيم دينية ثمينة كالكنز الذي يحرص الانسان على الاحتفاظ به وصيانته والدفاع عنه. إنَّ المؤمن يشعر بأهمية عقيدته وانها أثمن من حياته هو نفسه ، ويضحي بنفسه من اجلها ، فلا يستغرب احد ان المؤمن يعيش واقع مبني على أن القيم الدينية فيه تعلو على أي شيء.

فلا نلوم دوكنز حينما يقول:

"لا أفهم سر هذه الامتيازات الغير منطقية التي يتمتع بها الدين في ما نسميه بمجتمعاتنا العلمانية"[١٢٧].

---

[١٢٤] وهم الاله / دوكنز – ص٢٥.

[١٢٥] المصدر السابق – ص٢٦.

[١٢٦] المصدر السابق – ص٢٩.

[١٢٧] المصدر السابق – ص٣٠.

لأنه ينظر للقضية من منظور إلحادي جامد بعيد عن الإيمان الديني اولاً ومليء بالايمان الالحادي الجامد الذي يفقد الملحد كل شعور بالانتماء للانسانية (فالانسان من منظورهم مجرد حيوان تطور ويموت وينتهي كل شيء الى العدم مثلما بدأ من العدم) ، الايمان الالحادي الذي يتعامل مع الواقع من منظار العداء للواقع الاجتماعي وضرورة القضاء على التفكير والشعور والضمير الايماني وسحبه وإلقاءه بعيداً الى مصير مجهول لتتفرغ الساحة الاجتماعية لتقبل اللادين ولاسماوية الأخلاق. على دوكنز ان يفهم ان هناك حداً ادنى للايمان الديني ، وهذا ما لمسناه في التجارب الكثيرة التي حدثت في دول حكمتها الدكتاتوريات وارادت فرض ارادتها الماركسية او العفلقية عليها ، واضطرت الناس لخفاء ايمانهم الديني والاحتفاظ به في خزانات صدورهم ، ويتناقلونه شفوياً جيلاً بعد جيل الى ان جاءهم الفرج وانهارت تلك الدكتاتوريات. ومن هذا يثبت ان الايمان الديني لا يحتاج دولة تحميه او قوانين دينية او علمانية – وإنْ كان وجودها أفضل – ولكن يحتاج الانسان ، الانسان الديني هو الكنز الذي يمكن أن يستمر عبر العصور وفي ظل كل الظروف الدكتاتورية او العلمانية او الالحادية ، وهذه هي عظمة الدين انه يصنع الانسان قبل كل شيء ، ومن الانسان ينطلق نحو المجتمع. فلا يستغرب دوكنز اذا ما وجد للدين امتيازات في المجتمعات العلمانية فالانسان فطرياً يعرف انه لا يصح لإنسانيته أن يعيش في ظل غياب تام للدين.

الفصل الثاني

دوكنز وإله العهد القديم:

يقول دوكنز:

"لا جدال بان إله العهد القديم هو من أسوأ الشخصيات الأدبية: غيور وفخور بذلك ويدقق بالتوافه وظالم وغير عادل ومتسلط قاسي ومنتقم ومتعطش للدماء ومميت للاعراق وكاره للنساء والمثليين وعنصري وقاتل للاطفال والشعوب وقاتل للأبناء ومسبب للأمراض ومصاب بجنون العظمة وسادي وماسوشي ونزوي وحقود شرس يضرب بذات اليمين والشمال دون حساب"[١٢٨].

واضح ان دوكنز ينطلق من مسبقات فكرية يحملها ، بعيداً عن الانصاف الفكري الذي يجب ان يتمتع به الانسان الباحث او الحاصل على مرتبات علمية كما يفترض به !

فلم يعد خفياً ان الكتاب المقدس والعهد القديم الذي هو جزء منه ، اخذ في العصر الحالي يتعرض لسلسلة طويلة من النقود والفحص وعلى مستوياته المتعددة ابتداءاً من اصالته ومروراً بلغته وبيئته وديمومته وصلاحه لأن يكون مصدراً اخلاقياً لكل زمان.

وما يخص موضوعنا يمكن ان نقول ان الباحثين توصلوا الى ان النبي موسى (عليه السلام) ليس هو الذي كتب الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم والتي تسمى التوراة. كما ان هناك اسفار اخرى مجهولة الكاتب ، ولذلك ففي ظل كل هذه المرتكزات هل يمكن لباحث مستقل ان يعتبر ان العهد القديم هو المعبر الحقيقي والواقعي عن الأله وصفاته ؟!

وعلماء المسيحية يعترفون بان هناك مجهولون كتبوا بعض اسفار الكتاب المقدس ، منها:

بخصوص اسفار العهد القديم:

- في المدخل إلى سفر يشوع ما نصه : (لكن المؤلف المقدس ! الذي نجهل اسمه وعصره)[١٢٩].

---

[١٢٨] وهم الاله / دوكنز – ص٣٢.
[١٢٩] الكتاب المقدس (اغناطيوس زيادة) _ المجلد الأول ص ٣٦٠ .

- في نسخة الكتاب المقدس العربية التي صادق عليها اغناطيوس زيادة مطران بيروت ، جاء في مقدمة سفر عزرا ما نصّه : (ان نوع تأليف مجموعة سفر الاخبار – عزرا يشير بوضوح الى ان الذي جمعها كان يخدم في الهيكل وقد قام بعمله هذا في عهد بعد عهد عزرا ، في اثناء الحكم الفارسي) ، وهو تصريح واضح بأن كاتب اسفار الاخبار – عزرا هو مؤلف مجهول ورغم ذلك يزعمون ان النص والاسفار ملهمة ومقدسة !؟؟
- في مقدمة سفر صموئيل الاول في نسخة الكتاب المقدس التي صادق على طبعها (اغناطيوس زيادة) ما نصه: (على انه من المحتمل ان يكون المؤلف احد تلاميذ ارميا) ، مما يعني ان مؤلف هذا السفر هو مجهول الشخصية[١٣٠].
- في المدخل إلى سفر الجامعة ما نصه : (يبتدئ الغموض بشخص المؤلف نفسه)[١٣١].
- في المدخل إلى سفر الحكمة ما نصه : (إن هوية المؤلف مجهولة إنما الدلائل المتراكمة تشير إلى أن وطنه كان مصر ومن المحتمل أن يكون الإسكندرية)[١٣٢].
- في المدخل إلى سفر دانيال ما نصه : (إن مؤلفا ملهما[١٣٣] لم يترك لنا اسمه قد ضم إلى هذه الصورة الشهيرة عن الماضي عدة رؤى ذات أتشاء روائي)[١٣٤].
- بخصوص اسفار العهد الجديد:
- في المدخل إلى إنجيل متى ما نصه :(فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه فالمؤلف يعرف من عمله)[١٣٥].
- في المدخل إلى "الرسالة إلى العبرانيين" ما نصه : (يرى علماء الكتاب المقدس في عصرنا . على اختلاف مذاهبهم . إن كاتب هذه الرسالة ليس القديس بولس) إلى أن يقول: (ولذلك يذهب كثير من العلماء إلى قول بعض الأقدمين أمثال اوجينيس المصري إن كاتب هذه الرسالة هو واحد من تلامذة بولس)[١٣٦].

ومشاكل العهد القديم لا تتوقف عند مجهولية كتابة بعض اسفاره ، بل تمتد الى اصالة نسخ العهد القديم التي وصلت الينا والاختلافات الموجودة فيما بينها ومشاكل الترجمة للنسخ الاصلية الموجودة عن اللغات الاصلية التي كان الانبياء يتكلمون بها[١٣٧] ! وقبل ذلك كله ان الاسفار نفسها تشهد

---

[١٣٠] الكتاب المقدس (اغناطيوس زيادة) _ المجلد الأول ص ٤٦٠.
[١٣١] المصدر السابق _ المجلد الثاني ص ٢٠٨.
[١٣٢] المصدر السابق _ المجلد الثاني ص ٢٣٧.
[١٣٣] إذا كان المؤلف مجهول فكيف علمت انه كان ملهما ؟!!
[١٣٤] المصدر السابق _ المجلد الثاني ص٦٤٨.
[١٣٥] العهد الجديد (بولس باسيم) _ص ٣١.
[١٣٦] المصدر السابق _ص٨٥٤.
[١٣٧] اضواء على مخطوطات الكتاب المقدس / نبيل الكرخي، والمنشور عبر الرابط:
http://www.4shared.com/office/FkVv5wYK/_____-__.html؟

بضياع التوراة اكثر من مرة !! ومشكلة التناقضات بين بعض اسفارها والتي تعني ببساطة ان الذين كتبوا تلك الاسفار لم يكونوا ملهمين[١٣٨] !

يقول العالم اليهودي سيلفر في كتابه (موسى والتوراة الأصلية) :

"أن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية، وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية، لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى"[١٣٩].

ويقول الدكتور أحمد سوسة :

"وقد ورد في التوراة أيضاً أن موسى تلقى الوصايا وأحكام الشريعة التي أوصى بها الرب في عربات موآب فكتبها وسلّمها للكهنة . التثنية (٩:٣١) . ونستخلص من ذلك أن أحكام هذه الشريعة كتبت بيد النبي موسى نفسه ، وهي غير الشريعة التي كتبت بيد الله على الحجر على قول التوراة ، ولعلها كتبت على رق من رقوق البردي التي كان يستعملها المصريون في كتاباتهم) إلى ان يقول: "ففي بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة ... فجلس هؤلاء الكهنة وأمامهم الأكداس من الرقم الطينية في شتى المواضيع في مختلف اللغات والخطوط وفي مقدمتها المواضيع الدينية التي كانت تشغل حيّزاً كبيراً من تفكير أقوام تلك العصور ... ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى في عصر موسى".

ويقول الدكتور أحمد الشلبي في كتابه (مقارنة الأديان) :

"إن اليهود بعد أن أنحرفت أعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عمّا أرادوا من طباع وخلق ، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة" ، ويضيف : "وهكذا كتبت أسفار العهد القديم . بأسم الله . والله منها بريء ، أنها في الحقيقة صدى لأنفعالات اليهود وأحاسيسهم ، وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتّاب الذين أشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه".

---

[١٣٨] الكتاب المقدس بالهوامش الكرخية / نبيل الكرخي، والمنشور عبر الرابط:
http://www.4shared.com/office/Jd5T110t/____-__.html

[١٣٩] الموقع الالكتروني (الموسوعة العربية) ، تحت مفردة (التوراة).

بل اليهود أنفسهم يعترفون أنهم ضيّعوا التوراة[١٤٠] لعشرات بل مئات من السنين ثم وجدوها بصورة غامضة (انظر: سفر الملوك الثاني (٢٢: ٨-١٣)). وعلماء المسيحية يصرحون بأنهم يجهلون هوية بعض الذين كتبوا بعض أسفار اليهود ومنها التوراة ، ففي نسخة الكتاب المقدس التي أذن بطبعها مطران بيروت إغناطيوس زيادة نقرأ في صفحة (٤) ما نصه وهو يتحدث عن التوراة (أسفار موسى الخمسة) ما نصه:

"فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى قد كتب كل البانتاتيك . أي الأسفار الخمسة وهي كلمة يونانية . منذ قصة الخلق إلى قصة موته ، كما انه لا يكفي أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة ، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨) أنه يوجد إزدياد تدريجي في الشرائع الموسوية . نسبة إلى النبي موسى أي اليهودية . سببته مناسبات العصور التالية الإجتماعية والدينية ، تقدّم يظهر أيضاً في الروايات التاريخية".

إذن كان يمكن لدوكنز بجهد متواضع ان يتوصل الى هذه النتائج التي توصلنا اليها بخصوص عدم أصالة العهد القديم والتغييرات التي طرأت عليه عبر العصور. ونحن نقول ان التوصل الى

---

[١٤٠] أن هناك مصلحة يعلمها الله سبحانه لعدم حفظه التوراة من التحريف ولا الأنجيل من الضياع ، ولا يفترض بنا معرفة كل المصالح التي لم يأتِ بها نص ، بل ما يهمنا هو تحقيق دعوى التحريف ، ونحن بعد ثبوت التحقيق في وقوع التحريف في التوراة المتداولة ، فيمكن أن نطرح بعض التحليلات المعمقة المستندة على معلومات صحيحة عن سبب عدم حفظ التوراة من التحريف ، تنطلق تلك التحليلات من ظاهرة معروفة لكل أحد وهي أن بني إسرائيل يتميزون عن بقية الأمم بميزة وجود الكثير من الأنبياء منهم بين ظهرانيهم ، وقد شخصنا انه بموازاة الظروف التي مرّت على بني إسرائيل والتي ادت إلى ضياع التوراة الصحيحة بحسب زعمهم أو تحريفها ، فقد كان هناك العديد من الأنبياء الذين كان يمكن أن يرجع لهم بني إسرائيل في معرفة التوراة الصحيحة ، وتنزيه ما أدخل إليها من إضافات ، ولكن بني إسرائيل ومن ثم اليهود لم يفعلوا ذلك بل فعلوا بالضد من ذلك حيث عمدوا إلى أنبيائهم فقتلوهم واستغنوا عن التوراة الصحيحة التي بين أيديهم ، وقد كانت هذه الظاهرة معروفة على أمتداد تاريخ بني إسرائيل ومن ثم تاريخ اليهود وحتى ظهور النبي عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل ، فقد جائهم النبي عيسى عليه السلام بالتوراة الصحيحة وجائهم بالإنجيل ، فما كان من اليهود إلا أن رفضوه وحاولوا قتله وأضطهاد أتباعه وإتلاف إنجيله.
قال تعالى في الآية (١١٠) من سورة المائدة : ((إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الاكمه والابرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين.((
وقال تعالى في الآيات (٤٥-٥٠) من سورة آل عمران : ((إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون.((
فالمشكلة ليست في عدم حفظ الله عزَّ جل لكتابه بل في رفض اليهود لذلك الكتاب واستبداله بالأسفار الخمسة ، وقتلهم الأنبياء الحافظين له ، كما حاولوا من قبل رفض إلاههم وعبادة العجل بدلاً عنه.

عدم اعتبار العهد القديم كوثيقة أصلية صادرة عن الله (سبحانه وتعالى) بل ولا حتى كل الكتاب المقدس ، لا يحتم ان يتحول الانسان الى الالحاد ، فلا تلازم بين الامرين !

فإذا كانت لدى دوكنز شكوك حول اصالة الكتاب المقدس والعهد القديم ، ومخاوف من ان تسود اخلاقيات العهد القديم في المجتمع ، فكان يمكنه ان يعبر عن ذلك ، وان يبحث عن كتاب سماوي آخر أو دين آخر يمكنه ان يكون اكثر اصالة وتعبير عن ارتباطه بالله (تبارك وتعالى). أما الالحاد فليس هو الحل.

تعدد الآلهة:

قال دوكنز مستغرباً:

> "ليس من الواضح لماذا يعتبر الانتقال من نظام تعددي للآلهة الى التوحيد خطوة تطورية بشكل بديهي واضح لا يحتاج للنقاش"[١٤١] !

أليس من الواضح لدى دوكنز انه من الصحيح ان يكون لكل دولة رئيس واحد وليس عدة رؤساء ؟ وان يكون لكل عائلة اب واحد وليس عدة آباء ! وان يكون لكل شركة رئيس واحد لمجلس ادارتها. اليس هذا بديهياً لا يحتاج نقاش ؟! ان استغراب دوكنز من كون التوحيد هو خطوة الى الامام هو استغراب مبالغ فيه ، استغراب بدوافع مسبقة محاولاً الاستهانة بفكرة التوحيد العظيمة.

ربما ينطلق دوكنز من مزاعم التطوريين ان جميع الكائنات الحيّة نشأت من خلية واحدة حيّة ثم تطورت عبر مبدأ "البقاء للاصلح" الى ملايين الانواع الحيّة !! فساءه ان تظهر اديان توحيدية على انقاض ديانات تعددية الآلهة ! بإعتبار ان دوكنز يدعو لرفع الوعي عبر الانتخاب الطبيعي ليكون الفكر الانساني متقبلاً ان يسخّر الانتخاب الطبيعي في نشوء الكون كله وليس الانواع الحيّة وحدها. يقول دوكنز:

> "على الرغم من أن نظرية الانتخاب الطبيعي محصورة بتفسير العالم الحي فإن باستطاعتها أن ترفع مستوى الوعي للإدراك والقابلية للمقارنة عندنا مما يساعد على فهم الكون نفسه"[١٤٢].

---

[١٤١] وهم الاله / دوكنز – ص٣٣.
[١٤٢] المصدر السابق – ص٥.

ومن الواضح ان كلامه ليس له ثمرة واقعية، فماذا يعني بأن الانتخاب الطبيعي يمكنه رفع الوعي لفهم الكون! هل ان مشكلة عدم فهم الكون وأصله وكيفية ظهوره متعلقة بالانتخاب الطبيعي (الذي هو كما يصفه داروين مبدأ يحافظ على التمايزات التي تظهر في الكائنات الحية) ام متعلقة بأن الملحدين لحد الآن لا يملكون نظرية مقنعة بديلة عن نظرية الخلق !؟

وربما كان يأمل ان يساهم الانتخاب الطبيعي في نقل التفكير البشري من التوحيد الى التعددية (وليس العكس كما هو حاصل فعلاً) ، كما انتقلت الحياة بحسب زعمه من خلية حيّة واحدة الى ملايين الكائنات الحيّة! فهو يظن انه ما دام هناك تطور من الواحد الى الكثرة فيجب ان يكون هناك تطور في وعي الانسان لينتقل من عبادة الإله الواحد الى عبادة الالهة !! ما اسخف هذه الفكرة!!!

أنّه من اوضح الواضحات، وابسط البديهيات، وكل البديهيات بسيطة، أن التوحيد هو مرحلة اكثر عقلانية من التعددية.

فإذا كان دوكنز عاجز عن تقبّل فكرة وجود إله واحد أزلي وابدي، فكيف سيمكنه تقبل وجود عدة آلهة أزلية وأبدية – رغم انه لا يمكن حدوث ذلك في الواقع – ثم أليس التطور مرتبط بالكمال؟ وقد نقلنا في (المقدمة) نصوصاً يتحدث فيها داروين عن علاقة الانتخاب الطبيعي بالكمال نعيدها هنا:

> "الانتقاء الطبيعي يميل فقط الى ان يجعل كل كائن متعضياً على نفس الدرجة من الكمال، أو على درجة من الكمال أعلى بشكل بسيط"[١٤٣].

> "لن يكون من الضروري للانتقاء الطبيعي أن يؤدي الى حد الكمال المطلق، ولا يمكن حسب قدرتنا على الحكم على الاشياء بواسطة قدراتنا المحددة، التنبؤ في كل مكان بالكمال المطلق"[١٤٤].

أليس وجود إله واحد أكثر كمالاً من وجود عدّة آلهة ؟!

لو كان هناك عدّة آلهة، ألم يكن ليظهر لكل إله نبي يأتي برسالة مختلفة عن رسالة نبي الإله الاخر. ولحدث تضارب في الشرائع وتصارع بين الانبياء، إن لم يحدث صراع بين الآلهة أنفسها!! أليس وجود دستور واحد في كل دولة أكثر كمالاً وعقلانية من وجود عدة دساتير لها في نفس

[١٤٣] اصل الانواع / داروين – ص٣٣٧.
[١٤٤] المصدر السابق – ص٣٤٢.

الوقت تتعارض فيما بينها !! ألا يكفي ذلك لبيان ان التوحيد خطوة تطورية اكثر كمالاً من تعدد الآلهة ؟!

قال تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)).

وقال تعالى: ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)).

ديانات التوحيد:

ذكر دوكنز عبارة ليوجين لوثر غور فيدال Eugene Luther Gore Vidal (١٩٢٥– ٢٠١٢) ، تقول:

"أكبر شر يمنع ذكره في قلب حضارتنا هو ديانات التوحيد. وقد بدأ بكتاب من العصر البرونزي البربري يسمى العهد القديم ، انبثقت ثلاث ديانات حاقدة على البشرية ، اليهودية ، المسيحية ، والاسلام. هذه ديانات إله السماء. إنها ديانات أبوية حرفياً – الله هو الأب القدير – وهذا يشرح البغض العميق للنساء في تلك البلدان المصابة بإله السماء ووكلائه الارضيين من الذكور"[١٤٥].

هذا النص مليء بالكراهية دون مسوغ واضح ! إنما مجرد إتهامات قائمة على رفض مسبق لفكرة الانصياع للإله.

فهذا غور فيدال يجهل انه في الاسلام لا يوصف الله سبحانه وتعالى بوصف (الأب) ! وهذا يعني ان كلامه عن الديانات الابوية وتسببها بكره النساء ، لا يشمل الاسلام.

وكتب دوكنز:

"أقدم الديانات الابراهيمية الثلاثة وهي بدون شك الجد المشترك للديانتين اللاحقتين هي اليهودية: من البداية كانت على شكل عبادة قبلية لإله خشن وغليظ جداً مهووس بالقيود

[١٤٥] وهم الاله / دوكنز – ص٣٩.

الجنسية بشكل سقيم وبرائحة اللحم المحترق وبتفوقه على جميع الآلهة المنافسة وبمستوى تلك العشيرة الصحراوية التي اختارها له"[١٤٦].

وهذا النص فيه اخطاء تاريخية عديدة ، فضلاً عن الاخطاء الدينية ! فاليهودية ليست الجد المشترك للمسيحية والاسلام ، نعم المسيحية انبثقت عن اليهودية ولديهما نفس الاسفار الدينية في كتابها المقدس فيما يخص العهد القديم. لكن الاسلام غير ذلك. فالمسيحية نشأت من قبل بولس اليهودي الطرسوسي في بيئة يهودية ، والمسيح عيسى (عليه السلام) هو آخر انبياء بني اسرائيل وقد ظهر بين اليهود وفي بيئة يهودية، أما الاسلام فقد ظهر في بيئة مختلفة ، في قريش، في مكة، في بيئة عربية معروفة بإنتمائها الى الحنفية دين ابراهيم الخليل (عليه السلام)، فلا علاقة للاسلام مع اليهودية سوى ان كليهما ينتميان الى الحنفية الابراهيمية. فالاسلام ليس مسؤولاً عن التراث اليهودي ولا هو جزء منه، بخلاف المسيحية التي تعترف بالتراث اليهودي ضمن إطار معين. ولذلك فإن الصفات التي ذكرها عن إله الكتب المقدس – بغض النظر عن عدم صدقيتها – غير مرتبطة بالاسلام وليس مسؤولاً عنها.

اما ما ادعاه دوكنز حيث وصف إله العهد القديم بأنّه (مهووس بالقيود الجنسية بشكل سقيم) فهو مردود على دوكنز ، لأننا نعلم ان القيود الجنسية التي وضعها إله العهد القديم هي نفس القيود الاعتيادية التي يتعارف عليها الناس في المجتمعات ذات الديانات السماوية وغيرها من المجتمعات الوثنية بصورة عامة. فالبشر متفقون على حرمة الزواج من الام والبنت والاخت وزوجة الاب واخت الزوجة والخالة والعمّة ، ولا يجوز الممارسة الجنسية الا بعقد زواج ! هذه هي ما يسميها دوكنز بهوس القيود الجنسية !! إنّه يبحث عن الهوس الاباحي حيث لا زواج ولا التزامات اخلاقية تجاه شريك الحياة ! دوكنز يريد ان يستعيد ايام شبابه حيث الثورة الجنسية والهيبيز والافكار الوجودية التي تقود نحو الاباحية الجنسية حيث يتم الغاء الزواج كمؤسسة عائلية والغاء تجريم زنى المحارم ، فتصبح كل ممارسة جنسية مباحة !!

وقال دوكنز:

"الاله الذي دعا له فولتير وتوماس باين لا يمتلك صفات شخصية على الاطلاق مقارنة مع المريض النفسي المذكور في العهد القديم ، رب الالوهيين في القرن الثامن عشر المسمى بعصر النهضة هو اعظم ما يمكن أن يكون: جدير بخليقته الكونية ، متعال عن الامور الانسانية ، مترفع عن افكارنا وآمالنا ، لا يهتم بذنوبنا المشوشة او توبتنا لهُ

[١٤٦] وهم الاله / دوكنز – ص٣٩.

بأي شكل من الاشكال. إله الربوبيين فيزيائي لإقصى حدود الفيزياء ، هو الفرضية والبرهان الرياضيين ، المصمم المؤله ، وأفضل من يضع القوانين الهندسية وثوابت الكون ، يضبطها بدقة لا متناهية ومعرفة مسبقة بدقائق الامور ، وبعد ان اشعل فتيل ما نُسميه اليوم الانفجار الكبير ، ترك كل شيء وذهب للتقاعد ولم يسمع أحد عنه شيئاً بعد ذلك"[١٤٧].

وهذا النص نقلناه بتمامه لأهميته في كشف تناقضات دوكنز من جهة، وعدم فهمه لضرورة الاديان السماوية وجدواها ! ومن الملاحظ ان دوكنز غير مؤدب في وصفه لمقدسات الاخرين ولاسيما وصفه للإله الذي يؤمن به ملايين البشر. فهناك فرق بين النقد الموضوعي وبين الشتائم، وهذا ما لم يحسن دوكنز التمييز بينهما !

فإذا كان دوكنز معجباً بإله فولتير وتوماس باين فلماذا لم يؤمن به؟ أليس في ترويجه لأفضلية إله فولتير على إله الكتاب المقدس، إله العهد القديم، ثم عدم إيمانه بأي منهما فيه تدليس على القاريء وتزييف للحقائق؟!

ويزعم دوكنز أنَّ إله فولتير هو المصمم المؤله وافضل من يضع القوانيني الهندسية وثوابت الكون بدقة لا متناهية ! ومعرفة مسبقة بدقائق الامور ! ومع ذلك لا يؤمن به!!

ومن جهة أخرى نجد ان دوكنز يحاول تشويه صورة إله الكتاب المقدس والذي هو نفسه إله المسلمين وإله العالمين، إله الخلق أجمعين، فيحاول ان يسلب صفة التصميم الذكي والعبقري والفريد والدقيق من إله العالمين، ورب العالمين، ويلصقها بإله فولتير الذي خلق الخلق ثم تركهم لشأنهم فلم يرسل لهم الرسل ولم يظهر فيهم الانبياء ولا انزل فيهم الكتب السماوية، تركهم يعيشون على هواهم لا يعرفون ما يصلحهم وما يسوؤهم ، في نوع من العبثية الواضحة !

أما فولتير الذي عاش في عصر التنوير في فرنسا ، والذي يتباهى به دوكنز ويريدنا أن نؤمن بإلاهه ، فقد ذكر وليم كلي رايت عنه:

"وتعلق فولتير ، على الاقل ، بروح المذهب التجريبي عند لوك وبمذهب التأليه الطبيعي عند تولاند وبالفيزياء عند نيوتن"[١٤٨].

---

[١٤٧] وهم الاله / دوكنز – ٤٠.

[١٤٨] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص٢٣٢.

وقال رايت تحت عنوان (مذهب التأليه الطبيعي الانجليزي):

"وقد لخّص لورد هيربرت أوف تشيربري Lord Herbert Of cherbury (١٥٨٣-١٦٤٨) مبكراً في عام ١٦٢٤ المباديء الاساسية لما عُرِفَ في عصر التنوير بأسم (مذهب المؤلهة الطبيعيين) وهذه المباديء هي: وجود الله ، الذي يجب ان يُعبَد ، والذي يتوقع أن يتوب الناس عن خطاياهم وان يعيشوا تقاة فاضلين ، والذي سيحاسبهم ويعاقبهم في الحياة الاخرة. ويمكن البرهنة على هذه المباديء عن طريق العقل ، دون مساعدة الوحي ، ولذلك فإنها تؤلف ديناً طبيعياً ، ويتمسك بها جميع الناس في العصور البدائية. ولقد فتح لوك – بنشره كتاب (معقولية المسيحية) بغير قصد – الطريق امام إحياء (الدين الطبيعي) لأن لوك يصر في هذا الكتاب على ان المسيحية لكي تكون مقبولة لا بد ان تكون معقولة ، لأن (العقل يجب ان يكون مرشدنا في كل شيء) لقد اعتقد لوك بالتاكيد أن الملامح التي تميز المسيحية عن جميع الاديان الاخرى ، مثل ألوهية المسيح ، معقولة ، لأنها (لا تناقض العقل) ويمكن اثباتها عن طريق برهان المعجزات والنبوءات والوحي ، غير ان هذا البرهان ، مع انه لا يناقض العقل ، (يفوق العقل) ، ولا يمكن أن يؤسس عن طريق العقل وحده. وقد نشر جون تولاند J. Toland (١٦٧٠- ١٧٢٢) الذي تظاهر بأنه تلميذ لوك من اجل مضايقته كتابه (مسيحية بلا أسرار)[١٤٩] عام ١٦٩٧. وجاء كتاب انطوني كولينز A. Collins (مقال عن التفكير الحر) عام ١٧١٣ ، وجاء كتاب متى تندال M. Tindal (المسيحية قديمة قدم الخليقة) عام ١٧٣٠ ، وجاءت كتب توماس شب T. Chubb وكتيباته الدينية من حين لآخر بين عامي ١٧١٥ و١٧٤٨. وبدون تمييز بين التفاصيل التي يختلف فيها هؤلاء الكتّاب فيما بينهم ، يكفي أن نشير الى انهم يتحدون في رفض اعتراف لوك بأننا يمكن أن نعرف أي شيء (يفوق العقل) ، فكل ما يمكن الابقاء عليه من المسيحية محصور فيما يمكن البرهنة عليه عن طريق العقل والتجربة ويفهمه المذهب التجريبي البريطاني. وتتكون هذه البقية من مباديء (الدين الطبيعي) التي ذكرناها من قبل. وهذه المباديء (قديمة قدم الخليقة) ، ولذلك لا يمكن أن يقبلها سوى (مفكرين أحرار) ، اعني أن يقبلها أُناس أصبح تفكيرهم متحرراً من السلطة والعُرف والوحي ، ولا يوجههم سوى العقل والتجربة"[١٥٠].

غير ان وِل وَايريْل ديورَانت ميّز بين اصحاب الدين الطبيعي وبين الربوبيين ، واعتبر تولاند من اتباع الربوبيين وليس من اتباع الدين الطبيعي اي بخلاف ما ذهب اليه رايت !

---

[١٤٩] ويترجم اسمه ايضاً: المسيحية لا تكتنفها أسرار. واسمه الانجليزي: Christianity not Mysterious.

[١٥٠] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص٢٢٨ و٢٢٩.

يقول ديورَانت:

"وآثر المدافعون عن الدين الطبيعي عقيدة مستقلة عن الاسفار المقدسة ومحصورة في المعتقدات التي رأوا انها شاملة كلية ، في الله وفي الخلود. أما الربوبيون ، الذين قاموا بحركتهم أساساً في انجلترا فإنهم طالبوا فقط بالايمان بالله الذي اعتبره احياناً مفهوماً تجريدياً غير مشخص ن مرادفاً للطبيعة أو (الدافع الاصلي) لاله الدنيا التي قال بها ديكارت ونيوتن. وبرزت لفظة ربوبي Deist في ١٦٢٧ في (رسالة الى ربوبي) لرئيس الشماسة ادوارد ستللنجفليت. ولكن مطبوعات الربوبيين كانت قد بدأت بكتاب لورد هربرت شربري (الحقيقة) في ١٦٢٤"[١٥١].

ويضيف في موضع آخر:

"وتابع جون تولاند الحملة"... "وفي سن السادسة والعشرين اصدر كتاباً غفلا من اسم المؤلف (المسيحية لا تكتنفها اسرار) ،١٦٩٦ ، وصفه بأنه رسالة توضح أنه ليس في الانجيل شيء ينافي العقل أو يسمو فوق العقل. ومذ تقبل بقبول حسن كتاب لوك الحديث (بحث في العقل البشري) حيث اثبت أن الاحساس هو أصل كل المعرفة ، فإنه أي جون تولاند خرج منه بعقلانية متطرفة"[١٥٢].

ويقول تولاند:

"انا نعتقد ان (العقل) هو الاساس الوحيد لكل حقيقة يقينية ، ولا يستثني من مجال بحث هذا العقل أي وحي أكثر مما تستثنى الظواهر العادية للطبيعة ... إن الاعتقاد بألوهية الاسفار المقدسة أو معنى أية قطعة فيها ن دون برهان عقلاني أو حجة دامغة قوية ، إنما هو سذاجة أو سرعة تصديق جديرة باللوم ... ومن المالوف أن يميل بعض الناس الى سرعة التصديق عن جهل وعن عمد ، لكن الاكثر من هذا أن ما يتوقعون من نفع هو الذي يدفعهم الى سرعة التصديق"[١٥٣].

---

[١٥١] قصة الحضارة ، (عصر لويس الرابع عشر) / وِل وَايريْل ديورَانت - ج٣٤ ص٣٠.

[١٥٢] المصدر السابق - ج٣٤ ص٣١ و٣٢.

[١٥٣] المصدر السابق - ج٣٤ ص٣٢.

ويقول برتراند راسل:

"إن الاثر البارز الذي خلفه عصر التنوير في القرن الثامن عشر هو (الموسوعة) العظيمة التي اعدتها مجموعة من الكتاب والعلماء في فرنسا. فقد ادار هؤلاء الرجال ظهورهم ، بوعي تام ، لتعاليم رجال الدين والفلاسفة الميتافيزيقيين ، ورأوا في العلم القوة الدافعة الجديدة في الميدان العقليز وهكذا جمعوا في عمل ضخم كل المعرفة العلمية المتاحة في عصرهم ، لا بوصفها سجلاً مرتباً ترتيباً أبجدياً فحسب ، بل من حيث هي وصف لطريقة العلمية في التعامل مع العالم. وكانوا يأملون أن ينتجوا بهذا العمل اداة فعالة في الصراع ضد جهالة السلطة القائمة"[١٥٤]. وذكر ان ابرز شخصيتين ساهمتا في اعداد الموسوعة المذكورة هما عالم الرياضيات دالمبير D'Alembert (١٧١٧-١٧٨٣) وديدرو Diderot (١٧١٣- ١٧٨٤). وقال ايضاً: "كما ان فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) الذي أسهم بدور كبير في ذلك العمل الضخم ن قال إنه لو لم يوجد إله لوجب علينا أن نبتدعه. وبطبيعة الحال فقد كان يعارض بشدة مسيحية المؤسسة الدينية الرسمية ، ولكنه كان يؤمن بوجود قوة خارقة للطبيعة ، يحقق الناس غاياتها لو انهم عاشوا حياة خيرة. وتلك في الواقع صورة من صور مذهب بيلاجيوس Pelagianism خالية من كافة الارتباطات التقليدية"[١٥٥].

فسواء كان تولاند من اتباع الدين الطبيعي او من الربوبيين فلا شك انه كان يعطي للعقل اهمية كبرى وقصوى في الايمان. لدرجة انه كان يثقف لتنقية وتصفية المسيحية للايمان فقط بما يوافق العقل من تعاليمها. واذا كان إعادة الاعتبار الى (العقل) وتحكيمه في قضايا الايمان هو سبب نشوء مذهب التأليه الطبيعي ومذهب الربوبية وانسلاخها عن المسيحية التقليدية في عصر التنوير في اوربا[١٥٦]. فإن الاعتراف بإعطاء الاعتبار للعقل وتحكيمه في القضايا الايمانية هو اساس

---

[١٥٤] حكمة الغرب / برتراند راسل - ج٢ ص١١١.

[١٥٥] المصدر السابق - ج٢ ص١١٢.

[١٥٦] عصر الأنوار أو عصر التنوير (بالإيطالية: L'illuminismo) هي حركة سياسية، إجتماعية، ثقافية وفلسفية واسعة، تطورت بشكل ملحوظ في القرن الثامن عشر في أوروبا. نشأت في إنجلترا ولكن التطور الحقيقي كان في فرنسا. وتحول مفهوم التنوير ليشمل بشكل عام أي شكل من أشكال الفكر الذي يريد تنوير عقول من الظلام والجهل والخرافة، مستفيدا من نقد العقل ومساهمة للعلوم. أجاب إيمانويل كانط عن سؤال ما هو التنوير؟ بقوله:" إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد." كما عرَّف القصور العقلي على أنه "التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك في الحياة أو اتخاذ أي قرار بدون استشارة الشخص الوصي علينا." ومن هذا المنظور جاءت صرخته التنويرية لتقول: "اعملوا عقولكم أيها البشر! لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب. تحركوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر. =

الايمان الاسلامي المحمدي. وبذلك يمثل الاسلام المحمدي مرحلة متقدمة في التفكير الانساني رغم انه ظهر في القرن السابع الميلادي أي في قرون عديدة – حوالي ١١ قرن – قبل عصر التنوير الاوربي في القرن الثامن عشر الميلادي. لقد كان التنوير الاسلامي سابقاً بمراحل للتنوير الاوربي.

وقد يكفي ان نعرف ان مصادر التشريع الديني عند المسلمين الشيعة الامامية هي: القرآن والسنة والاجماع والعقل. وقال الدكتور احمد الوائلي في شرح (دليل العقل):

"ويرجع إليه وإلى قواعده عند فقدان النصوص أو تعارض الأدلة ، في تفصيل ... وملخصه: هو إدراك العقل بما هو عقل للحسن والقبح في بعض الأفعال الملازم لإدراكه تطابق العقلاء عليه وذلك ناتج من تأدب العقل بذلك وبما أن الشارع سيد العقلاء فقد حصل إدراك حكم الشارع قطعا وليس وراء القطع حجة"[١٥٧].

وقد يكفي ان نعرف ان المسلمين الشيعة الامامية يقولون بأن الحسن والقبح عقليان وليسا شرعيين ، فما يحكم به العقل يحكم به الشرع.

وفيما يلي بعض الآيات القرآنية والروايات الاسلامية التي تبين اهمية العقل وإرتباطه بالدين ، واهمية إعماله في القضايا الدينية الايمانية:

أولاً. بعض الآيات القرآنية المبينة لأهمية العقل:

- في سورة البقرة الآية ١٧٩: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)).
- في سورة البقرة الاية ٢١٩: ((كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)).
- في سورة البقرة الآية ٢٦٩: ((وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)).
- في سورة الاعراف الاية ١٨٥: ((أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)).
- في سورة الرعد الآية ٣: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)).

= فالله زودكم بعقول وينبغي أن تستخدموها. لكن كان هناك من فهم التنوير نقيضاً للإيمان أو للاعتقاد الديني، وإنما شدد على أن "حدود العقل تبتدئ حدود الإيمان". كما حذر من الطاعة العمياء للقادة أو لرجال الدين كما حصل في دولة بروسيا لاحقاً. (المصدر: الموقع الالكتروني وكيبيديا ، الموسوعة الحرّة).

[١٥٧] هوية التشيّع / الدكتور احمد الوائلي – ص٥٢.

- في سورة الحج الآية ٤٦: ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)).
- في سورة العنكبوت الاية ٤٣: ((وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)).
- في سورة الروم الآية ٨: ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ)).
- في سورة النمل الآية ٦٤: ((أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

ثانياً. بعض الروايات المبينة لأهمية العقل:

- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام محمد الباقر (عليه السلام)"قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَ لَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَ إِيَّاكَ أَنْهَى وَ إِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَ إِيَّاكَ أُثِيبُ".
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، "عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ عَلِيٍّ (عليه السلام) قَالَ هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ (عليه السلام) فَقَالَ يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَاخْتَرْهَا وَ دَعِ اثْنَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ يَا جَبْرَئِيلُ وَ مَا الثَّلَاثُ فَقَالَ الْعَقْلُ وَ الْحَيَاءُ وَ الدِّينُ فَقَالَ آدَمُ إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ لِلْحَيَاءِ وَ الدِّينِ انْصَرِفَا وَ دَعَاهُ فَقَالَا يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ قَالَ فَشَأْنَكُمَا وَ عَرَجَ".
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام محمد الباقر (عليه السلام) "قَالَ إِنَّمَا يُدَاقُّ اللَّهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي الدُّنْيَا".
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ .
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، ننقل موضع الحاجة: "عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ (عليه السلام) يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَ الْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ

يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ وَ نَصَرَ النَّبِيِّينَ بِالْبَيَانِ وَ دَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ فَقَالَ وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ

الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

يَا هِشَامُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّراً فَقَالَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ قَالَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَقَالَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ قَالَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ قَالَ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوانٌ وَ غَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ قَالَ وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ قَالَ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ قَالَ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

..... يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْنِي عَقْلٌ وَ قَالَ وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ قَالَ الْفَهْمَ وَ الْعَقْلَ

..... يَا هِشَامُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا وَ دَلِيلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ وَ دَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ وَ لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةً وَمَطِيَّةُ الْعَقْلِ التَّوَاضُعُ وَ كَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيْتَ عَنْهُ

يَا هِشَامُ مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَ رُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ فَأَحْسَنُهُمُ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا وَ أَكْمَلُهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ

يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَ حُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ (عليهم السلام) وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ

..... يَا هِشَامُ مَنْ سَلَّطَ ثَلَاثاً عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ مَنْ أَظْلَمَ نُورُ تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ وَ مَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ وَ أَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ وَ مَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَ دُنْيَاهُ

..... يَا هِشَامُ نَصْبُ الْحَقِّ لِطَاعَةِ اللَّهِ وَ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَ الطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ وَ الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَ التَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ وَ لَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ وَ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ بِالْعَقْلِ

..... يَا هِشَامُ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) يَقُولُ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ وَ مَا تَمَّ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ شَتَّى الْكُفْرُ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونَانِ وَ الرُّشْدُ وَ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولَانِ وَفَضْلُ مَالِهِ مَبْذُولٌ وَ فَضْلُ قَوْلِهِ مَكْفُوفٌ وَ نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ دَهْرَهُ الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْعِزِّ مَعَ غَيْرِهِ وَ التَّوَاضُعُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ وَ يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ وَ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْراً مِنْهُ وَ أَنَّهُ شَرُّهُمْ فِي نَفْسِهِ وَ هُوَ تَمَامُ الْأَمْرِ

- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام جعفر الصادق (عليه السلام) "قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ لِي جَاراً كَثِيرَ الصَّلَاةِ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ كَثِيرَ الْحَجِّ لَا بَأْسَ بِهِ قَالَ فَقَالَ يَا إِسْحَاقُ كَيْفَ عَقْلُهُ قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ قَالَ فَقَالَ لَا يَرْتَفِعُ بِذَلِكَ مِنْهُ".
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، "قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ لِأَبِي الْحَسَنِ[158] (عليه السلام) لِمَاذَا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ (عليه السلام) بِالْعَصَا وَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ وَ آلَةِ السِّحْرِ وَ بَعَثَ عِيسَى بِآلَةِ الطِّبِّ وَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَلَامِ وَ الْخُطَبِ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ (عليه السلام) إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى (عليه السلام) كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السِّحْرَ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِهِمْ مِثْلُهُ وَ مَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ وَ أَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ وَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى (عليه السلام) فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ وَ احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى الطِّبِّ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ وَ بِمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى وَ أَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ وَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطَبَ وَ الْكَلَامَ وَ أَظُنُّهُ قَالَ الشِّعْرَ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَ حِكَمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ وَ أَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ قَالَ فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ فَمَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ قَالَ

[158] هو الامام ابو الحسن علي الهادي (صلوات الله عليه).

فَقَالَ (عليه السلام) الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ وَ الْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ هَذَا وَ اللَّهِ هُوَ الْجَوَابُ".

- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام جعفر الصادق (عليه السلام) "قَالَ: حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ وَ الْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَ بَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ".
- في الكافي ، كتاب العقل والجهل ، عَنْ الامام محمد الباقر (عليه السلام) "قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ فَقَالَ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْكَ إِيَّاكَ آمُرُ وَ إِيَّاكَ أَنْهَى وَ إِيَّاكَ أُثِيبُ وَ إِيَّاكَ أُعَاقِبُ".

وفي القرن الثالث عشر الميلادي ، أي في العصور الوسطى ، كتب العلامة الحلي (١٢٥٠–١٣٢٥) في كتابه (نهج الحق وكشف الصدق):

"إنَّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل"[١٥٩].

انظر لمدى التطور الفكري الذي كان عليه المسلمون في إعمالهم العقل لدرجة انه يوجب معرفة الله سبحانه وتعالى ، أي ان الايمان الاسلامي يقوم على العقل وليس إيمان اعمى كما كان الحال في اليهودية والمسيحية !

وفي حوالي القرن السادس عشر الميلادي كتب الشيخ جمال الدين حسن بن الشهيد الثاني زين الدين العاملي (١٥٥٢– ١٦٠٢) :

"والحق منع التقليد في اصول العقائد ، وهو قول جمهور علماء الاسلام ، الا من شذ من اهل الخلاف"[١٦٠].

ومنع التقليد في العقائد يعني ان كل مسلم يجب ان يصل بعقله وتفكيره الشخصي الى صحة اصول العقائد الاسلامية لكي يكون مسلماً حقيقياً.

---

[١٥٩] نهج الحق وكشف الصدق / العلامة الحلي ت ٧٢٦هـ - ص٥١.

[١٦٠] معالم الدين وملاذ المجتهدين / الشيخ حسن بن زين الدين العاملي – ص٢٤٣.

وقال السيد محمد باقر الصدر عن اهمية العقل في تحصيل العقائد الدينية تحت عنوان (حرمة التقليد في أصول الدين) في كتابه (الفتاوى الواضحة):

"وفي الوقت الذي أوجبت فيه الشريعة التقليد بالمعنى الذي ذكرناه في فروع الدين من الحلال والحرام ، حرمته في أصول الدين فلم تسمح للمكلف بان يقلد في العقائد الدينية الأساسية وذلك لان المطلوب شرعا في أصول الدين ان يحصل العلم واليقين للمكلف بربه ونبيه ومعاده ودينه وامامه ودعت الشريعة كل انسان إلى أن يتحمل بنفسه مسؤولية عقائده الدينية الأساسية بدلا عن أن يقلد فيها ويحمل غيره مسؤوليتها، وقد عنف القرآن الكريم بأشكال مختلفة أولئك الذين يبنون عقائدهم الدينية ومواقفهم الأساسية من الدين قبولا ورفضا على التقليد للآخرين بدافع الحرص على طريقة الآباء مثلا والتعصب لهم أو بدافع الكسل عن البحث والهروب من تحمل المسؤولية. ومن الواضح ان العقائد الأساسية في الدين – أصول الدين – لما كانت محدودة عددا من ناحية ومنسجمة مع فطرة الناس عموما من ناحية أخرى على نحو تكون الرؤية المباشرة الواضحة ميسورة فيها غالبا وذات أهمية قصوى في حياة الانسان من ناحية ثالثة – كان تكليف الشريعة لكل انسان بان يبذل جهدا مباشرا في البحث عنها واكتشاف حقائقها أمرا طبيعيا ولا يواجه غالبا صعوبة كبيرة ولا يؤثر على المجرى العملي لحياة الانسان، ولئن واجه أحيانا صعوبات كذلك فالانسان جدير ببذل الجهد لتذليل تلك الصعوبات لان عقيدة الانسان هي أهم ما فيه، ومع ذلك فقد لاحظت الشريعة أيضا اختلاف مستويات الناس الفكرية والثقافية فلم تكلف كل انسان بالنظر والبحث في أصول الدين الا بالقدر الذي يتناسب مع مستواه ويصل به إلى قناعة كاملة بالحقيقة تطمئن بها نفسه ويعمر بها قلبه ويتحمل مسؤوليتها المباشرة امام ربه"[١٦١].

واجاب السيد علي السيستاني عن سؤال يقول: (ماهو رأيكم في أخذ أصول الدين تقليداً؟) بقوله:

"لابد أن تكون عقيدة المسلم في باب اصول الدين عن بصيرة ووعي فلا يمكن أن يقلد غيره فيها بمعنى أن يقبل قول غيره بها مجرد أنه يقول بها"[١٦٢].

[١٦١] الفتاوى الواضحة / السيد محمد باقر الصدر – ص٨.

[١٦٢] الموقع الالكتروني لسماحة السيد علي السيستاني ، عبر الرابط:
http://www.sistani.org/arabic/qa/0369/page/5

وأصول الدين التي لا يجوز التقليد فيها ، هي: التوحيد ، العدل الالهي ، النبوة ، الامامة ، المعاد. فيجب تحقيق ادلة هذه الاقسام الخمسة من قبل المسلم بنفسه ، وليس تقليداً لآخر ، حتى لو كان ذلك الآخر هو اعلم اهل زمانه.

العلمانية والآباء المؤسسون والدين في امريكا:

يحاول دوكنز ان يبلور تأريخاً للإلحاد ، ليس هذا فحسب بل إنه يعمل لتأسيس كيان إلحادي ، كيان يجمّع فيه الملحدين ، ويستند فيه الى تجميع تاريخ للملحدين حتى لو كان ذلك التاريخ هو تاريخ افراد متفرقين في أزمان متباعدة !

إن دوكنز ليس فقط رجل علم يحاول استعراض افكاره واستنتاجاته العلمية التي تقوده نحو الالحاد. ولا هو كاتب او مفكر يكتب سيرة حياته او افكاره الشخصية او تجربته ! بل هو صاحب آيديولوجية يسعى لبلورتها ونشرها في ارض الواقع بهيئة كيانية. وآيديولوجيته هي الالحاد ، ولذلك فإن ما يسعى اليه دوكنز لا يختلف عن مساعي أي زعيم ديني لأديان سماوية او ارضية !

ولذلك تجد ان دوكنز في كتابه هذا يشغل نفسه تارة بمحاولة إثبات إلحاد اينشتاين ، وتارة اخرى محاولة إيجاد ملحدين من بين الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الامريكية !

وسبق أن ذكرنا في هذا الكتاب أن الرجال يُعرفون بالحق ، ولا يُعرف الحق بالرجال. "أعرف الحق تعرف اهله". ولذلك فإن تفريع اصل الموضوع والدخول في قضايا ثانوية لا يسعف فكرة كتابه ، بل إن أقصى ما يمكن أن يكون مفيداً له هو زيادة عدد صفحات كتابه بلا فائدة حقيقية تخدم فكرة الكتاب. مجرد حشو مواضيع ، إلا إذا أقررنا انه يسعى نحو الكيانية الالحادية ، وحينئذٍ يكون معذوراً في ايراده تلك المواضيع والقصص !

ومما يسند كلامنا حول الكشف عن مساعي دوكنز لتأسيس كيانية إلحادية ، نقرأ عبارته التالية حيث نقل عبارة منسوبة لجورج بوش الاب يقول فيها:

"لا لا اعتقد بأن الملحدين وطنيين أو حتى مواطنين مثل البقية. نحن أمة واحدة تحت راية الله" ، وعلّق دوكنز بقوله: "هذا يعطينا حجم التمييز العنصري الذي يتعرض له الملحدون في أمريكا في ايامنا هذه"[١٦٣].

ومن عبارات دوكنز التي يهاجم فيها المكانة المتميزة للدين في المجتمع الامريكي:

"الدين هو البوق الاعلى صوتاً"[١٦٤].

"لا أفهم سر هذه الامتيازات غير المنطقية التي يتمتع بها الدين في ما نسميه بمجتمعاتنا العلمانية"[١٦٥].

"الدين ، كالعادة صاحب ورقة اليانصيب الرابحة ... هذا مثال على القوة السحرية للدين"[١٦٦].

"جنّي التعصب الديني منتشر في أمريكا اليوم"[١٦٧].

فقر النظرية اللاأدرية:

يناقش دوكنز موقف اللاأدريين. ويميّز نوعين من اللاأدرية :

"لاأدرية مؤقتة عملياً ، وهي الجلوس على السياج بإنتظار ادلة وهي موقف صحيح من المسائل التي لها جواب محدد بشكل أو بآخر ، ولكن بما اننا لم نحصل بعد على الادلة التي تثبت (او لم نفهمها بعد ، او لم نقرأها بعد ، إلخ) اللاادرية المؤقتة عملياً موقف

---

[١٦٣] وهم الاله / دوكنز – ص٤٥.

[١٦٤] المصدر السابق – ص٢٦.

[١٦٥] المصدر السابق – ص٣٠.

[١٦٦] المصدر السابق – ص٢٥.

[١٦٧] المصدر السابق – ص٤٣.

معقول من مسائل كإنقراض الاحياء نهاية العصر البرمي ، حيث هناك حقيقة ونأمل بمعرفتها يوماً ما من الايام ، ولكننا لا نعرفها بالتحديد"[١٦٨].

والنوع الثاني من اللادرية:

"هو لاأدرية مبدأية دائمة. أسلوب اللاأدرية المبدأية الدائمة مناسب لأسئلة ليس لها اجابات محددة أبداً ، مهما حاولنا. السؤال موجود على بعد آخر او في مستوى آخر ، وخارج المنطقة التي ممكن ان تصل لها الادلة[١٦٩]. ... "في تاريخ الافكار لدينا الكثير من الاسئلة التي اعتقد بأن اجاباتها تقع خارج مقدرة العلم"[١٧٠].

وبدراسة موقف "اللادري" نجد ان له عدة ابعاد:

. منها ما يتعلق بعجز العقل الانساني عن الاجابة.

ويعترف دوكنز بوجود هذا النوع من الموقف اللاأدري بقوله:

"في تاريخ الافكار لدينا الكثير من الاسئلة التي اعتقد بأن اجاباتها تقع خارج مقدرة العلم"[١٧١].

ومن هذا القبيل بعض القضايا التي حصلت من قبيل ولادة المسيح (عليه السلام) من غير أب ، وإسراء ومعراج النبي محمد (صلى الله عليه وآله). والتي يمكن البرهان عليها ببرهان المعجزات ، حيث يرى جون لوك ان هناك قضايا يمكن "اثباتها عن طريق برهان المعجزات والنبوءات والوحي ، غير أن هذا البرهان مع أنه لا يناقض العقل ، (يفوق العقل) ، ولا يمكن أن يؤسس عن طريق العقل وحده"[١٧٢].

فالـ (لاأدري) هنا تبين عجز العقل البشري امام عظمة المعجزة الإلهية.

---

[١٦٨] وهم الاله / دوكنز – ص٤٩.

[١٦٩] المصدر السابق – ص٤٩.

[١٧٠] المصدر السابق – ص٥٠.

[١٧١] المصدر السابق – ص٥٠.

[١٧٢] تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت – ص٢٢٨.

. منها ما يتعلق بعدم توصل العقل الانساني الى الاجابة في لحظته تلك ، مع احتمال ذلك مستقبلاً.

وهذا البعد الـ (لاأدري) يكشف عن عدم توصل العقل الانساني الى جواب في لحظته تلك مع بقاء الباب مفتوحاً للمستقبل للمزيد من الاكتشافات العلمية. وهذا شأن العديد من الاسئلة ، من قبيل هل يوجد ماء في مجرات اخرى. وهل يمكن ايجاد الحلقات المفقودة في نظرية داروين. وغيرها.

. منها ما يتعلق بقصور في العقل الانساني عن إدراك الحقائق.

وهو موقف اللادري للعقل الانساني الذي يعجز عن فهم كنه الخالق (جلَّ جلاله). والاجابة عن اسئلة من قبيل كيف حدثت ازلية الخالق ، وكيف يكون علمه عين ذاته ، وغيرها.

. منها ما يتعلق بقصور في العقل الانساني عن فهم الحقائق.

وهو موقف اللاأدري الذي عقله قاصر عن فهم الحقائق من قبيل الادلة والبراهين على وجود الخالق (تبارك وتعالى). وهذا العقل القاصر قد يتحول الى عقل ملحد بنفس درجة تحولة الى لاأدري وذلك يرتبط بالظروف النفسية والاجتماعية التي تحيط بصاحبه.

. منها ما يتعلق بعدم رغبة الفرد في إدراك الحقائق لأسباب نفسية.

وهو البعد اللاأدري للملحدين الذين يحجمون عن الاقتناع بادلة وجود الخالق (عزّ وجلَّ) رغم وضوحها وتعدد مستوياتها ، فمنها الادلة الفطرية ، ومنها ادلة التصميم الذكي ، ومنها الادلة الفلسفية ، ومنها الادلة الاعجازية.

فالبعض يلجأ للموقف اللاأدري بين الايمان والإلحاد لأسباب نفسية ، حيث يمارس التلقين الفكري الداخلي لإقناع نفسه أو خداع نفسه لجحود وجود الخالق (سبحانه وتعالى) ، فيقفون مواقف متعددة

بحسب ظروف كل جاحد النفسية والاجتماعية ، فمنهم من يتخذ موقفاً إلحادياً علنياً ، ومنهم من يتخذ موقفاً لاأدرياً.

وقد ذكر دوكنز مراتب واقسام لدرجات الايمان والالحاد واللاأدرية ، ووضع نفسه في خانة منها فقال انه يعتقد بان وجود الله :

"إحتمال ضعيف جداً ولكن أكثر من الصفر. ملحد واقعي" ،

وقال عن نفسه:

"لستُ متاكداً من عدم وجود الله ولكن اعتقادي بأن الاحتمال ضعيف جداً ، وأعيش حياتي بفرض أنه غير موجود". وذكر انه يميل للمرتبة التالية وهي انه" ملحد تماماً ، أعلم بأنه ليس هناك إله"[١٧٣].

ثم يورد دوكنز المثال الشهير المعروف بإبريق الشاي الذي اورده برتراند راسل. بالمناسبة برتراند رسل يزعم انه تحول للإلحاد بسبب قرائته سؤال جون ستيوارت ميل (من خلق الإله؟) ! يقول برتراند راسل في محاضرة له:

"عندما كنت فتى وكنت اناقش هذه المسائل بجدية كبيرة في ذهني ، قبلت ولمدة طويلة حجة السبب الاول الى ان جاء يوم ، وكنت في الثامنة عشرة من العمر ، قرأت فيه السيرة الذاتية لجون ستيوارت ميل. هناك وجدت هذه الجملة: (لقد علمني والدي أن السؤال من صنعني؟ لا يمكن الاجابة عليه نظراً لأنه يوحي مباشرة بسؤال آخر هو : من صنع الإله؟ تلك الجملة البسيطة للغاية أوضحت لي ، مثلما كنت أفكر وما أزال ، المغالطة في حجة السبب الاول. فإذا كان ينبغي أن يكون لكل شيء سبب ، إذا ينبغي أن يكون للإله سبب ، وإذا كان من الممكن أن يكون هناك إله بدون علّة أو سبب،

[١٧٣] وهم الاله / دوكنز – ص٥٣.

يمكن إذن أن يكون العالم بدون علة او سبب ، مثل الإله تماماً ، وبذلك لا يكون هناك أي مصداقية لتلك الحجة"[١٧٤].

يقارن جون ستيوارت ميل ومن بعده برتراند راسل بين وجود الاله ووجود المادة ! ربما تصح المقارنة لو كانت بين امرين من نفس الطبيعة. ولا اعرف كيف فاتتهم ان اي تجربة علمية ومقارنة بين مادتين لاتصح الا اذا كانت تحت نفس الظروف الموضوعية، وان يكونا من نفس الطبيعة او الصنف. اما ان تقارن بين وجود المادة ووجود الإله وتقول انه مادام هناك إله أزلي فيمكن ان تكون المادة ازلية فهذه مقارنة غير منطقية، وغير مقبولة من الناحية العلمية. ان تقارن بين مادة قد تعرف تركيبها الجزيئي وخواصها الفيزياوية والكيمياوية، تحتاج لقوة خارجية لتتشكل وتتركب، وبين إله يتصف بالبساطة بمعنى انه غير مركب ولا يمكن ان يكون مركباً ، وهو قائمٌ بنفسه، لا يحتاج الى امر خارجي عنه ليتقوم به. بل هو الغني عن جميع مخلوقاته. فأغلب علماء الفيزياء لا يقبلون بفرضية أزلية المادية، حتى الملحدون منهم ، ولذلك عمدوا الى إيجاد فرضيات ونظريات كنظرية الانفجار العظيم او الاكوان المتوازية !

ولنا ان نسأل برتراند رسل وستيورات ميل إذا حصلتم على إجابة عمن خلق الإله ، ألن تتسائلوا : ومَنْ خلق مَنْ خلق الإله ، ثم مَنْ خلق مَنْ خلق مَنْ خلق الإله ، وتتسلسل المسألة الى ما لا نهاية ! وهذه اللانهاية ستكون معقولة لبرتراند راسل وستيوارت ميل ! العلماء لا يرضيهم هذا التسلسل. ولن يتوقف السؤال الا بمعرفة خالق لم يُخلَق.

إذن العلماء لا يمكن ان يقبلوا بالقول بأزلية المادة ، كما لن يرضوا بالقول بتسلسل خالقها.

ثم لنفترض – وفرض المحال ليس بمحال – ان المادة وُجِدَتْ بدون علّة وانها دائمة الوجود وازلية وتحمل نفس صفات الإله، بل هي بهذه الصفات ستكون الإله ! وإذا اصبحت المادة ازلية وإلهية وانها فجرّت نفسها في الانفجار العظيم ثم كونت الكون وقوانين الفيزياء واوجدت الثوابت الكونية ومن ثم ظهرت الحياة، فهذا معناه ان المادة هي الإله المنشود. فهل يقبلون بهذا الإله الجديد. ربما يقبلون بذلك إذا ضمنوا ان تلك المادة الازلية أو الإله الجديد لن يرسل رسلاً ولن يُنزل شريعةً! فيتحولون بهذا القبول من الالحاد الى الربوبية! الى ربوبية المادة ! وبذلك تتكشف اساريرهم بأن مشكلتهم الحقيقية ليست مع وجود إله أزلي بل مع وجود شريعة سماوية تحدد افعالهم وتمنعهم من اقتراف المنكرات او تتوعدهم بالعقاب عليها بعد يوم القيامة.

---

[١٧٤] لماذا لستُ مسيحياً / برتراند رسل - ص١٨.

ثم إنَّ فكرة "الكائن المخلوق" لا تناسب "العالَم الالهي" إنْ صح التعبير ، وإنما هي فكرة اوجدها الله (تبارك وتعالى) ، وخلقها الله (العزيز القدير) ، وابدعها الله (عزَّ وجلَّ) ، لإيجاد مخلوقاته. اما في عالم الذات الالهية فلا يوجد شيء أسمه (مخلوق) او مصدر ايجاد ، او سبب ايجاده أو علة ايجاد. هذه من الابداعات الالهية الموجودة في علم الإله (تبارك وتعالى). مثلما ان الموت هو مختص بالكائنات الحيّة ولا يوجد في "العالَم الالهي" وإنما ابدعه الله تبارك وتعالى لمخلوقاته الحيّة. بمعنى ان الله (تبارك وتعالى) هو خالق فكرة الوجود والايجاد وعلة الوجود في عالم الامكان. اما في "عالم الالوهية" ، إنْ صح التعبير ، فلا يوجد شيء من ذلك. ثم يأتي الانسان الجاحد الكفور ليقول: مادمت مخلوقاً فلابد ان يكون الإله مخلوقاً فمن خلقه!! وصدق الله العليّ العظيم القائل: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)).

فكيف يمكن ان يتصور الانسان ان هناك "علة" لعالم الالوهية حيث الاله الازلي المتفرّد ! وهو موجود أزلي ومتفرّد ووحيد. ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)). وإنما خلق الله العلة وفكرتها، والوجود، والمادة، والروح ...إلخ ، في عالم الممكنات حيث الكون وما فيه من حياة على الارض. هذه هي الحقيقة التي يجب على الوعي الإنساني أن يدركها ولا سيما مع ارسال الرسل والانبياء ومعهم المعجزات التي تكسر قوانين الطبيعة ، تلك القوانين التي لم يتوقع اينشتاين ان هناك ما يمكن ان يغيّرها لدرجة انه ظن ان الإله هو الطبيعة والذي قاده للقول بالحتمية ، كسرتها معجزات الله (تبارك وتعالى).

عالَم الإلوهية: إله عليم حكيم قدير، حياة ازلية وأبدية، وجود أزلي وأبدي، خالق. لا يحتاج لعلة لوجوده بحسب الطبيعة الإلهية.

عالَم الممكنات: ممكنات محتاجة الى العلم والحكمة والقدرة، حياة مولودة وفانية، وجود بعد العدم وآيل للفناء، مخلوق. يحتاج لعلة لوجوده بحسب طبيعته الممكنة.

فيتطاول الانسان ويريد ان تنتقل صفات عالمه الممكن الى عالم الإلوهية !!

حسناً فلنترك كل عقيدتنا وإيماننا الراسخ جانباً ، ولنفترض ان ما يقوله دوكنز هو الحق – وفرض المحال ليس بمحال – فلماذا لا يقول الملحدون أن صانع الساعات الاعمى (الذي اقترحه دوكنز) هو مَنْ صَنَعَ وانتَجَ الإله ؟!! ولماذا لا يقولون ان نظرية الاكوان المتوازية هي التي خلقت الإله

(تعالى عمّا يصفون)؟ ما هو المانع العلمي من ذلك؟ المانع هو انه اذا كان الانتخاب الطبيعي بإعتباره صانع ساعات اعمى بحسب مفهوم دوكنز – وليس كمحافظ على النتائج بحسب مفهوم داروين – او الاكوان المتوازية هي التي خلقت الإله ، فمن خلق الانتخاب الطبيعي؟ ومن خلق الاكوان المتوازية؟ قال تعالى: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)).

فإذا كان الملحد يرفض ان يكون الانتخاب الطبيعي هو الذي خلق الإله ، فلماذا يقبل ان يكون هو الذي صمم هذا الكون الذكي والعبقري والعجيب ولو على النحو التدريجي ؟!!

ولا اتصور ان السؤال عن "الانتخاب الطبيعي الذي خلق الإله" هو أكثر غباءاً مِنَ السؤال: "مَنْ خلق الإله" ؟!!

فلو كان الإله مخلوقاً لما أصبح إلهاً. متى سيفهم الملحدون هذه الحقيقة؟ إنَّهم بحاجة الى دروس في علم المنطق.

نعود الى مثال ابريق راسل الذي يدور حول "عبء البرهان" على حد تعبير دوكنز ... ينقل دوكنز هذا المثال من كلمات راسل نفسه:

> "الكثيرين من الارثوذوكسيين يتكلمون وكأن على المشككين ان ينفوا العقائد الشائعة بدلاً من ان يبرهنها العقائديون. وهذا خطأ بالطبع. لو انني قلت بأن هناك إبريق شاي صيني بين الارض والمريخ يدور حول الشمس بمدار اهليلجي ، فلن يستطيع أحد ان يبرهن إنني مخطيء. سآخذ بعين الاعتبار طبعاً بأن اوضح بحرص أن ابريق الشاي هذا هو من الصِغر بحيث لا يُمكن رؤيته حتى بإستعمال اقوى التلسكوبات. ولكن لو قلت بما ان زعمي لا يمكن نقضه فإنني لا أقبل أن يشك احد في صدقه. سيكون كلامي جزافاً. ولكن لو كان وجود هذا الابريق موثقاً في الكتب القديمة ويدرس بقدسية كل يوم أحد ، ومغروس في رؤوس الاطفال في المدارس ، فإن مجرد التردد في قبول وجوده من قبل شخص ما سيضعه مع فئة غريبي الاطوار ويستحق اهتمام طبيب نفسي في العصر الحديث أو القاضي في أزمنة خلت"[١٧٥].

ولنا عدة ملاحظات على مثال ابريق الشاي:

[١٧٥] وهم الاله / دوكنز – ص٥٤.

١. نحن المسلمون نقول دائماً (البينة على من ادعى). فالمسلم الذي يدعي وجود الله (تبارك وتعالى) يجب ان ياتي هو بدليل على وجوده. وهذا ما يفعله المسلمون عادةً وميلؤون كتبهم العقائدية بامثلة وشروحات عديدة وبمختلف المستويات الذهنية التي تصلح لمختف الطبقات الفكرية في المجتمع.

٢. إن الملحد الذي يجحد وجود الخلق عليه ان ياتي بأدلة على هذا الجحود. أليست البينة على من ادعى ؟!

٣. إن إدعاء وجود ابريق الشاي بدون ان يكون لذلك الابريق اثر في الحياة لا يكفي لمثل هذا الادعاء. فإن اثبت المدّعي ان الابريق له اثر ما ، فعلى الجاحد (الملحد) أن يثبت ان ذلك الاثر هو لمؤثرآخر غير الابريق. أليس كذلك؟

٤. إن الجاحد لوجود الخالق يعجز ايضاً عن تقديم نظرية بديلة مقبولة لوجود الكون من جهة ولوجود الحياة من جهة اخرى. فهذان الامران اعجزا الملحدين عن إيجاد تفسير نهائي لوجودهما في ظل غياب الخالق ، أي وجود الكون ووجود الحياة.

٥. هذا المثال (مثال ابريق الشاي) هو من السطحية بحيث نتعجب من ايراد برتراند رسل له وهو على ما يوصف مفكر وفيلسوف ! وننصح هؤلاء الملحدين ولا سيما دوكنز الذي ردد هذا المثال التافه كثيراً في كتابه ان يراجع مؤلفات المسلمين التي تناولت اثبات وجود الله سبحانه وتعالى وبأدلة متعددة.

٦. أنصح دوكنز ان لا يذكر هذا المثال امام المسلمين لتجنب سخريتهم من تهافته !

هل يستطيع العلم أن ينفي وجود الله؟

يناقش دوكنز عبارات لبعض الاشخاص احدهما مؤمن بوجود الخالق والاخر "لاأدري" ! ، وهم يُنَظّرون للموضوع من وجهة نظرهم !

آليستر ماكغراس يقول:

"ضقت ذرعاً بالمؤمنين والملحدين معاً وهم يقيمون الحجج العقائدية القائمة على ادلة تجريبية ناقصة. هاكسلي[١٧٦] اعترف بأنه لا يمكن الاجابة عن السؤال المتعلق بالله بإستعمال الطرق العلمية"[١٧٧].

ويقول ستيفان جاي غولد[١٧٨]:

"اقولها لكل الزملاء وللمرة المليون (من جليسي الكليات وحتى مقدمي الاطروحات العلمية): العلم ببساطة لا يستطيع (بإستعمال الطرق الشرعية) الحُكم في قضية إذا ما كان الله قائماً على الطبيعة. ولا نؤكده ولا ننفيه ، بل وببساطة نقول بأنه ليس لدينا كعلماء القدرة للتعليق على هذا الموضوع"[١٧٩].

ويعلق دوكنز بقوله:

"هل هناك اي سبب لتصديق هذا؟ لماذا لا يحق لنا التعليق على الله كعلماء؟ ولماذا لا يكون إبريق الشاي ووحش الاسباكيتي الطائر منيعين من الشك بنفس الدرجة؟ ولماذا لا يكون كما ساناقش الان. فإن كوناً مع خالق مشرف عليه سيكون حتماً نوعاً مغايراً للكون بدون خالق. لماذا الحكم بأن هذا ليس سؤالاً علمياً؟"[١٨٠].

---

[١٧٦] جوليان هكسلي (1887 - 1975) Julian Huxley عالم بيولوجي بريطاني. حفيد العالم البيولوجي توماس هنري هَكْسلي واخو الروائي أولدَس هَكْسلي. وُفِّقَ الى اكتشافات هامة في علم الاحياء (البيولوجيا) ، واكثر من التاليف في موضوع النشوء والتطوّر evolution ، وعُني بدراسة سلوك الانسان السيكولوجي والاجتماعي والاخلاقي. انظر: معجم اعلام المورد / منير البعلبكي - ص٤٧٥.

[١٧٧] وهم الاله / دوكنز – ص٥٧.

[١٧٨] ستيفن جاي غولد (Stephen Jay Gould) ، مواليد ١٩٤١ ، توفي ٢٠٠٢. هو عالم إحاثة ومتبع لنظرية التطور. أمريكي لاأدري ، على الرغم من أنه "تربى على يد أبيه الذي له توجه ماركسي،" وقال ستيفن غولد بأن توجه أبيه السياسي كان "مختلف جداً" عن توجهه. يعد غولد من أشهر كتاب المواد العلمية بأسلوب سهل ميسر محبب للعامة مما جعل منه عالما مشهورا لدى شريحة واسعة من القراء غير المتعلمين أو غير المتخصصين في علوم الحياة. قام هو ونيلز إلدربيرج بتطوير نظرية تعرف باسم التوازن النقطي والتي تخبر أن الصنف ذو القدرة الأكبر على التكاثر من أي كائن حي هو السائد في الطبيعة والتطور الذي قد حدث له في تاريخه أو قد يحدث له مستقبلا يكون إما معدوما أو يكون تغيرا طفيفا جدا وإن حصل التطور في صنف ما من الكائنات الحية فإنه يحدث بطريقة سريعة مفاجئة خاصة إذا ما قورنت مع مدة معيشة ذاك الكائن على ظهر الكرة الأرضية. انظر: الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان (ستيفن جاي غولد).

[١٧٩] وهم الاله / دوكنز – ص٥٧.

[١٨٠] المصدر السابق – ص٥٧.

ونرى ان ما نقله ماكغراس عن هاكسلي بأنه لا يمكن الاجابة عن السؤال المتعلق بالله بإستعمال الطرق العلمية" هو امر صائب إذا كان المقصود بالطرق العلمية الطرق التجريبية. فهذه الطرق التجريبية موضوعها هو المادة ، بينما الله (سبحانه وتعالى) منزّه عن المادة ، فلا يصح ان نحاول اثباته جلَّ وعلا بالطرق الماديةّ لأن موضعها يختلف عنه سبحانه.

ونفس الامر بالنسبة لرأي غولد ، لأن العلم يتعامل مع المادة ، بينما الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء وليس كمثله شيء ، كما في القرآن الكريم. قال تعالى في سورة الزمر: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)) ، وقال تعالى في سورة الشورى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)).

اما دوكنز فلا يعجبه هذا الاستنتاج الصائب ويريد ان يحكم على وجود الله (تبارك وتعالى) من الناحية العلمية وكأنه يريد ان يستدل بالتجربة عليه وعلى وجوده ! إنَّ دوكنز لا يستطيع ان يستدل على اشياء هي اقل شاناً من الله ووجوده ، مثل الروح ، لأن الروح مخلوقة من مادة تختلف عن المادة الكونية التي تحيط بنا. ولذلك ينكر دوكنز وجودها لأنه لا يتمكن من رؤيتها او لمسها أو التوصل اليها بالطريقة العلمية التجريبية ! وهذا جزء من مشكلة دوكنز. فالموضوع لا يتعلق بإبريق الشاي ووحش السباكيتي أي موضوع عبء البرهان الذي ذكرناه آنفاً ، فنحن المؤمنون قادرون بمشية الله (سبحانه وتعالى) على إقامة الدليل على وجود الخالق ، ولا نحتاج للسفسطات من قبيل إبريق الشاي ومثيله وحش السباكيتي. فإذا أراد دوكنز ان يستعمل العلم والطريقة التجريبية للاستدلال فليستدل اولاً على وجود الروح بطريقة تجريبية فإن تمكن من ذلك فليتبجح بعدها بمقدرته على الاستدلال على الخالق من عدمه.

وينتقل دوكنز لمناقشة موضوع آخر ذو صلة ، وهو إعتراض البعض على مناقشة وجود الخالق بذريعة عدم التخصص !

يقول دوكنز:

> "ما هي تلك الاسئلة البديهية التي يعتبر الدين فيها ضيف الشرف القابل للاجابة بينما على العِلم أن ينسل بعيداً ويحتفظ بإحترامه لنفسه"[١٨١].

والظاهر ان دوكنز يعاني من انعكاسات التدين المسيحي على البعض وآرائهم الشخصية. أو إنه يريد تعميم آرائهم واقوالهم للطعن في التدين كله من خلال طعنه بالتدين المسيحي. ولا يخفى ان

[١٨١] وهم الاله / دوكنز – ص٥٨.

هناك من يعرض وجهة نظره الشخصية فلا يعني هذا ان يقوم الملحد بإستغلال ذلك الكلام لمصلحة تشويه فكر الاخرين انتصاراً لآيديولوجيته الإلحادية.

اما منهجنا ، وما نزعم انه منهج الاسلام المحمدي ، فهو أن الانسان حر في تفكيره في العقيدة الدينية ، في التوحيد ، في وجود الخالق ، وانه يجب ان يبحث بنفسه وتفكيره الخاص للوصول الى الحقائق الدينية. فلا يصح لإنسان ان يقلد عالماً من علماء الدين في القضايا العقائدية كالتوحيد ووجود الخالق (جلَّ جلاله). فلا يصح لرجل دين ان يقول لإنسان انه ليس من شأنك او اختصاصك ان تناقش في قضية التوحيد او وجود الخالق لأنه اختصاص رجال الدين ! هذا على المستوى العقائدي ، على مستوى العقيدة الدينية. انما بخصوص الاحكام الشرعية ، المسائل الفقهية ، احكام الحلال والحرام ، في العبادات والمعاملات ، فهذا الامر تخصصي من شان الفقيه حصراً. لأنه يعتمد على دراسة دينية معمقة لغرض التمكن من استنباط الاحكام الشرعية. فالفقه تخصص لا يصح لأي شخص لم يدرسه الخوض فيه ، كما ان هناك تخصصات في البايولوجي والفيزياء بأقسامها والكيمياء كذلك ، وبقية العلوم. فيجب ان يُحترم التخصص.

إذن موضوع البحث في وجود الخالق (جلَّ جلاله) هو موضوع عقائدي غير تخصصي. يجب ان يبحث فيه جميع الاشخاص المكلفين ، أي الافراد البالغين ، بحسب فكرهم ومستواهم العقلي ، ولا يصح لغير الفقيه مناقشتهم او الاعتراض عليهم بدعوى التخصص. اما في القضايا العامة التي لا ترتبط بتخصصهم فلا ريب ان مناقشتهم فيها هو امر جائز ومقبول.

يقول حيدر حب الله:

" لا يتكلّم في القضايا التخصصيّة إلا المتخصّص، وهذه كلمة حقّ يتمّ استخدامها أحياناً من قبل بعضهم في غير موضعها، فقد تناقش طبيباً في قضيّة لا علاقة لها بالطب، فهل يقول لك بأنّك تناقشني في تخصّصي؟ فلماذا لا يحقّ لي أن أناقش هؤلاء في غير الجوانب التخصّصيّة، كأن أناقشهم في أسلوبهم، أو في طريقة تعبيرهم، أو في موقفٍ سياسي أو اجتماعيّ ميدانيّ، أو قضيّة تتصل بإدارتهم لهذا التفصيل أو ذاك، فهل هذه تُدرس في الفقه والأصول؟ هلّا أرشدونا أين تُدرس تفاصيل هذه الأمور في أصول الفقه: هل في مباحث الألفاظ أو الحجج أو الأصول العمليّة أو التعارض؟ فلنحترم عقول الناس، ولندخل في حوار مع عقولهم، لإقناعهم بما نراه صواباً، بدل أن نسعى بأيّ طريقة في عقم العقول وحرمانها من ممارسة دورها في التفكير. اليوم باتت الحرب مع عقول الناس خاسرة، إلا إذا فرّغتهم من عقولهم بسياسة التجهيل! وأجد نفسي متأكّداً بأنّ تيارات كبيرة في العقل الديني ما تزال غير مدركة لهذه الحقيقة أو أنّها تسعى . مع

الأسف . مفتخرةً لممارسة سياسة التجهيل، والنتيجة لن تكون سوى أحد أمرين: إمّا تديّن مفرّغ من كلّ وعي أو لادينيّة مفرطة"[١٨٢].

ولا ننسى الرواية عن الامام جعفر الصادق عن آبائه عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهم السلام) انه قال: (ولايجوز أن يبطل حكم الله في حادثة من الحوادث لأنه يقول سبحانه: ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)))[١٨٣] ، وهذا يعني فتح الباب واسعاً للفقيه لبيان الموقف الشرعي في مختلف شؤون الحياة. وإنما ما تحدثنا عنه آنفاً هو في مناقشة الفقيه في القضايا الموضوعية وليس الفقهية. فهناك تفاصيل في الحياة يحتاج الفقيه الى آراء المختصين قبل ان يصدر موقفه الشرعي. فعلى سبيل المثال موقف السيد السيستاني من اجراء الانتخابات في العراق بعد احتلال قوات التحالف سنة ٢٠٠٣ ، وان تكون هناك حكومة منتخبة من قبل الشعب ، وعندما جوبه من قبل البعض بأنه ليس هناك إحصاء للسكان لكي تتم الانتخابات وفقاً له ، اقترح السيد السيستاني ان يتم اعتماد احصاء وزارة التجارة الخاص بالبطاقة التموينية فإن فيه نسبة مصداقية مقبولة لتعداد السكان ، واعتمد في موقفه هذا على دراستين تخصصيتين قدمتهما له مجموعتين متخصصتين بقضايا الاحصاء ومن الوسط الاكاديمي. وفعلاً تمت الانتخابات وبدأ تأسيس الدولة العراقية الديمقراطية الجديدة.

ويتسائل دوكنز:

"ما هي مجالات الخبرة التي يقدمها علماء الدين في الدراسات الكونية العميقة والتي لا يستطيع العلماء الاجابة عنها؟"[١٨٤].

من الواضح انه ليس اي عالم دين يمكنه تقديم خبرة في الدراسات الكونية. بل هناك علماء دين تخصصوا بتخصصات اخرى الى جانب تخصصهم الديني. فإذا حمل الانسان تخصصين او اكثر

---

[١٨٢] مقال بعنوان (جاهل فأفكاره خاطئة، أو أفكاره واهية فهو جاهل؟) للشيخ حيدر حب الله ، منشور في موقعه الاكتروني الرسمي: https://goo.gl/aZXkPq

[١٨٣] وسائل الشيعة / الحر العاملي - ج٢٧ ص٥٢.

[١٨٤] وهم الاله / دوكنز – ص٥٨.

فلا ضير من اللجوء اليه للاستفادة من خبراته. فالقضية ليست مطلقة ، أي انه ليس اي عالم دين يمكنه تقديم خبرته في الدراسات الكونية المعمقة بل الامر يدور مدار التخصص.

فعلى سبيل المثال نجد ان الخواجة نصير الدين الطوسي (١٢٠١– ١٢٧٤) ، كان بالاضافة الى كونه من ابرز علماء الدين المسلمين في وقته ، فهو قد تخصص بالرياضيات والفلك وله اسهامات واعية في تلك العلوم الى جانب العلوم الدينية.

وعادة تكون نظرة علماء الدين المسلمين للقضايا التي يتخصصون بها أكثر عمقاً ممن سواهم بسبب الظروف الموضوعية التي تحيطهم. فعالم الدين يكون متعمقاً بقضايا التوحيد خصوصاً واصول الدين عموماً أي العقائد. وهذا يعطيه بعد نظر غير متحقق لسواه. كما ان علماء الدين يجمعون بين تخصص العالم المادي وبين العالم الروحاني المعنوي حيث الطمانينة والسكينة التي ينزلها الله سبحانه وتعالى عليهم ، حيث تتفتح اذهانهم وآفاق نفوسهم.

نعود للسؤال الذي ذكره دوكنز كعنوان: (هل يستطيع العلم ان ينفي وجود الله؟) وقد بيّنا ان مدارك العلم تختلف عن مدارك كنه الله (جلَّ وعلا) الذي لا يعلمه إنسان بل لا يمكن ان يعلمه إنسان لأنه فوق مستوى إدراك العقل البشري.

ما يمكن ان يثبته العلم او ينفيه هو بعض المعارف الواردة في الكتب السماوية. فإن تطابق بعض ما فيها من معارف مع الحقائق العلمية ، اكرر مع الحقائق العلمية التي لا تقبل اللبس ، فإن ذلك يثبت صحة الكتاب السماوي بإعتباره ذكر معارفاً وعلوماً تسبق عصر ظهورها بين البشر بمئات السنين. من قبيل قوله تعالى: ((العنكبوت تبني بيتاً)) فنسب بناء البيت لنثى العنكبوت وهو ما اكتشفه العلم حديثاً. اما إذا ورد اختلاف بين حقيقة علمية وبين ما ورد في كتاب سماوي فهذا يمكن تفسيره بأحد إحتمالين ، إما ان يكون لما ورد في الكتاب السماوي تاويلاً لم يفهمه البشر. او ان يكون الكتاب السماوي قد دخله بعض التحريف من قبل البشر وعبر المسيرة الانسانية لمئات السنين. والحمد لله فإن امراً من هذا القبيل أي التحريف لم يطرأ أبداً على القرآن الكريم الذي نُقِلَ إلينا كما أُنزِل. ولذلك فإنك لن تجد إختلافاً بين ما ورد في القرآن الكريم وبين العلوم الحديثة مهما تطورت ومهما زادت الاكتشافات عبر العصور.

إذن العلم لا يمكنه ان ينفي وجود الله سبحانه وتعالى بل يمكنه ان ينفي صحة بعض النصوص التي يفترض قدسيتها ، كبعض المواضع المتعارضة مع العلم في الكتاب المقدس سواء الاسفار المشتركة بين اليهودية والمسيحية او الاسفار الخاصة بالمسيحية. وما يمكن ان يثبته العلم هو حدوث التحريف في تلك المواضع من الاسفار المذكورة.

اما على الصعيد الفلسفي ، حيث كانت العلوم قديماً والى زمن ليس ببعيد ، تحسب ضمن اقسام الفلسفة. فلم تظهر فلسفة يمكنها ان تثبت عدم وجود الله تبارك وتعالى ، بل ان العديد من الفلسفات تثبت وجوده سبحانه بطرق فلسفية بل تثبت حتمية وجوده تبارك وتعالى.

نعم هناك بعض الفلسفات قد تبني على ان الخالق غير موجود ، وتؤسس فلسفتها على هذه الفرضية دون ان تتمكن من ان تثبت عدم وجوده. كالوجودية وغيرها.

وبعض الفلسفات لا تعبأ بوجود الله وتبني فلسفتها على إهمال وجوده وإنْ كان حقيقياً ، كالبوذية.

ويتحدث دوكنز عن مفهوم الـ (اختصاصات غير متداخلة) ويتهم المؤمنين باستخدامه بمزاجية حسب المصلحة ! فحين تكون الادلة العلمية الى جانب المؤمنين يستخدمونها لتقوية موقفهم المؤيد لوجود الخالق ، وحينما تكون الادلة العلمية على خلاف مع المؤمنين – بحسب فرضية دوكنز – فإن المؤمنين يزعمون ان العلم والدين منفصلان ولا يصح تداخل الاختصاصات ! ويقول أن ستيفان جاي غولد هو الذي طرح مصطلح (اختصاصات غير متداخلة) وذلك في كتابه (صخور الازمنة)[١٨٥] ، ويقول دوكنز:

"إن شيوع مبدأ (اختصاصات غير متداخلة) يعود لعدم وجود ادلة تدعم وجود الله. وفي اللحظة التي يظهر فيها اي اقتراح لدليل ما في صالح الايمان الديني فلن يتوانى رجال الدين عن رمي مبدأ (اختصاصات غير متداخلة) من النافذة"[١٨٦].

"اشترك بشيء واحد مع الخلوقيين ، إنهم مثلي على عكس (التطوريون السياسيون) ، لا يعترفون بمبدأ (اختصاصات غير متداخلة) وفصل الاختصاصات. ولكن بدون احترام للحدود ، يحلو للخلوقيين دق المسامير القمعية الوسخة في مروج العلم"[١٨٧].

فتارة يتهم الخلوقيين (المؤمنين) باللعب على حبل الـ (اختصاصات غير متداخلة) ، وتارة يقول انه أيضاً يؤمن بعدم وجود (اختصاصات غير متداخلة) !؟ في حين نجد ان دوكنز يستخدم هذا المبدأ

---

[١٨٥] وهم الاله / دوكنز – ص ٥٧.

[١٨٦] المصدر السابق – ص٦١.

[١٨٧] المصدر السابق – ص٧٠.

بكل حريّة حينما يجد ان موقفه يحتم عليه استخدامه ، ففي مناظرته مع ديباك شوبرا وحينما احرجه شوبرا بذكر التصميم الذكي للكون ، رد عليه دوكنز ن ومما قاله:

" والان قمت بتغيير الموضوع ، وتحدثت عن الانضباط المزعوم للكون وهو سؤال هام وشيّق ، وهو بالنسبة للفيزياء ، لكن انا وانت علماء بيولوجيا ، ولسنا فيزيائيين ويمكننا ان نتحدث عن الامر"[١٨٨] !

بلحظة واحدة تغيير الموقف ، وتبرّأ من الفيزياء ليعلن انه عالم بايولوجي ! وبعد دقائق ينسى هذا الكلام ويعود ليناقش في ادق تفاصيل الفيزياء !! وحينما اخبره ديباك شوبرا ان فريمان دايسون يقول ان للذرة احساس ، رفض ذلك رغم انه موضوع فيزيائي تخصصي ، وفريمان متخصص في الفيزياء ، ومع ذلك يعارضه متناسياً مبدأ (اختصاصات غير متداخلة) !! فيقول:

"الذرات لا احساس لديها اذا كان هذا ما قاله ، وانا اشك في ذلك فأنا اختلف معه"... "اذا كان فريمان دايسون قد قال ان الذرات واعية. إذن فهو مخطيء وانا لا اعتقد انه قال ذلك"[١٨٩].

وفريمان دايسون ، الذي عارضه دوكنز ولبس عباءة الفيزياء لدحض افكاره ، هو:

"جون فريمان دايسون (ولد في ١٥ كانون الاول / ديسمبر ١٩٢٣) رياضي وفيزيائي نظري أمريكي من أصل بريطاني. اشتهر لعمله في مجال نظرية الكم وفيزياء الحالة الصلبة وعلم الفلك والهندسة النووية. هو عضو في مجلس الرعاة من نشرة علماء الذرة. عاش دايسون في جامعة برنستون من ولاية نيوجيرسي لأكثر من خمسين عاما ... عرف دايسون بإثباته لتعادل صياغات نظرية كهروديناميكا كمية في عام ١٩٤٩. (مخططات فاينمانمن ناحية و صياغة المؤثرات لجوليان شفينجر وشينيتشيرو توموناغا ناحية أخرى. وكان دايسون أول شخص (إلى جانب ريتشارد فاينمان) في تقدير قوة مخططات فاينمان. وهو صاحب مقالة كتبت في ١٩٤٨ كانت الأولى التي تستخدم فيها مخططات فاينمان. وقال في تلك المقالة أن مخططات فاينمان لم تكن مجرد أداة حسابية، ولكن نظرية فيزيائية. وقم بوضع قواعد للمخططات التي حلت تماما مشكلة إعادة الإستنظام. مما لا شك فيه أن مقالة دايسون ومحاضراته عرضت نظرية فينمان للكهروديناميكا الكمية في شكل يمكن أن يفهمه الفيزيائيين الآخرين ويسر قبول المجتمع

[١٨٨] مناظرة ريتشارد دوكنز مع ديباك شوبرا ، منشورة في موقع اليوتيوب.

[١٨٩] المصدر السابق.

الفيزياء لأعمال فاينمان. في العام نفسه، وفي عمل متصل، وضع دايسون سلسلة دايسون و هو العمل الذي ألهم جون وارد عمله المسمى الشهير متطابقة وارد.

عمل دايسون أيضا على مجموعة متنوعة من المواضيع في الرياضيات، مثل الطوبولوجيا و التحليل الرياضي و نظرية الأعداد و المصفوفات العشوائية و الدراسات المناخية. كما شارك في الإشراف على من ١٩٥٧ حتى ١٩٦١ على مشروع أوريون الذي اقترح إمكانية التحليق في الفضاء باستخدام الدفع بالنبض النووي. وقد بني النموذج الأولي باستخدام متفجرات تقليدية، ولكن المعاهدة التي كان يشارك في دعمها ، حظرت تجارب الأسلحة النووية ، وهو ما أدى إلى التخلي عن المشروع. في عام ١٩٥٨ قاد فريق التصميم مفاعل تريغا النووي التجريبي، المستخدم في جميع أنحاء العالم في المستشفيات والجامعات لإنتاج النظائر المشعة.

وفي عام ١٩٦٦ جاء العمل المهم بواسطة دايسون عندما ، جنبا إلى جنب مع اندرو لينارد وبشكل مستقل عن إليوت ليب و والتر ثيرنغ حيث أثبت بصرامة أن مبدأ الاستبعاد يلعب الدور الرئيسي في استقرار المادة. ووليس التنافر الكهرومغناطيسي بين الالكترونات و النواة. حوالي عام ١٩٧٩ ، عملت دايسون مع معهد تحليل الطاقة"[١٩٠].

حاز على الاوسمة والجوائز التالية:
" زمالة الجمعية الملكية (انتخب في عام ١٩٥٢).
ميدالية لورنتز في عام ١٩٦٦.
ميدالية ماكس بلانك في عام ١٩٦٩.
جائزة هارفي في عام ١٩٧٧.
جائزة لويس توماس للكتابة عن العلوم في عام ١٩٩٦.
جائزة انريكو فيرمي في عام ١٩٩٣.
جائزة تمبلتون للتقدم في الدين في عام ٢٠٠٠"[١٩١].

[١٩٠] الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان: (فريمان دايسون).

[١٩١] المصدر السابق.

ويتحدث دوكنز عن ترجيح الدين في حالة عجز العلم فيقول:

"ربما هناك أسئلة عميقة وصادقة وذات معنى تقع خارج نطاق العلم الى الابد. ربما أن نظرية الكم تدق على بوابة اللاإدراك. ولكن ما الذي يجعل أي منا يفكر بأنه لو عجز العلم عن إعطاء إجابة لسؤال ما فإن الدين سيجيب عليه؟"[١٩٢].

ومن افترض هذا ؟ هل يوجد دين يقول بأنه يجيب عن الاسئلة العلمية في الكيمياء والفيزياء والبايولوجي ! وإذا صادف دوكنز شخصاً يزعم هذا الامر فهل يسقط كلامه على الاديان ويهاجمها بسبب رأي شخص واحد مغمور ! أم هل جاء الانبياء بهذا ام جاءت به الكتب المقدسة ؟!

الدين وكتبه المقدسة هي كتب هداية للانسانية وبناء للمجتمع الصالح. اما العلم فمجالاته معروفة ، وكما ان العلم ليست وظيفته الهداية ، فكذلك الدين ليست وظيفته اختراع الآلات والاجهزة الالكترونية او صناعة الادوية والنظريات الفيزيائية.

فالعلم والدين منهجان منفصلان ، قد يلتقيان في نقاط محددة ، وقد يستمران في مسيرتهما المنفصلة. ولكن هناك نقطة اخرى ينبغي توضيحها ، وهي ان المعطيات العلمية عادة تبرز نحو عالي جداً من التعقيد والتصميم الذكي ، وهذا المعطي العلمي يحتم على الانسان العاقل ان يفكر في كيفية تولد هذا الكون الذي عرف من خلال العلم عجائبة وتنسيقه وتصميمه العبقري والتي تقود الانسان المفكر والبحث عن الحق الى الاذعان بحتمية وجود خالق للكون. كما ان المعطيات الدينية تربط بين التدين وبين طلب العلم والحث عليه ، فمن المعروف إنَّ اول آية قرآنية نزلت ابتدأت بكلمة (إقرأ) ، كما ان هناك عدة آيات وروايات تحث على طلب العلم ، وما ذاك إلا لأن الدين الاسلامي يعلم جيداً أن العلم الحقيقي لا ينفصل عن الايمان.

قال تعالى: ((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)).

قال تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)).

وقال تعالى: ((يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)).

[١٩٢] وهم الاله / دوكنز – ص٥٩.

في الكافي عن الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) انه قال: (قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): "مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ) الى آخر الحديث[١٩٣].

وفي الخصال للشيخ الصدوق عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهم السلام) انه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (فضل العلم أحب الى الله عزَّ وجلَّ من فضل العبادة. وأفضل دينكم الورع)"[١٩٤].

وبنفس السند السابق ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما جمع شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم)[١٩٥]. ومعنى ذلك جمع التأنّي الى طلب العلم لكي يكون العلم مستحكماً وبليغاً.

روى المجلسي عن الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: (لا خير في العيش إلا لمستمع واع ، أو عالم ناطق)[١٩٦].

وجاء في سفينة البحار: عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به)[١٩٧].

وجاء في مستدرك نهج البلاغة أن الإمام علي أمير المؤمنين قال: (العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه).

ومن الواضح ان دوكنز يحاول ان يدّعي أن العلم منفصل عن الدين على سبيل المعارضة والتفنيد ! ويحاول ان يظهر العلم وكأنه في وادٍ بعيد عن الايمان ! مع ان هناك العديد من العلماء الغربيين المتخصصين في مختلف العلوم الى جانب اعلانهم الايمان. نذكر على سبيل المثال: جون بولكينغهورن John Polkinghorne:

"جون كارلتون بولكينغهورن عالم فيزياء نظرية ومفكر ديني وكاتب وكاهن أنجليكاني بريطاني من مواليد ١٩٣٠ ، ويعتبر جون من رواد تفسير العلاقة بين الدين والعلم،

---

[١٩٣] الكافي / الشيخ الكليني / تحقيق علي أكبر الغفاري – ج١ ص٣٤.

[١٩٤] الخصال / الشيخ الصدوق - ص٤.

[١٩٥] المصدر السابق.

[١٩٦] بحار الانوار / العلامة المجلسي – ج١ ص١٦٨.

[١٩٧] مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي - ج٧ ص٣٤٩.

وكان أستاذ الفيزياء الرياضية في جامعة كمبردج من عام ١٩٦٨ إلى ١٩٧٩ عندما استقال لدراسة الكهنوت وأصبح كاهناً أنجليكانياً في عام ١٩٨٢، وخدم كرئيس لكلية كوينز في كمبردج من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٦، ألف بولكينغهورن خمسة كتب عن الفيزياء وستة وعشرين كتاباً عن العلاقة بين العلم والدين، ومن مؤلفاته عالم الكم Quantum World 1989، الفيزياء الكمومية واللاهوت: صلة غير متوقعة ٢٠٠٥، استكشاف الحقيقة: التشابك بين العلم والدين ٢٠٠٧، أسئلة الحقيقة ٢٠٠٩، قارئ بولكينغهورن (حرره توماس جي أورد) ويقدم ملخصات رئيسية لأهم كتب بولكينغهورن المؤثرة، نصب فارساً في ١٩٩٧ وأعطي جائزة تمبلتون في ٢٠٠٢ بمقدار مليون جنيهاً تقديراً لمساهماته المميزة في تاكيد البعد الروحي للحياة" ..."عمل لمدة ٢٥ عام على نظريات الدريرات الأولية، ولعب دوراً مهماً في اكتشاف الكوارك ، وبحث في الخواص التحليلية والطاقة العالية لتكاملات فينمان وقواعد نظرية المادة المبعثرة.[٥] بالإضافة لوظيفته في كامبريدج، فقد قضى وقتاً في جامعات برينستون وبركلي وستانفورد والمنظمة الأوروبية للأبحاث النووية في جينيف. انتُخِبَ عامَ ١٩٧٤ كزميل في الجمعية الملكية"[١٩٨].

ولا يسعنا ان نترك ذكر (بول دافيس):

" بول تشارلز وليام دافيس (بالإنجليزية: Paul Charles William Davies) عالم فيزياء بريطاني مشهور ولد في ٢٢ نيسان / إبريل ١٩٤٦" ... " عام ١٩٧٠، أكمل دافيس دراساته العليا وحصل على شهادة الدكتوراة من كلية لندن الجامعية، حيث كانت أطروحته بعنوان "مساهمات في الفيزياء النظرية:

(أ) التخميد الإشعاعي في التواصل البصري

(ب) نظرية الكم في نظرية الكهرومغناطيسية لوييلر– فاينمان" وكانت بإشراف العالم الفيزيائي البريطاني مايكل سيتون والعالم سيغورد زيناو.

أنجز بعد ذلك العديد من الأبحاث في جامعة كمبردج تحت إشراف العالم البريطاني فريد هويل" ... " شملت أبحاث دافيس مجال الفيزياء النظرية و علم الكون و علم الأحياء الفلكي وركز بحثه في مجال نظرية الحقل الكوانتي في منحني الزمكان، وإنجازه المهم Fulling–Davies–Unruh effect أو أثر أنروه، ووفقًا له فالمراقب المتحرك في الفضاء الفارغ سيتعرض لحمام إشعاع حراري وأنجز مفهوم حالة بونش دافيس Bunch–Davies vacuum state وهو مفهوم يستخدم لتفسير تذبذبات الإشعاع

[١٩٨] الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان: (جون بولكينغهورن).

الكوني الخلفي الذي خلفه الإنفجار العظيم" ... " يتمتع بول دافيس بموهبة تبسيط العلم الحديث وقدمت له أستراليا جائزة أستراليا المتقدمة وجائزتي يوريكا ، أما في بريطانيا فحصل على ميدالية كالفن عام ٢٠٠١ وميدالية فارادي ٢٠٠٢ من الجمعية الملكية البريطانية وكذلك جائزة معهد الفيزياء البريطاني وحصل على جائزة تمبلتون عام ١٩٩٥. وكان دافيس على قائمة الشرف الأسترالية عام ٢٠٠٧ في تشريفات عيد ميلاد الملكة. وسمي الكويكيب بول دافيس ٦٨٧٠ على شرفه"[١٩٩]...

ويحكي د. محمد باسل الطائي قصته مع بول دافيس وكيف انه ترك الالحاد الى الايمان في ثمانينيات القرن العشرين. ومن كلام بول دافيس في كتابه (The Accidental Universe):

"ان من يتأمل نشوء الحياة على هذه الارض يقطع بما لا يقبل الشك ان قوة هائلة الذكاء تلاعبت بقوانين الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة ليكون وجود الانسان في هذه الارض ممكناً"[٢٠٠].

ويقول دوكنز:

"وجود أو غياب الخالق الخارق هو سؤال علمي بشكل صريح ، على الرغم من عدم قدرتنا – حتى الان – الاجابة عليه"[٢٠١].

هذا السؤال الذي يظن دوكنز انه لحد الان لم يستطيع الاجابة عليه قد اجاب عنه اشهر ملحد في الخمسين سنة الماضية ، انتوني فلو Antony Flew (١٩٢٣– ٢٠١٠)[٢٠٢] والذي بعد ان ألّف

---

[١٩٩] الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان: (بول دافيس).

[٢٠٠] قصة د. محمد باسل الطائي مع بول دافيس منشورة في موقع اليوتيوب ، تحت عنوان: (قصة العالم الفيزيائي بول ديفيز من الإلحاد إلى الإيمان).

[٢٠١] وهم الاله / دوكنز – ص٦١.

[٢٠٢] أنطوني جيرارد نيوتن فلو (١١ فبراير ١٩٢٣ - ٠٨ أبريل ٢٠١٠) فيلسوف بريطاني، اشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان. كان فلو طوال حياته ملحدا وألف العديد من الكتب التي تدحض فكرة الإله، غير أنه و في آخر حياته ألف كتابا نسخ كل كتبه السابقة وقد تجاوزت ثلاثين كتابًا تدور حول فكرة الإلحاد، بعنوان: هنالك إله. وقد تعرض لحملة تشهير ضخمة من المواقع الإلحادية في العالم وذلك لأنه ولخمسين عامًا كان يعتبر من أهم منظري الإلحاد في العالم، تميز فلو بعلميته في الطرح و استشهاده بقوانين الطبيعة لاثبات آرائه، وقد بدأ يتخلى عن الإلحاد بعد تفحص عميق للأدلة ثم أعلن ما اعتبر صدمة قوية في وسط الفكر الإلحادي في العالم تحوله إلى الفكر الربوبي. انظر: الموقع الالكتروني (ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة) تحت عنوان (أنطوني فلو).

حوالي ٣٠ كتاب في الالحاد عاد ليؤمن بوجود إله خالق للكون ، وذلك سنة ٢٠٠٤ ، وكتب كتابه الشهير "هناك إله" ، في سنة ٢٠٠٧. انتوني فلو اجاب عن السؤال الذي لم يحسن دوكنز الاجابة عنه وهو ان هناك إله خالق للكون ، مستنداً في ذلك الى ما وجده من تصميم فريد للكون.

يقول انتوني فلو:

"اطرح على الملاحدة سؤالاً مهماً: مالذي تنتظرونه من حيثيات عقلية او علمية حتى تقبلوا إعادة النظر في رفضكم لأن يكون هناك عقل ذكي وراء هذا الوجود؟"[٢٠٣]. وأضاف: "أؤمن أن نشاة الحياة والتنوع الهائل للكائنات الحية لا ينشأ إلا عن مصدر سماوي. لماذا أصبحت هذه قناعتي بعد أن ظللت ملحداً لأكثر من نصف قرن؟ إنَّ العلم الحديث يُجَلِّي خمسة أبعاد تشير الى الإله الخالق:

أولاً. الكون له بداية ونشأ من العدم.

ثانياً. ان الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة مترابطة.

ثالثاً. نشاة الحياة بكل ما فيها من دقة وغائية ، من المادة غير الحية.

رابعاً. أن الكون بما فيه من موجودات وقوانين ، يهيء الظروف المُثلى لظهور ومعيشة الانسان ، وهو ما يُعرف بـ (المبدأ البشري Anthropic Principle).

خامساً. ان القدرات العليا للعقل البشري لا يمكن أن تكون نتاجاً مباشراً للنشاط الكهروكيميائي للمخ.

ليست معطيات العلم الحديث فقط هي التي دفعتني لتغيير قناعاتي ، ولكني أيضاً أَعَدْتُ النظر في البراهين الفلسفية التقليدية التي قادتني قبلُ الى الالحاد ، ثم طبَّقت نفس القاعدة السقراطية المنهجية التي عشت عليها طوال حياتي الفلسفية: (ان نتبع البرهان الى حيث يقودنا) فقادني البرهان هذه المرّة الى الايمان"[٢٠٤].

[٢٠٣] رحلة عقل / عمرو شريف - ص٧٤.

[٢٠٤] المصدر السابق - ص٧٥.

ويتسائل دوكنز عن ولادة المسيح (عليه السلام) من غير أب وعن إحياء المسيح (عليه السلام) للموتى ويتسائل ويقول:

"هناك إجابة لكل سؤال من هذا النوع ، سواء كان او لم يكن لدينا دليل عملي ، وهو جواب علمي محض. كما ان الطرق الواجب استعمالها لحل المسألة ، في حال العثور على ادلة مساعدة عملية ، يجب ان تكون طرقاً علمية صرفة"[٢٠٥] !

هل كان يخفى على دوكنز ان الاديان عندما ذكرت ولادة المسيح (عليه السلام) من غير أب وعندما ذكرت احياءه للموتى إنما ذكرته على نحو الاعجاز ؟! فإذا كان دوكنز يعلم ان الاديان جاءت به على نحو معجز ، اي خارج القوانين الطبيعية المالوفة ، فكيف يريد ان يبحث عن دليل علمي على قضايا يفترض انها خارج إطار الطبيعة وقوانينها التي تشكل الرافد للعلوم ؟! ولنحتمل انه يفترض حدوث هذين القضيتين (الولادة بدون أب وإحياء الموتى) ولكن يريد إيجاد تفسير علمي لهما إرضاءاً لغروره الالحادي. ولكن لو كانت هذه المعجزات يمكن التوصل لها عن طريق العلم لما خلقها الله سبحانه وتعالى على نحو إعجازي ، لأن المعجزة فيها تحدي لجميع البشر على الاتيان بمثلها.

كما ان المعجزات تدل على ان الله (سبحانه وتعالى) له القدرة على تغيير قوانين الطبيعة وان يستبدلها بقوانين جديدة ، لأن من يأتي بمعجزات تخالف المنظومة الطبيعية الحالية المألوفة عند البشر ، يمكنه الاتيان بمنظومة إعجازية متكاملة يستبدل بها المنظومة الحالية أو حتى منظومة قوانين أخرى حتى لو تكن إعجازية ولكن تختلف عن قوانين الكون الحالية. وهذا الامر يعني ان رؤية أينشتاين لحتمية المسيرة الطبيعية والانسانية هي قضية خاطئة ، فليست هناك حتمية ، وان الله سبحانه وتعالى قادر على تغيير القوانين التي وضعها. وفي ذلك إبطال لنظرية الجبر (الحتمية) التي كان أينشتاين والامويون قبله ينادون بها !

وربما يعترض ملحد على انه ليس هناك إثبات على حدوث المعجزات وإنما هي اساطير دينية يتداولونها !

وربما غاب عن الملحدين ان الاديان لا تحتاج لأثبات حقانيتها الدائمية ، او ديمومة حقانيتها ، على وجود المعجزة. بل المعجزة هي من اجل ان يؤمن بها اهل زمانها. فمعجزة شق البحر للنبي موسى (عليه السلام) ، كان يمكن لا تكون هناك حاجة إليه ، وان يتم توفير عدد كافٍ من السفن

[٢٠٥] وهم الاله / دوكنز – ص٦١.

لنقل بني إسرائيل الى الضفة الاخرى ، ولكن نجاة بني اسرائيل من فرعون لم تتم بالطرق الطبيعية رغم ان الله سبحانه وتعالى قادر على ذلك ، وإنما حدثت بطريقة إعجازية لكي يبين عظمة الله وقدرته ووجوده إمام انظار بني اسرائيل وصدق نبوة موسى وهارون (عليهما السلام) ليزدادوا إيماناً. وكذلك ولادة المسيح (عليه السلام) بدون أب ، كان يمكن ان يولد المسيح (عليه السلام) من خلال تزاوج طبيعي بين والدته وبين رجل من بني اسرائيل يتزوجها ، فيولد المسيح (عليه السلام) كما وُلِدَ بقية انبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) ، ولكن ذلك لم يحدث ، وما حدث هو ولادته الاعجازية، فالمهام التي جاء بها المسيح (عليه السلام) هي مهام جسيمة تتطلب ان يؤمن اليهود بنبوته بدرجة إيماناً يقينياً لأنه أظهر لهم التوراة الاصلية التي انزلها الله سبحانه وتعالى على النبي موسى (عليه السلام) والتي تعرضت للضياع والتحريف ، فجاء بها المسيح (عليه السلام) كما أُنزِلَت اول مرّة. وكذلك جاء لهم بالانجيل الذي نسخ التوراة وغيّر بعض احكامها ، وهو الامر الذي لم يكن اليهود ليتقبلونه لولا ان يتيقنوا بصدق النبي الذي جاء بذلك النسخ والتغيير والذي اثبت الله (سبحانه وتعالى) صدق نبوته بمعجزة عظيمة فريدة من خلال ولادته الاعجازية وإحياءه الموتى وغيرها من المعجزات التي جاء بها والمذكورة في القرآن الكريم المعجزة الدائمية.

فنحن نؤمن بمعجزات الانبياء (عليهم السلام) من حيث إيماننا بصدق رسالة الاسلام التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والتي اخبرتنا بحدوث تلك المعجزات في القرون الماضية ، وإلا فإن حدوث تلك المعجزات في ذلك الزمان لا يعنينا ولا يؤثر في إيماننا. ولو جاء الاسلام دون ان يذكر لنا أي معجزة من معجزات الانبياء السابقين (عليهم السلام) فلم يكن ذلك ليؤثر في إيماننا شيئاً.

ولكن هل يتوقع دوكنز حقاً انه يمكن ان يأتي يوم يتوصل فيه العلم الى معرفة كيفية ان تحبل المرأة وتلد من دون تلقيح ذكري! ولو كان هذا ممكناً فعلاً فكان يتوجب على التطور الداروينى والذي يؤمن به دوكنز ان يجعل الانسان يتناسل عن طريق ولادة النساء للاولاد بدون حاجة الى وجود الذكر لاتمام عملية التلقيح وتكوين الجنين. أليس الاسهل لمفهوم التطور والبقاء للاصلح ان يجعل الفرد الانساني يتناسل تلقائياً بوجود نوع واحد منه هو الاناث دون حاجة الى وجود نوعين ذكر وانثى ؟! فإن كان دوكنز يؤمن بالتطور الداروينى فعليه ان يفسر سبب تناسل البشر عن طريق نوعين ذكر وانثى. والظاهر ان دوكنز لا يجرؤ على ان يقول ان التطور الداروينى هو من تسبب في ان تلد مريم العذراء (عليها السلام) من غير أب ، لأنه لو قال ذلك فإن عليه ان يفسر لماذا لم يحدث التطور الداروينى في هذه المسألة مع بشر آخرين بنفس الطريقة ؟! ولماذا حدث مرّة واحدة فقط ؟!

واما حول معجزة إحياء الموتى ، فهل يتوقع دوكنز فعلاً أنه يتمكن ان يأتي يوم يتمكن فيه الانسان من أن يحيي الموتى ! فإذا كان الانسان يعجز عن إعطاء الحياة لخلية واحدة ، فكيف يمكنه ان يعيد الحياة الى ملايين الخلايا المكونة لجسد الانسان بعد موته !! ولماذا لم يتدخل التطور الداروينى ليمكِّن الانسان من ان يستعيد حياته بعد وفاته بصورة طبيعية ؟ نعم لا يمكن للانسان ان يستعيد حياته التي فقدها ، لا من خلال التطور ولا من غيره ، لأن (فاقد الشيء لا يعطيه) ، فالانسان الفاقد للحياة بعد موته لا يمكنه ان يبث الحياة في جسده ، والخلية الفاقدة للحياة لا يمكن ان تعطي لنفسها الحياة ، لأن فاقد الحياة لا يمكن ان يعطيها ، وهذه قاعدة عقلية فطرية. وليذهب الانتخاب الطبيعي الى عالم الاوهام والفنطازيا.

قال تعالى: ((يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)).

وبقيت معجزة واحدة مستمرة الى يومنا هذا لأنها مرتبطة ببقاء الدين الذي جعله الله سبحانه وتعالى للناس كافة ، والذي جعله خاتم الاديان السماوية. انها معجزة القرآن الكريم.

"اما القرآن الكريم ، هذا الكتاب الالهي العظيم فهو كتاب كل العصور ، فالاعجاز الذي تضمنه يثبت اصالته. ولا نقصد الاعجاز البلاغي فقط فصنوف الاعجاز في القرآن الكريم عديدة ، وربما نتمكن ان نذكر منها ان القرآن العظيم جاء بأسس اخلاقية واجتماعية صنعت امة متحضرة كانت غارقة في الجهل والتخلف والتناحر. وما زال القرآن الكريم قادراً على اعادة صنع الامة بنفس المواصفات الاخلاقية العظيمة اذا عادت الامة اليه والى العمل به وفق المنهج الاسلامي الصحيح ، منهج الثقلين: الكتاب والعترة الطاهرة.

واما المعجزة البلاغية في القرآن الكريم فقد اذعن لها العرب الفصحاء ايام مجد فصاحتهم وقوة بيانهم ، اذعن الجميع بدون استثناء الى ان بلاغة القرآن الكريم لا يمكن ان يصل اليها احد منهم. وحتى علماء المسيحية من العرب لم يكونوا خارج دائرة الاذعان ، فلم يصدر عن اي منهم ولا سيما القدماء المتضلعين في اللغة العربية انهم تمكنوا من معارضة القرآن او الاتيان بآيات مثله. لقد تحدى القرآن العظيم الجميع وفشل الجميع في قبول تحديه.

وقد يثير البعض شبهة ان القرآن الكريم هو بلغة العرب فمن غير المعقول تحدي بقية الاقوام الذين لا يحسنون اللغة العربية بالاتيان بمثل بلاغته ! وشبهتهم هذه متهافتة لأن القرآن الكريم لم يقصر تحديه على الجانب اللغوي والبلاغي فقد كان التحدي عاماً لجميع جوانبه اللغوية والتشريعية والاخلاقية والاجتماعية فالقرآن الكريم فيه اعجاز بلاغي واعجاز غيبي (بالاخبار عن قضايا غيبية

تحققت فعلاً في عالم الواقع) واعجاز بالاتيان بالنظم الاجتماعية ومسببات الهدى والصلاح والرشاد مما لا يتمكن احد من الاتيان بها ، فما كان تحدياً بلاغياً فهو يخص العرب منهم وما كان تحدياً بمعارفه فهو يخص العرب والعجم"[٢٠٦].

"ويضاف لذلك حقيقة ان الاساليب البلاغية الموجودة في اللغة العربية لها نظيراتها في اللغات الاخرى ، فوجود بعض الجوانب البلاغية كالتشبيه والاستعارة والمحسنات وغيرها هو وجود معروف في لغات اخرى كالانكليزية والفرنسية وغيرهما ، فمن يزعم ان القرآن الكريم بعظمته البلاغية هو من نتاج محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فعليه ان يعلل عجز بقية العرب عن الاتيان بقرآن آخر له نفس مستوى بلاغته كما ان على من يزعم ذلك ان يعلل عجز بقية الاقوام عن الاتيان بكتاب مقدس بلغاتهم تلك فيها اساليب بلاغية اعجازية بنفس مستوى اعجاز القرآن الكريم ولكن في لغاتهم مقارنة مع النتاجات البشرية في نفس تلك اللغات. بل حتى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ليس فيه اساليب بلاغية رصينة اعجازية يمكن الاعتماد عليها باعتبارها دليل على انها سماوية المصدر وانها تحاجج بقية النصوص في نفس تلك اللغات التي كتب بها وتتفوق عليها. اذن البلاغة القرآنية فريدة على مستوى اللسان العربي وكذلك على مستوى بقية الالسن التي عجزت عن الاتيان بكتاب مقدس يتفوق على بقية نتاجاتها الثقافية من الناحية البلاغية فبقيت الاساليب البلاغية في تلك النصوص مشتتة البلاغة.

فمن نماذج وجود الاساليب البلاغية في اللغات الاخرى هي الدراسات النقدية البلاغية ككتاب: «في الاستعارات» (Des tropes) المنشور سنة ١٧٣٠ لمؤلفه دومارسي (Dumarsais)، وكتاب «أساليب الخطاب» (Les figures du discours) المنشور سنة ١٨٣٠ لمؤلفه بيير فونطانيي (2) (P. Fontainier). وكتاب (البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية) لفرانسوا مورو الاستاذ بجامعة تولوز وهو يتحدث عن بعض الجوانب البلاغية في اللغة الفرنسية.

اما بخصوص الادب الانكليزي فنقرأ في ويكيبيديا الموسوعة الحرة: (يرقى الأدب الإنكليزي إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد. وأقدم ما وصل إلينا منه ملحمة بَيْوُولف Beowulf. ومن هنا نستطيع القول إن الشعر عند الإنكليز، شأنَهُ عند الأمم الأخرى، كان أسبقَ إلى الظهور من النثر. وفي القرن الرابع عشر ظهر تشوسر Chaucer الذي يُعتبر أبا اللغة الإنكليزية الحديثة).

[٢٠٦] مقال (اصالـة القـرآن الالهيـة) / نبيل الكرخي، منشور في موقعه الالكتروني.

ونموذج آخر هو الشاعر والاديب الروسي الكبير الكسندر بوشكين الذي كان يبدي اعجاباً شديداً بالقرآن الكريم ، وهو قد قرأ القرآن الكريم من خلال (ترجمة فيريوفكين ١٧٩٠ الذي قام بترجمته من اللغة الفرنسية. وكان قد نقله إلى الفرنسية ديوريه. وبصدد ترجمة فيريوفكين، يقول كراتشوفسكي: "تعتبر ترجمة فيريوفكين للقرآن أفضل ترجمة، إذ تتمتع بلغة أدبية رفيعة" {كراتشوفسكي، مؤلفات مختارة، موسكو . لينغراد ١٩٥٥ المجلد ١ . ص ١٨٠}. والذي يهمنا هنا ، أن بوشكين استخدم هذه الترجمة أساساً لقصيدته) . ومن خلال اطلاعه على هذه الترجمة للقرآن الكريم كتب بوشكين قصيدته (محاكاة القرآن) والتي اراد منها كما يقول بعض النقاد ان يقلد ظاهر القرآن الكريم – شكل القرآن وإيقاعاته وموسيقاه بحسب تعبيرهم – ولكن مع ذلك كان الفرق كبير بين محاكاة بوشكين وبين القرآن الكريم. وحتى بوشكين هذا لم يتمكن ان يأتي بكتاب يدعي فيه انه القمة في البلاغة في اللغة الروسية بحيث يكون ما عداه اقل بلاغة منه ولا يمكن ان يرقى اليه.

ومن جانب آخر فهناك دراسات جادة حول ترجمة الجوانب البلاغية في القرآن الكريم الى لغات اخرى احداها رسالة جامعية معنونة (قابلية التعابير البلاغية والثقافية للترجمة في ضوء دراسة تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) ، للباحث الدكتور أحمد عبد العزيز مهيوب العباسي ، "تبحث هذه الدراسة موضوع إمكانية ترجمة التعابير البلاغية والثقافية في القرآن الكريم وبالتحديد في سورة البقرة، و اعتمد الباحث على دراسة أربع تراجم مشهورة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية وهي ترجمة كل من عبد الله يوسف علي، بيكثول، ايرفنج وترجمة خان والهلالي حيث تم مقارنة هذه التراجم بما ورد في تفسيري القرطبي والزمخشري. وتهدف الدراسة إلى البحث عن كيفية تعامل التراجم الأربع قيد الدراسة مع التعابير البلاغية والثقافية حيث يرى الباحث أنه وعلى الرغم من أهمية التعابير البلاغية والثقافية كونها تمثل جزءا اساسيا من المحتوى المعرفي للقرآن الكريم، فإنها لم تتلق الإهتمام الكافي واللائق من قبل مترجمي معاني القرأن الكريم إلى الإنجليزية. ويتلخص الهدف الرئيسي للدراسة في تسليط الضوء على وجود الحاجة الماسة لترجمة متميزة لمعاني الفرآن الكريم تتسم بالفاعلية والدقة والموسوعية والقدرة التعبيرية المؤثرة حيث يجب ان تشتمل هذه الترجمة على كل الجوانب المعرفية للقرآن بما فيها التعابير البلاغية والثقافية" . وهذه الدراسة تبين بوضوح ان جميع اللغات لها مشتركات بلاغية متقاربة بحيث يتمكن من ترجمة الجوانب البلاغية في اللغة العربية الى لغات اخرى كاللغة الانكليزية وغيرها.

ومن جانب آخر ، تبقى الدعوات الى نبذ العمل بالقرآن العظيم عاجزة عن تقديم بديل واقعي وحقيقي فكل الانظمة الاجتماعية والاقتصادية التي يقدمها الغرب ما زالت عاجزة عن ايجاد حلول حقيقية لمشاكل الناس ومازالت تلك الانظمة تكشف عن ضعفها وافتقارها الى الاستقرار والديمومة. لقد

تهاوت النظرية الشيوعية واسقطت معها اكبر دولة عظمى قامت على اساسها الا وهي دولة الاتحاد السوفيتي. وعجز النظام الرأسمالي عن تقديم العدالة والقضاء على الفقر بين الناس بل ازدادت الفوارق الطبقية في ظله حتى بدانا اليوم نشهد آلاف المظاهرات الاحتجاجية ضده في مختلف عواصم العالم وقد بدأت اول امرها في الولايات المتحدة الامريكية يوم ١٧ ايلول/ سبتمبر ٢٠١١م بمظاهرات اطلقت على نفسها اسم (حركة احتلوا وول ستريت) في اشارة الى المركز المالي الحيوي هناك ثم توسعت لتصبح حركة عالمية شملت اكثر من ١٠٠ مدينة في العالم يوم ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر من السنة نفسها واصبحت تعرف بـ (احتجاجات إحتلوا Occupy protests أو احتجاجات الغضبانين Indignants protests).

خلاصة القول ان القرآن العظيم هو كلام الله سبحانه وهو الوحي الدائم الوجود بين الناس"[٢٠٧].

قال تعالى: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)). صدق الله العليُّ العظيم".

ولأن القرآن الكريم هو كتاب جميع العصور ودينه هو دين للناس كافة ، فقد خلق الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بحيث يكون متناغماً مع أي تقدم علمي يتوصل اليه البشرية ، وذلك من خلال بعض المعارف العلمية المبثوثة فيه والتي تبين بوضوح حقّانية القرآن الكريم بإعتباره كتاب سماوي ، وإلا فكيف يمكنه قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة منت معرفة بعض القضايا العلمية التي لم يكن يمكن معرفتها او اكتشافها الا في عصرنا الحالي !!

واما موضوع الاعجاز العلمي الوارد في القرآن الكريم والروايات الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الاطهار (عليهم السلام). فمن خلال دراسته والاطلاع على اقوال مختلف علماء المسلمين ، نلاحظ ان هناك حقائق علمية مذكورة فيها الى جانب معارف علمية تتناغم مع العلم الحديث ولا تتقاطع معه أبداً. ونحن نفضل ان نسميه تناغم الدين مع العلم. فالدين ليس مصدراً للمعارف العلمية كالفيزياء والكيمياء بل هو متناغم معه وغير متقاطع معه.

فاما الحقائق العلمية مثالها جريان الشمس وعدم ثبوتها ، قال تعالى: ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)). ومثل مراحل نمو الجنين ، كما في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

[٢٠٧] مقال (اصالـة القـرآن الالهيـة) / نبيل الكرخي، منشور في موقعه الالكتروني.

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) ، وهي مراحل وأطوار تتطابق بدقة مع مكتشفات العلم الحديث.

وكذلك يذكر القرآن الكريم ان تحديد جنس الجنين من ذكورة أو انوثة المسؤول عنه نطفة الرجل إن كانت من نوع X أو Y ، وهذه الخاصية لم تُعرَف الا في العصر الحديث ، بينا القرآن في القرن السابع الميلادي يقول: ((وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)).

وقال تعالى: ((إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)). وقد اثبت العلم الحديث ان النطفة الملقّحة تتألف من كروموسومات الحيمن الذكري مع كروموسومات البويضة الانثوية ، والكروموسومات هي المشار اليها بالامشاج.

واما تناغم الدين مع العلم فمثاله النصائح الطبية الواردة فيه من قبيل عدم الاكثار من الطعام ، وهناك كتب خاصة بأسم الطب النبوي وطب الائمة (عليهم السلام). ومن قبيل تحريم الخمور ولحم الخنزير والميتة.

ولا بأس بذكر بعض الروايات ذات الفائدة العامة ، والمتعلقة بنحو ما بموضوعنا:

في الكافي ، كتاب الاطعمة: عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إنَّ الله عزَّ وجل يبغض كثرة الاكل). وقال: (ليس لأبن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه فإذا أكل احدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلث بطنه للنفس ، ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح).

وفيه ، عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) انه قال: (ما من شيء ابغض الى الله عزَّ وجلَّ من بطن مملوء).

وفي عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ، انه قال: (ليس الحمية من الشيء تركه إنما الحمية من الشيء الاقلال منه).

وفي الدعوات للشيخ الراوندي ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (إياكم والبطنة فإنها مفسدة للبدن ، ومورثة للسقم ومكسلة للعبادة).

يقول دوكنز:

"الكون الذي يفترض اننا نعيش فيه بمفردنا او مع مخلوقات ذكية أخرى تتطور ببطيء هو كون مُختلف تماماً عن كون صممه ويوجهه طاقة ذكية من نوع ما ذكائها التصميمي كان سبباً في وجوده. وسأقبل بأن التفريق بين هذين الكونين لن يكون مسألة بسيطة"[٢٠٨].

يبدو ان حمق دوكنز وسطحيته وتدليسه ليس له حد !

فالخيال الفنطازي لدوكنز يصوّر له أن هناك كائنات تتطور ببطيء لتصبح بمستوى الذكاء الانساني ! وافضل جواب لكلام دوكنز هو جواب العالم نيلز بور الذي كان يدافع عن عشوائية ميكانيكا الكم مع أينشتاين الذي يؤمن بالحتمية في الطبيعة ، فحين قال أينشتاين: "إنَّ الله لا يلعب بالنرد" فأجابه نيلز بور جوابه الشهير: "أنت لاتستطيع أن تفرض على الله كيف يتحكم بالعالم" أو: "توقف عن إخبار الرب بما يجب ان يفعله"[٢٠٩]. وهذا خير رد على الاحمق دوكنز[٢١٠] الذي يريد أن يشكّل الكون بحسب تفكيره ، فحمقه يرى ان شكل الكون في حالة عدم وجود الخالق يجب ان يكون مختلفاً عن شكله مع وجود الخالق ! ولم يسعفه حمقه للاستفادة من كلام نيلو بور الذي قال: " توقف عن إخبار الرب بما يجب ان يفعله".

تجربة الدعاء الكبرى:

دوكنز لا يؤمن بالغيبيات. لا يؤمن بالروح ولا يؤمن بالخالق ولذلك لا يؤمن الدعاء. لا يؤمن بالغيب وإن كان له أثر واضح يدل عليه. وكنتيجة لعدم إيمانه هذا نجده يتعامل مع الدعاء بنوع فنطازي ، فهو يخلط بين الدعاء وبين قانون الجذب !

هناك كتاب اسمه (Your Body Believes Every Word You Say) مؤلفته بربارة هوبرمان ليفن Barbara Hoberman Levine تتحدث عن إنَّ الانسان يمكنه باستخدام بذور الفكر من

---

[٢٠٨] وهم الاله / دوكنز – ص٦٣.

[٢٠٩] مقال للاستاذ يحيى محمد بعنوان (هل يلعب الإله النرد؟)، منشور في الموقع الالكتروني (فلسفة العلم والفهم).

[٢١٠] من يراجع كلام دوكنز في ص٦١ من كتابه باللغة الانجليزية ، وص٦٣ من النسخة العربية المترجمة ، سيعرف لماذا نصر على وصف دوكنز بالاحمق.

التأثير على جسده لتحسين صحته. والظاهر إنَّ هذا الامر يدور حول نظرية غيبية يروّج لها البعض ويطلقون عليها أسم (قانون الجذب Law of attraction) !

يقول بوب بروكتور:

"إننا جميعاً نعمل بطاقة لا نهائية واحدة ونقود انفسنا وفقاً لقوانين نفسها. إن القوانين الطبيعية للكون على قدر كبير من الدقة بالدرجة التي تجعلنا لا نجد أية مشقة في بناء سفن الفضاء وتمكننا من إرسال البشر الى القمر ، وضبط توقيت الهبوط بدقة. حيث كنت ، بالهند استراليا لندن نيويورك ، يجب ان تعلم اننا جميعا نعمل وفقاً لطاقة واحدة وقانون واحد ، وهو قانون الجذب. السر هو قانون الجذب: كل شيء يحدث في حياتك فأنت من قمت بجذبه الى حياتك ، وقد انجذب اليك عن طريق الصور التي احتفظت بها في عقلك ، أي ما تفكر فيه. فأياً كان الشيء الذي يدور بعقلك فإنك تجذبه إليك. (كل فكرة من افكارك هي شيء حقيقي. إنها قوة). إن اعظم المعلمين الذين عاشوا في التاريخ أخبرونا بأن قانون الجذب هو الأكثر قوة وفاعلية"[٢١١].

ويقول جون هاجلين:

"ان جسدنا حق هو نتاج افكارنا ، لقد بدأنا نستوعب بالفعل في مجال العلم الطبي الدرجة التي تحدد بها طبيعة الفكار والعواطف فعلياً المادة الفيزيائية البنيوية والكفاءة الوظيفية لأجسادنا"[٢١٢].

ويقول بين جونسون:

"إننا الان ندخل عهد طب الطاقة. كل شيء في الكون له تردد ، وكل ما عليك القيام به هو تغيير التردد أو خلق تردد مضاد. تلك هي درجة سهولة تغيير أي شيء في العالم ، سواء كان ذلك الامر متعلقاً بالمرض أو العاطفة أو اياً كان. هذا أمر هائل. هذا أضخم شيء توصل إليه البشر على الاطلاق"[٢١٣].

---

[٢١١] السر / روندا بايرن Rhonda Byrne / مكتبة جرير / الطبعة الاولى ٢٠٠٨- ص٣ و٤.

[٢١٢] المصدر السابق - ص ١٢٥.

[٢١٣] المصدر السابق - ص١٣٨.

فالتجربة التي ذكرها دوكنز عن الدعاء ، الظاهر انها تخص اثبات قدرة الانسان على استجلاب الشفاء وفقاً لنظرية (قانون الجذب) وغنْ لم يذكروا ذلك صراحة ، لكن طبيعة التجربة واهدافها ونتائجها كلها تشير الى ذلك. ولا يمكن لعاقل ان يدّعي او يقبل بجعل الدعاء الذي هو طلب من الانسان الى ربه لتحقيق امنية ما ، ان يجعله عملية (ميكانيكية – فلسفية – غيبية) !

إنَّ فلسفة قانون الجذب فيما يبدو قائمة على الفلسفة الغنوصية المسماة (وحدة الوجود والموجود) ، حيث يتوحد الواجد مع موجوداته ، يتوحد الخالق مع مخلوقاته ، يتوحد الاله مع الطبيعة في كيان واحد ، فيكون استجلاب كل تردد طبيعي لاداء هدف ما هو استجلاب للإله نفسه لتحقيق ذلك الهدف !!

فيما اراد دوكنز ان يحرّف هذه القضية برمتها ، ويحولها الى مسرحية هزلية مفادها ان الدعاء هو وهم للمتدينين يريدون به تحقيق اهداف معينة من خلال التأثير على (خالق موهوم) بحسب آيديولوجيته الإلحادية ! يقول: "احدى التجارب المسلية إنْ لم نقل المثيرة للشفقة"[٢١٤] ، ثم يسرد "تجربة الدعاء" ! التي مولتها مؤسسة تمبلتون بتدخل الفيزيائي المعروف راسل ستانارد الذي يصفه دوكنز بأنه "أحد اهم ثلاثة علماء متدينين في انجلترا"[٢١٥]. وبعد وصف طويل للتجربة واقسامها والظروف التي اشترطت فيها ، نعرف ان نتيجة التجربة كانت كما يذكرها دوكنز أنه:

"لم يكن هناك فرق بين من تلقوا الدعوات وبين من لم يتلقوها. يا للمفاجأة ! والفرق كان بين الذين عرفوا بأنهم يتلقون الدعاء ومن لم يعرفوا (واضحاً) ولكن بالاتجاه المعاكس ! الذين عرفوا بأن الناس تدعوا لهم حصلت لهم مضاعفات أكثر بكثير من الذين لم يعرفوا. هل عاقب الله النتائج ليرينا عدم موافقته على مؤسسة المعتوهين تلك؟ الأكثر احتمالاً هو أن هؤلاء الذين عرفوا بأنهم يتلقون لدعوات قد عانوا من اجهاد نفسي كنتيجة: (القلق على القابلية الجسدية) كما وصفها المجربون. الدكتور تشارلز بيثيا ، أحد البحاثة قال: (ربما ان معرفتهم جعلتهم يتساءلون هل انا مريض لهذه الدرجة حتى استدعى الأمر الدعاء لي؟)"... "ليس من المفاجيء ان هذه الدراسات تلقت معارضة علماء الدين ، ربما لأن تلك النتائج تستطيع ان تسبب بعض التسخيف للدين. عالم الدين ريتشار

[٢١٤] وهم الاله / دوكنز – ص٦٣.

[٢١٥] المصدر السابق – ص٦٤.

سوينبورن من أكسفورد كتب بعد فشل الدراسات ، معترضاً ، على أساس ان الله يستجيب للدعوات فقط في حالة كونها موجهة إليه لأسباب صالحة"[٢١٦].

لا يمكن لمؤمن ان يفهم هذه التجربة سوى انها تابعة لفكرة قانون الجذب التي اشرنا اليها في بداية حديثنا عن هذا الموضوع. اما ان يقوم اشخاص مؤمنون بل هم من ابرز المؤمنين في مجتمعاتهم بتجربة مثل هذه وهم يقصدون الدعاء الحقيقي لله (تبارك وتعالى) فهذا لا يمكن فهمه الا بكون امر خاص باشخاص لا يمثلون غلا انفسهم. لأنه من الواضح ان الدين بل الاديان السماوية لا تقرّ صواب تجربتهم بغض النظر عن نتائجها.

كما انني لا يمكن ان افهم سبب اهتمام دوكنز بهذه القصة سوى انه اراد ان يسدد سهام الانتقام نحو شخصيتين دينيتين معاصرتين تقفان بالضد من الملحدين وتسخفان بأفكارهم ، وهما: راسل ستانارد Russell Stannard ، و ريتشارد سوينبورن Richard Swinburne ، وربما ريموند ج. لورنس Raymond J. Lawrence أيضاً !

على أية حال فإنَّ قصة (تجربة الدعاء الكبرى) تخص القائمين بها وحدهم ، وتعكس آرائهم وحدهم ، ولا تعكس آراء الاديان السماوية ، ليس لأنها فشلت ، بل لأنها إنْ نجحت فهذا يعني صحة قانون الجذب وليس صحة الإديان. ونحن المسلمون نعرف جيداً انها لا يمكن ان تنجح لأن قانون الجذب يستند الى عقيدة اسبينوزا والحلاج وابن عربي وملا صدرا في وحدة الوجود والموجود ! وهي عقيدة موهومة وباطلة.

وبمناسبة التطرق لأسم (ريتشارد سوينبورن) ، من المناسب ان ننقل الكلمة التالية للدكتور عدنان ابراهيم حيث تحدث عنه قائلاً:

"يقول أحد الفلاسفة وهو فيلسوف علم مشهور جداً إسمه ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne قبل أن يتحدَّث هؤلاء في الحياة وأصل الحياة وكيف تطوَّرت الحياة سواء التطور الصغروي أو الكبروي – داخل النوع الواحد أو من نوع إلى نوع، أي والميكرو Micro والماكرو Macro – لابد أن يُجيبوا عن سؤال كيف نشأ الكون؟ والكون لم ينشأ بالصدفة وعشوائياً وإنما وفق خطة مُحكَمة بطريقة أيضاً لا تخطر على خيال بشر ولو كان هذا البشر صوفياً من الصوفية العظام، فهذا شيئ لا يكاد يُتوقَّع، والرياضيات تقول هذا والنماذج الرياضية تقول هذا، فكيف نشأ الكون؟ وهنا لا مجال للحديث عن انتخاب

[٢١٦] وهم الاله / دوكنز – ص٦٥ و٦٦.

طبيعي لأن لم تكن هناك ملايين أو بلايين الأكوان لتنتخب الصدفة بالانتخاب ...ماذا نقول؟ هل نقول الانتخاب الطبيعي؟ هذا الانتخاب يعمل على المُستوى الحيوي في ساحة الأحياء لا في ساحة الفرادات Singularity، بذرة الكون الأولى كانوا يُسمونها البيضة، لكن بيضة ماذا؟ هذه أقل من البيضة بلايين بلايين بلايين المرات أصلاً، هى أقل من أي دقيقة ذرية بلايين المرات، فهى العدم تقريبا، ومن هنا يقول ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne أجيبونا، فهو من أكبر فلاسفة العلم في النصف الأخير من القرن العشرين ويقول أجيبوا عن سر الكون أولاً ثم تحدَّثوا بعد ذلك عن تطور الأنواع بالانتخاب الطبيعي والعشوائية والطفرات، فانتبهوا إلى هذا جيداً، لابد أن تكونوا مُرتبَّين حتى لا تقعوا في إرادة الإلحاد كأن تُريدوا أن تكونوا ملاحدة وينتهي كل شيئ، وإلا سوف تنتهون، وعلى كل حال مسألة أن يُريد المرء أن يكون مُلحِداً مسألة تستلفت النظر ربما – ربما على الأقل من جهة شخصية ذاتية – إلى أن يُعيد النظر في موقفه وحساباته، لأنه قد يكون ألحد على أسس نفسية أو على أسس اجتماعية وليس على أسس عقلية وعلمية وفلسفية، فلا يُمكِن أن تعبث بمصيرك الأبدي لأجل أن تنتقم من المُجتمَع أو من المشائخ أو من رجال الدين أو من الذين عذَّبوك بإسم الدين وباسم الإله، انتبه لأن لا يُمكِن أن تلعب هذه اللعبة السخيفة والحمقاء، يجب أن تُفتِّش في نفسك جيداً لأن العقل لا يُساعِدك والعلم ليس معك والمنطق لا يمكِن أن يُظاهِرك في موقفك، فعليك أن تأخذ الأمر بجد حقيقي لأن هذه المسألة ليست لعباً"[٢١٧]. ... نصيحة قيّمة جداً.

مدرسة التطوريين السياسية:

هذه الفقرة في كتاب دوكنز ربما من اهم الفقرات في كتابه ، لأنها تتعلق بتأسيس الكيان الالحادي الذي يسعى إليه.

يشكو دوكنز من أن "المناخ السياسي هناك الواقع تحت رحمة اتباع نظرية الخلق الشائعة" هي السبب المحتمل "وراء رأي بعض العلماء الامريكيين الذين يؤكدون على ان العلم لا يملك الكلمة الفصل فيما يخص فرضية الله". أي بمعنى آخر ان اولئك العلماء التطوريون (الملحدون او اللاادريون) يمارسون التقيّة لأخفاء رأيهم الحقيقي ويظهرون رأياً آخر فيه مجاملة لأتباع نظرية الخلق أي المؤمنون بوجود الخالق. حيث يظن دوكنز ان الراي الحقيقي للعلماء التطوريون هو ان العلم يملك الكلمة الفصل

[٢١٧] خطبة للدكتور عدنان ابراهيم بعنوان (بالون هلام أم كون ناطق؟) منشورة في موقعه الالكتروني ، بتاريخ ٣ نيسان / ابريل ٢٠١٢.

فيما يخص فرضية وجود الخالق ولكنهم يعلنون رأياً آخر مفاده هو ان العلم لا يملك كلمة الفصل تلك !

يتحدث دوكنز عن لوبي الخلوقيين في مقابل لوبي التطوريين ! كما يتحدث عن خلافات داخل لوبي التطوريين حيث يميّز فيه اتجاهين الاول ذكر مثالا له الملحد مايكل روس الذي يرى أنه لا يصح مهاجمة الناس المتعاطفين مع التطور في عقائدهم وانه يمكن كسبهم في المواجهة مع حلفاء نظرية الخلق (لوبي الخلوقيين) ، ويرى من الخطأ إهانة المسيحيين في مقدساتهم وعقائدهم ، وضرب لذلك مثال مهاجمة دوكنز للبابا يوحنا بولس الثاني حين وصفه بالمنافق بعدما كتب رسالة يدعم فيها الداروينية ، وقال عنه ان البابا لا يمكنه ان يكون متماشياً مع العلم وان دوكنز يفضل متطرفاً صادقاً عليه ! وهذا الاتجاه هو الذي يسميه دوكنز (التطوريون السياسيون) !

اما الاتجاه الثاني في داخل لوبي التطوريين فهو الاتجاه الذي يمثله دوكنز ، اي الاتجاه المتطرف الذي لا يقيم وزناً لمشاعر الاخرين ولا يعبأ بمقدساتهم فيهاجمها حيثما اتفق وتمكن من ذلك. بمناسبة وبدون مناسبة !

ويدافع دوكنز عن موقفه باستشهاده بعبارة عالم الجينات جيري كوين Jerry Coyne صاحب كتاب (لماذا التطور حقيقة) والذي كتب بأن مايكل روس:

> "فشل في استيعاب طبيعة الخلاف الحقيقية. غنها ليست تطوريين ضد خلوقيين. وبالنسبة لعلماء مثل دوكينز وويلسون (عالم البيولوجيا الشهير من هارفارد) فإنَّ الحرب الحقيقية هي بين العقلانية والغيبية. العلم يأتي من العقلانية ، بينما الدين هو اكثر اشكال الغيبيات شيوعاً. والخلوقية ليست إلا احد اعراض ما يرون فيه العدو الاكبر: الدين. الدين يمكن ان يستمر بدون نظرية الخلق ، ولكن نظرية الخلق التي لا يُمكن أن تعيش بدون الدين"[٢١٨].

ومن الواضح ان جيري كوين يريد تجميل صورة الملحدين ، مثلما يصبغ احدهم الحديدة الصدئة بصبغ جديد ما ان يمر زمن بسيط حتى يعجز عن تغطية الصدأ الحقيقي ! فالعقلانية التي يتحدث عن انها مصدر العلم هي في الحقيقة ليست عقلانية مستمدة من العقل بل هي محسوسات مستمدة من الحس ، محسوسات وليست عقلانية. فالعقلانية الحقيقية هي القوانين العقلية الاصلية الراسخة في الوعي الانساني. اما المحسوسات التي تشكل التجربة التي تنتج العلم فعلاقتها حصرية بالمادة.

---

[٢١٨] وهم الاله/ دوكنز – ص٧٠.

ولذلك لا يمكن للعلم ان يتعامل مع عالم الروح والغيبيات.ومن جهة اخرى نجد انه لا يمكن للتجربة ان تتم لولا وجود القواعد العقلية الراسخة في الوعي. فوجود الوعي المعبّأ بالقواعد العقلية الفطرية هو الذي يقود الانسانية على صعيد عالم المادة وعلى صعيد عالم الروح. وقد اثبت هذا الامر السيد محمد باقر الصدر في كتابه الشهير (فلسفتنـا).

اما قول جيري كوين بأن الدين يمكن ان يستمر بدون نظرية الخلق ، هو كلام بعيد عن الصواب ، فإن جميع الاديان السماوية والوضعية إما انها تؤمن بنظرية خلق او لا تعارض الخلق ، سوى دين الالحاد ، فإن كان كوين يتفق معنا بان الالحاد دين فكلامه صحيح والا فعليه ان يعيد النظر بعبارته ! ونفس الامر بالنسبة للشطر الثاني منها وهو قوله ان نظرية الخلق لا يمكن ان تعيش بدون الدين هي عبارة فيها مجازفة لأننا نعرف ان الربوبيين يؤمنون بالخلق ولكن لا يؤمنون بالدين.

الاقزام الخضر:

ربما تكون هذه الفقرة من اسخف ما ورد في كتاب دوكنز ! وملخص ما يريد قوله فيها انه اذا حدث اتصال مع كائنات ذكية اخرى في الفضاء فكيف سمنيقن انهم ليسوا آلهة !!

يقول دوكنز:

"تعريفي لفرضية الاله تتضمن كلمة (ما فوق الطبيعي) و(خارق)"... "بأي معنى إذن نقرر مدى التقدم الحضاري لنقرر بأن الكائنات الفضائية ليست آلهة؟ لأي مدى يُمكن أن يكونوا من فئة (متفوقين على الانسان) وليس من فئة (ما فوق الطبيعة) ؟ من المهم جداً أن نعرف ماذا يعني ذلك ، وهذا يتعلق بصميم هذا الكتاب. الفرق الحسم بين الإله والمخلوق الفائق غير الارضي لا يكمن في مواصفاتهما وإنما في مصدرهما. الكيانات المعقدة بشكل كاف لتكون ذكية هي نتيجة عملية تطور. ولا يهم درجة التعقيد والتكامل التي يملكونها عندما نجدهم ، ولكنهم لم يكونوا كذلك منذ البدء. لقد اقترح كتاب الخيال العلمي لدانييل غالوي في (العالم المزيف) "ولا املك طريقة لنفي ذلك" بأننا نعيش في نظام محاكاة كومبيوترية مصممة من قبل حضارة خارقة عليا. ولكن خالقي المحاكاة تلك عليهم أيضاً أن يأتوا من مكان ما. وقوانين الاحتمال تمنع فكرة كونهم اتوا فجأة بدون اشكال بدائية ابسط منهم وربما يدينون بوجودهم لنوع (ربما غير مالوف) من التطور الداروني: نوع من تراكم من الاسفل للاعلى بواسطة (رافعة) وليس (خطاف سماوي) وهذه تعابير استعرتها من دانييل دينيت. الخطافات السماوية – وكل الآلهة

ضمنياً – هي قوى سحرية. لا يشرحون شيئاً ويتطلبون شرحاً أكثر بكثير مما يزودوننا به. الرافعات هي آلات قابلة للفهم وتوفر لنا الشرح. والانتخاب الطبيعي هو بطل الرافعات في كل الازمان. وقد رفع الحياة من بدائية بسيطة الى درجة عالية من التعقيد. جمالٌ يظهر وكأنه مصمم ليُبهر الابصار"[٢١٩].

واضح ان تعريف دوكنز للإله هو تعريف تعوزه الكثير من المعايير. فالإله ليس فوق الطبيعي وخارق فقط ، بل هو غير مادي ، مجرّد عن المادة ، فالروح ايضاً يمكن وصفها بانها فوق الطبيعي ولكنها مخلوقة من مادة مختلفة عن المادة الكونية. والإله مجرّد عن الزمان والمكان أيضاً. فهو خالق الزمان وكذلك خالق المكان ، ولذلك فإن اولئك الذين يتحدثون عن الانفجار العظيم الذي بدأ به الكون عليهم ان يبينوا لنا اين حدث ذلك الانفجار ؟ هل حدث داخل هذا الكون ام حدث في عالم التجرّد حيث لا مكان ولا زمان ؟ وربما يمكن ان نفهم ان الانفجار العظيم ، بحسب النظريات الفيزيائية ، انتج الكون من مجرات ونجوم وكواكب بالملايين او اكثر ، ولكن كيف يمكن للانفجار العظيم ان ينتج المكان ؟! هذا ما تحار فيه العقول ، ولا جواب له سوى انه إن حدث حقيقة فإنما حدث بأمر الله (تبارك وتعالى) وقدرته العظيمة الحكيمة.

وكذلك فإن الاله (قدير) وهو ما وصفه دوكنز بوصف (خارق) ولكنه ايضاً (عليم) فما فائدة قدرة بلا علم ؟! فالقدرة بدون العلم لن تنتج تفوّق بل قد تنتج الخراب ! وكذلك فإن دوكنز لم يصف الإله بأهم صفاته وهو انه (ازلي) ، هو موجود دائما وابداً.

إذن يمكن ان نختصر اهم ما نفهمه من صفات الله (جلَّ جلاله) هو انه أزليٌ ومتجرّد عن الزمان والمكان والمادة ، وانه قدير وعليم وحكيم.

ويعبر دوكنز عن نظرية الخلق (كن فيكون) بتعبير "الخطاف السماوي" بينما يعبر عن التطور الداروينى بـ "الرافعة". ويريد ان يقول ان الخطاف السماوي غير مفهوم وهو قوى سحرية ! بينما نظريته في الرافعات مفهومة و"عقلانية" وهو هنا يبرز بشدة ما ذكرناه سابقاً من انه يريد تسخير المفهوم الموهوم "الانتخاب الطبيعي" ليس لتطور الخلية الحيّة وحدها بل لإنتاج الكون كله اي عالم المادة غير الحيّة !! وهذا الامر في حقيقته مجرد سفسطة. فيزعم بأن الانتخاب الطبيعي هو بطل الرافعات في كل الازمان ، وهذا يشمل حتى الازمان التي سبقت ظهور الخلية الحيّة المزعومة ! أو ظهور الحياة على الارض بصورة عامة ! وهذا بسبب عجزه عن الاتيان بتفسير مقنع لظهور المادة والكون بدون سلطة الإله ! دوكنز يشعر في داخله بالعجز والخيبة عن تفسير ظهور المادة

[٢١٩] وهم الاله / دوكنز – ص٧٤ و٧٦.

والكون وقوانين الفيزياء والمادة الحيّة بدون تدخل إلهي فيلجأ لمفهوم "الانتخاب الطبيعي" – الذي ابتدعه داروين ضمن إطار نشوء الانواع الاحيّة والافراد المختلفة للحيوانات بمعنى محافظته على التمايز المنتج من قبل الكائنات الحيّة، ثم استخدمه دوكنز بمفهوم جديد اكبر حدوداً كما بيناه سابقاً حيث يرفع درجته وليصبح هو الخالق الفعلي للكون ، للعالم المادي بالاضافة الى الحياة !! وهذا يعني ان دوكنز يعتقد بإله ويروّج له ويريد من الاخرين ان يؤمنوا به ، وان يجمع الملحدين في كيانية إلحادية مؤمنة به ! إله دوكنز يسميه "الانتخاب الطبيعي" !

دوكنز يريد ان يصبح نبياً لدين الالحاد ويؤسس الكيان الالحادي لعبادة إله واحد لا شريك له يسميه "الانتخاب الطبيعي" !! إذن كل هذا الذي يثيره دوكنز من صخب هو انه يريد ان يقنع الناس لإستبدال دين بدين آخر ! يرد ان يرتقي لمرتبة الانبياء ويعتبر نفسه مبشراً بالإله الجديد والحقيقي ذلك هو إلهه "الانتخاب الطبيعي" !!؟ هذه هي خطة الشيطان عبر دوكنز.

الفصل الثالث

يستعرض دوكنز في هذا الفصل ما يظنه أدلة وجود الله ، فخلط آراء بعض علماء المسيحية مع آراء بعض الفلاسفة والاشخاص وتجاربهم الشخصية ، ليأتي بخلطة عجيبة ينتقدها او ينتقد كل جزء من اجزائها ، ثم يقول انه ليس هناك إله !! وقد احجم دوكنز عن استعراض ادلة المسلمين والتي سوف نبينها بنحو موجز. كما سنستعرض الادليل الاهم على وجود الله تبارك وتعالى والذي يستعمله اغلب البشر الموحدين او الخلوقيين على حد تعبير دوكنز!

وقبل الدخول في التفاصيل نستعرض اهم عناوين الحجج التي نسبها دوكنز لهل التوحيد او الخلوقيين كأدلة على وجود الخالق:

١. أدلة توماس الاكويني. وذكر لها خمسة حجج: المحرك الاول ، السبب المسبب ، العلّة الكونية ، دليل التدرج ، الحجة الغائية او حجة التصميم.
٢. الحجة الوجودية.
٣. دليل مبني على الجمال.
٤. الدليل القائم على التجربة الشخصية.
٥. الحجج من الكتب المقدسة.
٦. الحجة من العلماء الكبار المتدينين.
٧. رهان باسكال.
٨. حجة مبرهنة بايز.

وفي مقابل ذلك نجد انه لم يذكر الحجج التالية على وجود الخالق:

١. الادلة الفطرية.
٢. الادلة العقلية.

٣. الادلة الفلسفية.

٤. الادلة العلمية.

وهذا يعني ان دوكنز لم يكن جاداً في البحث في ادلة وجود الخالق بل اراد "تمشية بضاعته" اذا صح التعبير ، أي اراد الانتصار لأفكاره والتدليس على القاريء لابراز انه ليس هناك ادلة مقنعة على وجود الخالق (تبارك وتعالى). ولذلك قال الملحد مايكل روز ان كتاب دوكنز جعله خجلاً من كونه ملحد !! وذلك بسبب التدليس الذي مارسه وعدم جديته في مناقشة ادلة وجود الخالق.

أدلة توماس الاكويني:

ليكن معلوماً من البداية إننا هنا لا نؤيد أفكار توماس الاكويني ولا نعتمد على ادلته في إثبات الخالق وإن تشابهت مع بعض الادلة العقلية التي نراها صائبة. إنما نناقش افكار دوكنز الذي يرد هدم التوحيد عبر إشاعة الالحاد. ولذلك فإن أي عبارة يظهر منها انها تؤيد توماس الاكويني او أي شخص من غير غير علماء الشيعة الامامية فإن ذلك إنتصاراً لفكرة نرى صوابها وليس إنتصاراً لشخص معين.

الحجج الخمسة للاكويني التي ذكرها دوكنز هي:

المحرك الاول {برهان الحركة أو التغيير The Argument From Change}

السبب المسبب {برهان العليّة The Argument From Causition}

العلّة الكونية {برهان الامكان The Argument From Contingency}

دليل التدرج {برهان درجات الكمال The Argument From Degrees of Excellence}

الحجة الغائية او حجة التصميم{برهان النظم The Argument From Harmony}.

وهذه الحجج شرحها دوكنز بحسب فهمه هو ولم ينقل نصوصها من كتاب توما الاكويني كما يقتضيه المنهج العلمي السليم في نقل حجة الخصم ثم الرد عليها. هذا مل لم يفعله دوكنز.

في البداية يستعرض دوكنز الالدلة الثلاثة الاولى لتوماس الاكويني. وقبل ان نشرع بنقد آراء دوكنز ، وجدنا عبارة قالها الاكويني – بحسب فهم دوكنز – ينبغي التوقف عندها وهي: "من المُحتم وجود زمن لم توجد فيه المادة"[٢٢٠] ! وهذا الامر غير معلوم الحدوث أي وجود زمن غير موجودة فيه المادة ! فنحن نعلم ان الله (سبحانه وتعالى) الاحد الصمد كان ولم يكن معه شيء ، في عالم التجرّد ، حيث التجرّد من الزمان والمكان والمادة. ثم بعد ذلك خلق الكون. ولا نعرف هل تم خلق المكان والزمان قبل المادة ام معها. ولذلك لا يمكن أن نجزم بوجود زمان لم توجد فيه المادة. ولا يصح القول بغير علم ، قال تعالى: **((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))**.

يقول دوكنز بعد ان ذكر الحجج الثلاث الاولى لتوماس الاكويني:

> "كل الحجج الثلاث تعتمد على مبدأ التراجع الزمني وتفترض وتفترض الاله لإنهاء الدوامة. الافتراض الذي لا مبرر له هنا هو ان الاله منيع عن الزمن حتى لو أننا سمحنا لأنفسنا بالتبجح بأي شعوذة عبثية لأيجاد مُنهي للتراجع الزمني اللانهائي وأعطيناه أسماً ما ، لأننا ببساطة نحتاج واحداً ، فليس هناك أي سبب إطلاقاً لمنح هذا الذي انهينا به التراجع الزمني أياً من المواصفات التي يتصف بها الإله: القدرة الكلّية ، العلم الكلّي ، الرحمة ، الخلق الذكي ، ناهيك عن الصفات الانسانية كإجابة الدعاء وغفران الذنوب وقراءة الافكار"[٢٢١].

ولكن فات دوكنز انه حيث ان الإله ازلي ، وحيث ان لديه القدرة على خلق هذا الكون العجيب ، بكل ما فيه من دقّة متناهية ، أفلا يدل ذلك على قدرة عظيمة كلّية ؟! حينما يتم خلق المادة من العدم ، اليس في ذلك قدرة كلّية ؟ وحينما يكون الكون بهذه الدقة والنظام العجيب البالغ الدقة ، ألا يدل ذلك على علم كلّي ؟! اما ان يكون الاله متصفاً بإجابة الدعاء وغفران الذنوب وقراءة الافكار ، فهذا يرجع الى عظيم قدرته ، فهل يمكن أن يظن عاقل بإن الاله الكلّي القدرة قد يعجز عن إجابة دعاء او غفران ذنوب او قراءة افكار ؟

ويقول دوكنز:

---

[٢٢٠] وهم الاله / دوكنز – ص٧٩.

[٢٢١] وهم الاله / دوكنز – ص٧٩ و٨٠.

"بالمناسبة فإن بعض علماء المنطق لاحظوا عدم إمكانية اجتماع موضوع العلم الكلي والقدرة الكلية ، حيث لو كان الإله كلي المعرفة فهو يعرف بالتأكيد ومسبقاً كيف سيتدخل بقدرته ليُغيّر مجرى التأريخ. هذا يعني بأنه لا يستطيع تغيير رأيه بهذا الموضوع فهو بالتالي ليس كلي القدرة لأن هناك شيئاً لا يستطيع عمله. كارين اونز صورت ذلك التناقض الذكي في مقطع شعري لا يقل دهاء عنه:

هل يقدر الاله ... هذا العليم
بكل ما تخفيه الصدور
وقادر على كل شيء
أن يغيّر ما في عقلهِ يدور ؟"[٢٢٢].

هل شاهدتم اسخف من هذه الافكار!!

لنقرّب فكرته ... فلو أنّ شخصاً قال إن اينشتاين لا يقدر ان يكون غبياً ، فهل يطعن هذا في شخصيته ؟! ولو ان شخصاً قال أن ليوناردو دافنشي لا يتمكن ان يكون رديء الرسم أو ان مايكل انجلو لا يمكن ان يكون رديء النحت فهل يطعن هذا فيهما ؟!!

الإله غني عن مخلوقاته ، فإذا جاء شخص ليقول: الاله عاجز عن ان يكون فقيراً ومحتاجاً لمخلوقاته ! فهل يريد أحد منّا ان نحترم كلامه هذا ؟!!

هل الانسان يبحث عن التكامل ام عن التسافل ؟ الموحدون يبحثون عن التكامل اما السفهاء[٢٢٣] فيبحثون عن التسافل. وعلى القاريء ان يختار مع من يريد أن يكون !

فما أشد وقاحة هذا الانسان الذي يكتشف أن إلهه كليّ العلم والقدرة ثم يأبق عنه ويجحده ويصفه بالعجز لأن الإله لا يمكنه أن يكون قليل العلم أو ضعيف القدرة !!!

اما ما ورد في البيت الاخير من شعر كارين اونز فنجيبها فقط بقوله تعالى في سورة الرحمن (جلَّ جلاله): ((كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)).

---

[٢٢٢] وهم الاله / دوكنز – ص٨٠.

[٢٢٣] السفيه باللغة العربية معناها: الجاهل.

أما قول دوكنز بأن "علماء المنطق لاحظوا عدم إمكانية اجتماع موضوع العلم الكلي والقدرة الكلية" فأولاً هو لم يبين لنا من هم علماء المنطق الذين تحدثوا باللامنطق المذكور ! وثانياً لو كان العلم الكلّي والقدرة الكلّية لا يجتمعنا فهذا يعني حدوث النقص ، وحدوث النقص لا يصح بحق الاله الكامل ، وإن لم يكن كاملاً لم يكن خالقاً. لأن أي نقص يعني ان الإله فقير ومحتاج لإكمال ذلك النقص ، وكونه فقيراً يعني كونه محتاجاً وإذا كان محتاجاً فهذا يعني انه يحتاج لأمر آخر أزلي معه ليكتمل به ، فيحدث تعدد القدماء وهذا لا يجوز. قال تعالى في سورة المؤمنون: ((وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)). وأيضاً فإنَّ تعدّد القدماء يعني الشرك ، وهو بخلاف رسالة الاديان السماوية أي التوحيد، فلا يجوز ان نصف الله سبحانه وتعالى بصفة تقود الى الشرك بخلاف الجوهر التوحيدي للدين !

ومن جهة اخرى إذا كان دوكنز لا يستوعب عقلياً وجود قديم ازلي واحد فكيف به وهو يطلب ما يحقق وجود قديمين ازليين ؟؟؟ بمعنى ان دوكنز يبحث عمن خلق الاله القديم الازلي ولم يعثر على إجابة ، فكيف به وهو يكتشف انه يجب ان يبحث عن قديمين ازليين ؟؟؟ تعالى الله عمّا يصفون.

ومن جهة ثالثة فإن الملحد لا يعنيه إن كان الإله عظيم القدرة او ضعيف القدرة ، او إن كان كلّي العلم او منقوص العلم ، لأن تلك صفات الخالق التي يبحث عنها المؤمنون بوجوده. أما الملحدون فحدَّهم ان يبحثوا في وجود الإله، وهل إنَّ لهذا الكون العجيب خالق أم انه ظهر لوحده تلقائياً !! فإن آمنوا بوجود الخالق فحينئذ ينتقلون من خانة الالحاد الى خانة الايمان ، ويمكن ان تتم مناقشتهم حول صفات الخالق وهل ويجوز تعدد القدماء ام لا.

ويفاجئنا دوكنز بأن يذكر كدليل على إبطال "التراجع الزمني اللانهائي"[٢٢٤] أي إبطال "ضرورة وجود الخالق للخروج من التسلسل الزمني الموغل في الماضي" بأن يضرب مثالاً حول تجزئة قطعة ذهب لأصغر قطعة ممكنة ، فيقول:

[٢٢٤] وهم الاله / دوكنز – ص٨٠.

"عندما نصل للذرة ، تلك هي أصغر القطع الذهبية وتتكون بالضبط من ٧٩ بروتوناً وأكثر من ذلك بقليل من النيوترونات ، وبحضور حشد من الالكترونات. عندما نجزء ذرة الذهب لحد ابعد من الذرة فإنه لا يعود كي يكون ذهباً. والذرة هنا تعطينا النهاية لنوع التراجعات المشابه لأمثلة الاكويني"[٢٢٥] !

وهذا المثال يتضح فيه ان دوكنز يفقد إتزانه الفكري لصعوبة إبطاله لحجة التسلسل الزمني بدون الاعتراف بوجود خالق. إذ لا توجد علاقة بين تسلسل لوجود خالق ثم خالق للخالق ثم خالق لخالق الخالق ثم خالق لخالق خالق الخالق إلخ ... مع موضوع تجزئة الذهب الى درجة ان يفقد خواصه بتغيير تركيبته الذرية !!

ويتحدث دوكنز عن الدليل الخامس من ادلة توما الاكويني وهو ما اسماه "الحجة الغائية ، أو حجة التصميم" يقول دوكنز:

"حجة التصميم هي الوحيدة التي لا تزال تُستخدم في أيامنا هذه وللعديدين لا تزال تبدو كالضربة القاضية في حلقات النقاش. داروين الشاب تأثر بها كثيراً عندما كان طالباً في جامعة كامبردج عندما قرأ كتاب ويليام بايلي (علم الطبيعة الديني). ولسوء حظ بايلي فإن داروين الناضج استبعدها بشكل كامل. ربما انه ليس في التأريخ أي تدمير لطريقة تفكير شائعة ببراهين ذكية كالذي فعله داروين بحجة التصميم. ذلك كان أبعد من كل التوقعات. وبفضل داروين لم يعد صحيحاً بأن كل الاشياء التي تبدو لنا وكأنها مصممة لا يمكن أن تكون غير ذلك إنْ لم تكن فعلاً كذلك. التطور بالانتخاب الطبيعي ينتج ما يمكن ان يبدو كأروع تصميم بأعلى درجات التعقيد والاناقة. ومن تلك التصاميم المزيفة التي نسمع بها دائماً هي الاجهزة العصبية والتي في ابسط أشكالها تظهر وكأنها تسلك سلوكاً ما ، وحتى في حشرة صغيرة فإنه يوجد نظام متطور جداً للتتبع الحراري يشبه ذلك الموجود في الصواريخ أكثر مما يشبه السهم أو الهدف"[٢٢٦].

والملاحظ ان دوكنز وهو يتحدث عن الحجة الخامسة من حجج توما الاكويني فإنَّه لم ينقل كلام الاكويني بخصوصها ، ولم يثبتها من كلامه في كتبه بل اكتفة بذكر ويليام بايلي William Paley (١٧٤٣– ١٨٠٥) والذي استعمل هذه الحجة (حجة التصميم) ، وان داروين تمكن من تدمير

[٢٢٥] وهم الاله / دوكنز – ص٨٠.

[٢٢٦] المصدر السابق – ص٨١.

طريقة تفكير بايلي بخصوص حجة التصميم. وأيضاً لم يتعب دوكنز نفسه لشرح حجة بايلي وبيان كيف ان داروين دمرها وحطمها !! فلا نقل دوكنز حجة التصميم من كلام توما الاكويني ولا نقلها من كلام ويليام بايلي ، بل اكتفى بذكرهما والادعاء ان داروين حطم حجتهما هذه !! كان من باب الانصاف ان يبين للقاريء كل التفاصيل ليكون عادلاً في ذكر افكاره وما يطمح إليه.

وبالمناسبة فإن دوكنز في كتابه (صانع الساعات الاعمى) ، الذي ألّفه سنة ١٩٨٦ ، قال عن بايلي التالي:

"رسالة مشهورة لوليم بالي عالم اللاهوت في القرن الثامن عشر ، وهي رسالة (اللاهوت الطبيعي) التي نشرت في ١٨٠٢ ، وهي أحسن عرض معروف لـ (حجة التصميم) وأنا معجب بهذا الكتاب أشد الاعجاب ، لأن الكاتب قد نجح في أن يفعل في عصره ما أكافح أنا الآن لفعله. فقد كان له رأي ليوضحه ، وهو قد آمن به إيماناً مشبوباً ، ولم يأل جهداً في طرحه بوضوح. وكان لديه من الاحترام ما يليق بالنسبة لتعقد العالم الحي ، ورأي أنه يتطلب تفسيراً من نوع خاص جداً. وهو وإن كان قد أعطى إجابة تقليدية لحل الحجية ، إلا أنه بينها بصورة أكثر وضوحاً وإقناعاً مما فعله ممن قبله. اما التفسير الحقيقي فكان عليه أن ينتظر وصول واحد من أكثر المفكرين ثورية في كل الزمان ، هو تشارلز داروين"[٢٢٧].

وهناك ملاحظة مهمة ، أليس ملفتاً للنظر ان دوكنز والاخرين منشغلين بحجة التصميم الذكي ولم يلتفتوا الى القدرة العظيمة التي انتجت المادة بعد أن كان العدم ، خلقت الكون لا من شيء ! يزعمون ان الانفجار العظيم قد حل مشكلة وجود المادة ونشوء الكون وبالحقيقة هو نقلها خطوة واحدة ، وإلا فمن اين جاءت المادة التي انفجرت مهما كان صِغَرُها ؟ ومَنْ خَلَقَ المكان الذي حوى الانفجار العظيم ؟ كل هذه الاسئلة الجوهرية لا يريد الملحدون ان يشغلوا انفسهم بها لأنها ثغرات خطيرة وواضحة في آيديولوجيتهم الإلحادية.

فإذا صحّت نظرية الخلوقيين (المؤمنين) بوجود الخالق – وهي بلا شك صحيحة – فإن معنى ذلك ان مصدر وجود الكون ووجود الحياة معروف وهو الخالق. بينما الملحدون يحتاجون لثلاث نظريات الاولى لتفسير ظهور الكون بعد العدم ، والنظرية الثانية هي لظهور الحياة بعد الجمود، والنظرية الثالثة هي لتفسير ظهور المكان الذي يحتوي الكون، فالمكان ذو ابعاد ثلاثة، فهو شيء مخلوق أيضاً. فالمؤمنون (الخلوقيين) لديهم حجج واضحة تثبت وجود الخالق الذي هو مصدر الكون

[٢٢٧] الداروينية الجديدة ، صانع الساعات الاعمى / ريتشارد دوكنز – ص٢٥.

والحياة. بينما الملحدون لا يعرفون كيف يقدمون للناس نظريات مقنعة لتفسير ظهور الكون ونظريات اخرى لتفسير ظهور الحياة ! فمن نظرياتهم التي تفسر ظهور الكون:

١. ان الكون (المادة) ازلي ! فإنْ قبلوا بوجود مادة ازلية فلماذا يجحدون وجود إله أزلي ؟!!

٢. ظهر الكون بنظرية الانفجار العظيم ، والتي هي أقرب لتأييد حجج المؤمنين (الخلوقيين) لأن الملحدين يعجزون عن تفسير كيفية ظهور المادة التي حدث منها الانفجار العظيم وكذلك كيفية ظهور المكان الذي حدث فيه الانفجار العظيم !

٣. ظهور الكون بنظرية الاكوان المتعددة ، وهذا يعني وجود تريليونات تريليونات الاكوان المتوازية او اكثر من هذا العدد والذي ظهر منه كوننا الحالي ! والملحدون يضعون انفسهم في مأزق كبير ، لأنهم يعجزن عن تفسير ظهرو كون واحد فقط هو كوننا الحالي ، فكيف سيستطيعون تفسير ظهور تريليونات تريليونات الاكوان !!

ومن نظريات الملحدين في ظهور الحياة:

١. نظرية الحساء العضوي الاولي. يقول دوكنز انه اختارها في كتابه (الجين الاناني)[٢٢٨].

٢. نظرية المعدنيات غير العضوية ، لكيرنز سميث ، وقد اختارها دوكنز في كتابه صانع الساعات الاعمى[٢٢٩].

٣. نظرية التخلق اللاحيوي Abiogenesis: تفترض هذه النظرية أن منشأ المادة الحية لأول مرة كانت نتيجة تفاعل بعض المواد الغير حية، حدثت عند ظروف خاصة جداً. وتحتوي هذه النظرية على عدة فرضيات وأشهرها: فرضية عالم PAH وفرضية عالم الرنا ونظرية عالم الحديد–الكبريت[٢٣٠].

٤. البانسبيرميا أو فرضية جميع البذور Panspermia: هي فرضية تقول بأن حبوب الحياة كانت موجودة مسبقاً منذ نشوء الكون، وأنها وصلت إلى كوكب الأرض وو بدأت بالارتقاء

[٢٢٨] صانع الساعات الاعمى / دوكنز – ص٢٠٦.

[٢٢٩] المصدر السابق – ص٢٠٦.

[٢٣٠] الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان (أصل الحياة).

بسبب قابليتها للحياة. فرانسيس كريك هو من أشهر مؤيدي هذه الفرضية وقد وضع نظرية البانسبيرميا الموجهة Directed panspermia التي تقول بإنه يمكن حساب احتمالية إصابة البذور لهدف معين[٢٣١].

ومع ذلك ولحد الان لم يثبت العلم صحة أياً من هذه النظريات فالملحدون لحد الان عاجزون عن انتاج خلية حية واحدة سواء في ظروف مختبرية أو غيرها. هؤلاء لا يريدون ان يذعنوا لحقيقة أن الحياة لا يهبها الا خالقها وسيدها.

خدعة كيمياء الخلية الاولى: يروّج الملحدون ان الحياة نشأت من خلية اولى ، خلية يجهلون كيف كان تركيبها الكيمياوي ، ثم تطورت. وان تلك الخلية هي التي تحتوي سر الحياة. ومن ثم بدات تلك الخلية بالتكاثر والتطور حتى نشا هذا العالم بما فيه من انواع حيّة تقدر بالملايين ! يقول فرانسيس كريك:

"كل الكائنات الحية على وجه الارض – دون استثناء – مبنية على الكيمياء العضوية. ومثل هذه الكيمياويات ليست ثابتة على المدى الزمني الطويل تحت درجات الحرارة السائدة على سطح الارض"[٢٣٢]... "نحن نتوقع أن تنشأ – خلال عملية التطور – الكائنات عديدة الخلايا عن الكائنات وحيدة الخلايا. وبالرغم من وجود بعض الخلافات حول التفاصيل ، فإن الاقدم من مثل هذه الكائنات قد أرخ ظهوره بزمن يبلغ نحو ٢,٥ – ٣,٥ بليون سنة خلت. وعمر الارض يبلغ نحو ٤,٥ بليون سنة ، والمفترض أنه بعد انتهاء الاضطراب الاولي الذي صاحب نشأة الارض ، بدأت فترة استمرت نحو بليون سنة ، يمكن فيها أن تتطور الحياة من الكيمياء المعقدة على سطح الارض ، لا سيما في المحيطات والبحيرات والغُدران. وليس لدينا أي حفريات من هذه الحقبة ، لأننا لم نعثر بعد على أي جزء محفوظ من الصخور الرسوبية لهذا الزمن. وليس لدينا الا طريقان للاقتراب من هذه المشكلة. فنحن نستطيع داخل المعمل أن نحاكي هذه الظروف الاولى. ولأن الحياة هي على الأرجح مجرد حادثة سعيدة يعتقد أن قيامها قد استغرق ملايين عديدة من السنين حتى في المعمل الاكبر على سطح الارض ، فليس من المستغرب إذاً أن مثل هذه الابحاث لم تتقدم كثيراً ، ولو انها قد أحرزت بعض التقدم. كذلك يمكننا أيضاً أن نفحص بدقة كل الكائنات الحية الموجودة الآن ، فلأنها جميعاً قد انحدرت من بعض الكائنات البسيطة الاولى ، فإننا نأمل ان تكون ما زالت محتفظة ببعض آثار أقدم

[٢٣١] الموقع الالكتروني ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان (أصل الحياة).

[٢٣٢] طبيعة الحياة / فرانسيس كريك – ص٤٠.

الكائنات الحيّة. قد يبدو من النظرة الاولى أن هذا الأمل مناف للعقل. فماذا يا ترى قد يجمع بين الزنبقة والزرافة؟ فيم نتوقع أن يشترك الانسان مع البكتريا الموجودة بامعائه؟ ربما يتساءل الفيلسوف الساخر – عندما يرى ان كل الكائنات الحية غما آكلة وإما ماكولة – أو ليس هذا على الأقل شيئاً يجمعها؟ والعجيب ان هذا قد ثبتت صحته. إن وحدة الكيمياء الحيوية أكبر وأكثر تفصيلاً مما افترض حتى منذ مائة عام فقط. فالتباين الهائل في الطبيعة – الانسان ، والحيوانات ، والنباتات ، والكائنات الحية الدقيقة ن بل حتى الفيروسات ، كل هذا يبنى ، على المستوى الكيمياوي ، على تصميم أساسي مشترك. اما ما يجعل من الصعب علينا ، في حياتنا اليومية ، ان ننفذ خلف المظاهر المرئية ونتعمق الى توحدها ، فإنما يرجع الى التنويع الرائع لهذا التصميم الشائع ، التنويع الذي نشأ عن الانتخاب الطبيعي على مدى أجيال واجيال لا تعد ولا تحصى"[٢٣٣].

هذا النص يبين ان الملحدين يظنوا ان الكائنات الحيّة تتوارث الحياة ! وان الحياة نشأت في الخلية الاولى البسيطة ثم تكاثرت وتطورت ! إذن هناك حياة واحدة مستمرة عبر الكائنات ، متنقلة بين الكائنات التي تطورت ! وهذا امر شبيه بتناسخ الارواح !! ولكن الملحدون لا يؤمنون بالارواح !؟ ومع ذلك هم يؤمنون بتوارث الحياة ، او بإنتقال الحياة من جيل الى جيل ! ابتداءاً من الخلية الاولى؟ ولكنهم لم يبذلوا جهداً ليسألوا انفسهم عندما تموت تلك الخلية ما الذي يتغيّر فيها ؟ ما الذي يتركها أو يتغير فيها فتموت ؟ هذه الكائنات الحية بانواعها المتعددة عندما تموت لأسباب طبيعية – ليس نتيجة افتراس او حريق أو بركان إلخ – ما الذي يتغير في تركيبتها الكيمياوية فتموت ؟ واضح ان سر الموت لا يعود لإختلاف في التركيب الكيمياوي بل لأمر آخر متعلق بسر الحياة. هؤلاء يبحثون عن سر التركيبة الكيمياوية الاولى التي وهبت الحياة للخلية الاولى ، ولكنهم لم يسألوا انفسهم ان تلك الخلية ماتت وهي متكونة من نفس التركيب الكيمياوي فما الذي تغيّر فيها كي تفقد الحياة ؟!

إنَّ سر الحياة هو أنها هبة من الخالق ، وانه لا يمكن أن تنشأ حياة إلا بمشيئة الخالق. كما انه لا يمكن ان تسلب الحياة ويحدث الموت إلا بمشيئة الخالق. الأمر لا علاقة له بالكيمياء العضوية وتركيب الخلية البسيطة الاولى ، لأنهم حتى إن تمكنوا بنحو ما من معرفة التركيبة الكيمياوية للخلية البسيطة الاولى فلن يمكنهم ان يهبوا الحياة لها. الموضوع ليس مجرد تركيب كيمياوي بمقادير معينة تحت ظروف معينة. الموضوع متعلق بان سر الحياة لا يعلمه إلا واهب الحياة.

---

[٢٣٣] طبيعة الحياة / فرانسيس كريك – ص٤١ و٤٢.

ربما يكون الملحدون مطالبين بتقديم تعريف واضح لمفهوم (حياة) وما هي صفاتها وحدودها وابعادها ، ماداموا يؤمنون بتوارثها أو انتقالها عبر الاجيال !!

نحن نعرّف مفهوم الحياة بأنه: القوة التي يهبها الخالق للكائن فتمكنه من التحرك والتكاثر. وتلك القوة قد يناسب أن نسميها أيضاً الروح. ولكن الملحدون لا يؤمنون بالغيبيات ، ولذلك فإنهم لا يقبلون بتعريف الحياة على النحو الذي ذكرناه ، ولذلك عليهم أن يذكروا تعريفاً للحياة غير مستند لأمور غيبية ، وهيهات ان يتمكنوا من ذلك.

نعود الى كلام دوكنز ومزاعمه ان داروين قد اطاح بنظرية بايلي الخاصة بحجة التصميم بذريعة أنّ:

"التطور بالانتخاب الطبيعي ينتج ما يمكن أن يبدو كأروع تصميم بأعلى درجات التعقيد والاناقة"[٢٣٤].

والظاهر انه قد فات دوكنز انه لم يوجد دليل معتبر على وجود تطور كبروي اي من نوع الى نوع آخر بدليل وجود عدد كبير من الحلقات المفقودة في السجل الاحفوري والتي يمكن ان تؤيد نظريته التطورية لحد الآن ! بل إنَّ جميع الادلة المعتبرة على التطور تخص التطور الصغروي أي تطور في بعض صفات النوع الواحد. وتطور الصفات لا يمكن ان يكون بديلاً عن (حجة التصميم) التي اتى بها بايلي.

الحجة الوجودية دلائل أخرى سالفة لها:

يذكر دوكنز ان الحجج الخمسة لتوما الاكويني هي من نوع الحجج الاستدلالية ، وهناك حجج بديهية قال دوكنز عنها:

[٢٣٤] وهم الاله / دوكنز – ص٨١.

"وأشهر الحجج البديهية والتي تعتمد فقط على استنتاجات من شخص لا يريد اجهاد نفسه ، هي الحجة الوجودية ، وقد طرحها سانت آنشليم[٢٣٥] اسقف كانتربري عام ١٠٧٨ ومن ثم تم طرحها بأشكال مختلفة من قبل العديد من الفلاسفة. السمة الملازمة فيها انها ليست موجهة للإنسان ولكن للإله شخصياً وعلى شكل دعاء (لعلك تعتقد بأن أي كائنات قابلة لقبول الدعاء لا تحتاج لبرهان مقنع على وجودها).

من الممكن وجود كائن ما ، على حد قول آنشليم ، من العظمة بحيث انه لا يمكن أن يكون هناك أعظم منه. حتى الملحد بإمكانه تخيل كائن على أعلى درجات الكمال ، برغم أدعائه بعدم وجوده في الواقع. ولكن الكائن الذي لا وجود له في الواقع هو كائن أقل كمالاً من الواقعي ، وهكذا فإننا في تناقض منطقي ، ولذلك ، شبيك لبيك ، الإله موجود!"[٢٣٦].

يعترف دوكنز بان الحجة الوجودية (Ontological argument) التي جاء بها انسلم أسقف كانتربري Anselm of Canterbury (١٠٣٣– ١١٠٩) ، قد تم طرحها بأشكال مختلفة من قبل العديد من الفلاسفة. وهذا يعني أن أياً من الفلاسفة لم يتعامل معها بالسطحية التي استخدمها دوكنز بالتعامل معها لدرجة انه اعتبرها مجرد "لعب لغوي بالمفردات"[٢٣٧] ! وهنا يبرز أهمية ان الكلام الفلسفي لا يتعاطى معه سوى الفلاسفة ومن يفهم الفلسفة ، اما سواهم سواء كان اختصاصه بايولوجي كدوكنز ام اختصاص آخر فيجب أن يستشيروا ذوي الاختصاص قبل إبداء رأي نهائي في الموضوع ! ودوكنز نفسه اعترف بهذا فقال:

"وربما موقفي هذا يبرره إنني عالم طبيعي ولستُ فيلسوفاً. الفلاسفة عبر القرون اخذوا الحجة الوجودية بشكل جدّي بدون شك ، وعلى الطرفين ، معها وضدها"[٢٣٨].

ويقول د. السيد محمد علي ديباجي متحدثاً عن اهمية الحجة الوجودية:

"وبعد نحو ستة قرون من أغسطين ظهر في اللاهوت المسيحي القديس أنسلم ليقدّم برهاناً خالداً في إثبات الخالق. والواقع أنه قدّم برهانين في هذا المضمار: أحدهما البرهان

---

[٢٣٥] يكتبه مترجم الكتاب بلفظ (آنشليم) ! بينما جميع المصادر العربية تكتبه بلفظ (انسليم)، وبالانجليزي: Anselme .

[٢٣٦] وهم الإله / دوكنز – ص٨٢.

[٢٣٧] المصدر السابق – ص٨٣.

[٢٣٨] المصدر السابق – ص٨٤.

المصطبغ بطابع الفلسفة الأفلاطونية المحدثة والقائم على أساس مراتب الكمال، وثانيهما البرهان المعروف بالبرهان الوجودي أو البرهان الأنطولوجي. وقد أضفى أن سلّم نفسه أهميةً أكبر على البرهان الوجودي وصاغه في كتابه المهم "بروسلوجيوم" بعدة أشكال.

وقد قيل حول أهمية برهانه الوجودي: إنّ الدراسات الثيولوجية لكبار المفكّرين المسيحيين نظير بونافنتوري (المعاصر لتوما الأكويني) ودانز سكوتز تأثرت بمنهجه. يقول آتين جيلسون: mظهر البرهان الوجودي منذ القرون الوسطى فما بعد بأشكال مختلفة، وأعيدت صياغته من جديد في مذاهب ديكارت، ومالبرانش، وليبنتس، واسبينوزا، وحتى في فلسفة هيغل. وبدوره ذهب جون هيغ إلى أن هذا البرهان . ولأسباب عدّة . أهم برهان فلسفي بين براهين إثبات الله، ويمتاز بجاذبية دائمة، إذ لايزال لحدّ الآن علي نفس درجة الجذابية والإمتاع التي كانت له في القرون الوسطى.

وخلاصة برهان أنسلم هي أننا نستطيع أن نتصوّر في أذهاننا شيئاً لا يمكن تصوّر أكبر منه، بيد أن هذا الشيء لا يمكن أن يكون في الذهن وحسب؛ لأنه إذا كان في الذهن فقط كان مفتقراً لأية حيثية أو شأن خارجي، ومعنى ذلك أن بالإمكان وجود شيء في خارج أذهاننا أكبر من الشيء الذي تصوّرناه في أذهاننا، وعليه لن يكون ما تصوّرناه هو فعلاً الشيء الذي لا يمكن تصوّر أكبر منه، وهذا خلاف الفرض. وبالتالي سيكون الشيء الذي لا يمكن تصوّر ما هو أكبر منه موجوداً خارج الذهن بالإضافة إلى وجوده في الذهن نفسه، وهو الله"[٢٣٩].

وفي المقابل فإن هناك فلاسفة ولاهوتيين رفضوا هذا البرهان ، وقيل ان ممن رفضه توما الاكويني وكانط وقبله ديكارت.

وهذا النص الذي نقلناه نريد منه ان نؤكد التعامل السطحي لدوكنز مع الادلة الفلسفية الدالّة على وجود الإله ، وانه فعلاً لم يذكر ادلة وجود الإله بنحو منصف وموضوعي.

ثم يختتم دوكنز كلامه عن الحجة الوجودية بإيراده رابط موقع الكتروني إلحادي يهاجم الدين يذكر انه جمع فيه أكثر من ٣٠٠ برهان ساخر عن وجود الإله ! يا لجديته في تناول الحجج والأدلة!!

[٢٣٩] مقال بعنوان (المنهج السيكولوجي في إثبات وجود الله) ، للدكتور السيد محمد علي ديباجي ، منشور في الموقع الالكتروني (نصوص معاصرة) بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٤.

دليل مبني على الجمال:

تحت هذا العنوان لم يذكر دوكنز ادلة حقيقية لمؤمنين على وجود الإله. بل هو ذكر هذه الفقرة مستهزءاً من الأدلة على وجود الإله. بدون سبب واضح يفعل ذلك ! ربما هو يظن ان افضل وسيلة للوقوف بوجه الادلة الراسخة على وجود الإله هو الاستهزاء بها بدلاً من استعراضها !

هل فعلاً هناك ملحدون يرون ان دوكنز قادر على إثبات انه ليس هناك إله أو انه قادر على دحض ادلّة وجود الإله ؟! وبهذه الاساليب الرخيصة البعيدة عن العلم والعقل !!

يقول دوكنز:

"لو وجدت حجة منطقية تربط الفن العظيم بالوجود الإلهي ، فإن انصار الفكرة لا يحددون تلك الصلة. وببساطة يعتبرون أن ذلك دليلاً يفسر نفسه بنفسه ، والامر ليس كذلك بالتأكيد. ربما انها شكل من أشكال الخلق الذكي مرة اخرى على الشكل التالي: مخ شوبرت الموسيقي هو اعجوبة ووجودها احتماله ضعيف بشكل كبير ، ربما أضعف من احتمال وجود الفقريات. أو ربما هو الغيرة من هذه العبقرية ، لا لا ، هذه فكرة غير جيدة. إذن كيف يمكن لشخص آخر غيري ان يخلق تلك الموسيقى (الموسيقى / الشعر / الفن) الرائعة بينما أنا لا أستطيع؟ لا بد ان الله هو الذي فعل ذلك"[٢٤٠].

الدليل القائم عل التجربة الشخصية:

كنا نتوقع أن دوكنز عندما يذكر ما يوهم انها حجج وجود الإله ان يكون نزيهاً ويذكر الحجج العقلية والعلمية التي يؤمد بها المؤمنون بوجود الإله. غير أن دوكنز خيّب ظننا. ففي هذه الفقرة وما سبقها لم نجده يتعامل بجدية كافية مع الموضوع !

نحن نعلم ان اي دليل شخصي على وجود الإله لن يقنع سوى صاحبه ، ولا يمكن أن يكون دليلاً يقنع الاخرين او ان يستند إليه أشخاص آخرون. ونفس هذه المشكلة تخص الصوفية الذين يزعمون

[٢٤٠] وهم الاله / دوكنز – ص٨٩.

الكشف والشهود بعد ادائهم رياضات خاصة ، فما يتحدثون عنه هو مجرد تجاربهم الشخصية التي لا يمكن ان يستفيد منها الآخرون.

يسرد دوكنز مجموعة حكايات وأفكار حول الايمان الشخصي بتجارب شخصية. ، عن طائر الشيطان ، وبيتر سوتكليف القاتل الذي كان يدعي انه سمع المسيح يقول له بأن يقتل النساء ، وينقل كلام جورج بوش ان الله اخبره أن يحتل العراق ! ثم ينتقل الى التحدث عما اسماه برنامج المحاكاة في ادمغة البشر ! ورؤية مريم العذراء ، والبعض الذين راوا وجه الشيطان في الدخان المنبعث من البرجين في ١١ أيلول / سبتمبر ، ثم ينتقل للتحدث عن حالة الرؤيا الجماعية !! وذكر مثالاً للرؤيا الجماعية ما حصل في ...

... "البرتغال في ايام حج لمنطقة فاطمة البرتغالية عام ١٩١٧ حيث شهد سبعون ألفاً من الحجاج الشمس تترك السماء وتهوي باتجاه الحجاج ، فإنه من الصعب تجاهل ظاهرة كتلك. وليس من السهل تفسير تقاسم ٧٠٠٠٠ شخص لنفس الهلوسة. ولكن من الاصعب القبول بحقيقة حدوثها بدون أن يراها أحد خارج منطقة فاطمة، وليس فقط الرؤية بل أيضاً الشعور بالدمار الهائل للمجموعة الشمسية، ومن ضمنها قوى تسارع كافية لقذف الجميع في للفضاء. لا نستطيع هنا مقاومة التفكير بتجربة دافيد هيوم البليغة عن الاعاجيب: (ليس هناك من شهادة تكفي لتصديق اعجوبة ، الا اذا كان تكذيبها أعجب من الواقع الذي بنيت عليه)"[٢٤١].

"هذا كل ما يمكن ان يقال حول موضوع التجارب الشخصية للاله او لظواهر دينية اخرى. ولو تعرضت لتجربة من هذا النوع فلربما تجد نفسك مؤمناً بواقعيتها بشكل قوي. ولكن لا تتوقع أنه على الاخرين منا أن يصدقوا ذلك. وخصوصاً اذا كان لدينا بعض المعرفة عن الدماغ وقدرته الجبارة على العمل"[٢٤٢].

دوكنز الذي يدّعي وجود برنامج محاكاة هو نفسه يعجز عن فهم حقيقة الانسان ، بل حقيقة الدماغ وكيفية حصول الوعي الانساني. وفي مناظرة له مع البوذي ديباك شوبرا كشف دوكنز عن ضعف شديد في فهم كيفية حصول الوعي لدى الانسان ! بينما هنا يتحدث عن محاكاة للدماغ ومعرفة بقدرته الجبارة على العمل !!

---

[٢٤١] وهم الاله / دوكنز – ص٩٤.

[٢٤٢] المصدر السابق – ص٩٤.

ويدّعي دوكنز وجود برنامج محاكاة في العقل البشري يدفعه لإختلاق الرؤى ! وهذا الذي يسميه دوكنز ببرنامج محاكاة هو في الحقيقة ما يسمى بـ (الهلوسة). ويتحدث د. مجدي وهب عن هذا المرض بقوله:

"الهلوسة بمفهومها العام هي الإحساس بمحسوس غير موجود و بمعنى أدق يمكن تعريف الهلوسة بأنها الإحساس في حالة اليقظة والوعى برؤية أو سماع شيئ ما غير موجود يتميز بخواص المحسوسات الموجودة كالحياة والمادية والتحقق في الخارج ، و هو ما نطلق عليها الهلوسة أو الاهتلاس ، وهى بعبارة أوضح خطأ في الإدراك يجعل المهلوس يعتقد فعلا أنه يحس أو يرى شيئا لا أساس له من الواقع ، ويذهب الأطباء إلى أن الهلوسة عرض من أعراض الفصام أو انشطار الشخصية ويعتبرونها عاملا هاما يساعدهم على فهم الحالات المرضية التي يعالجونها. ولكن الهلوسة ليست بالضرورة عرضا من أعراض الاضطراب العقلي ، فإن بعض الأفراد المرهقين جسديا أو نفسيا قد يصابون أحيانا بنوع من الهلوسة. فمستكشف الصحراء المتعب الظامئ إلى حد اليأس قد يتخيل أنه يرى بئر ماء في مكان قريب وهكذا.. أما أصحاب التحليل النفسي فيذهبون إلى أن الهلوسة لا تعدو أن تكون الا تعبيرا رمزيا عن بعض الرغبات المكبوتة ، أما المصابون بالاختلال النفسي فإنهم يرون، ويسمعون، ويشمون، ويتذوقون أو يشعرون بأشياء غير موجودة. وتأخذ الهلوسة أشكال متنوعة، و تؤثر على جميع أنواع الحواس، و تظهر أحيانا في أكثر من حاسة في نفس الوقت. و منها الهلوسة السمعية ، ويسمع فيها المريض صوتا أو مجموعة من الأصوات، و يترافق هذا النوع من الهلوسة عادة مع بعض الاضطرابات العقلية كالفصام، و للهلوسة دور مهم في تشخيص هذه الأمراض المرافقة لها ، و لكن قد لا يعاني المريض من أي اضطراب عقلي و مع هذا يكون مصابا بالهلوسة، و من أنواع الهلوسات السمعية الهلوسة الموسيقية حيث يتهيأ للمريض بأن هنالك موسيقى ترن في ذهنه و عادة ما تكون موسيقى أو أغنية يعرفها المريض جيدا ، و يرجع سبب هذا النوع من الهلوسة إلى ظهور تصلب غير طبيعي في ساق الدماغ أو أورام أو التهاب الدماغ أو –فقدان للسمع أو الصرع ، و هناك الهلوسة الشمية حيث يقوم المريض بشم روائح غير موجودة واقعيا ، و تعتبر الروائح الأكثر شيوعا في الهلوسة رائحة القيء و البراز و البول و الدخان .. الخ و تنتج الهلوسات الشمية عادة بسبب تحطم النسيج العصبي في الجهاز الشمي ، و يعود تحطم هذا النسيج إلى العديد من الأسباب كالالتهابات الفيروسية، وأورام الدماغ والإصابات والجراحة، و من المحتمل أن يكون التعرض إلى بعض السموم و الأدوية من مسببات ذلك أيضا. و يمكن لمرض الصرع أن ينتج هلوسات شمية أيضا إذا ما أثر على اللحاء الشمي، و من الجدير بالذكر أن الهلوسة الشمية (phantosmia)

تختلف عن حالة طبية أخرى تعرف بـ (parosmia) حيث يشم الإنسان روائح واقعية موجودة فعلا لكن يشمها مختلفة عما يشمه الآخرون. أما النوع الثالث فهى الهلوسة الهبناجوجية (hypnagogic) و تحدث قبل أن يغط الإنسان في النوم، و يحدث هذا النوع لدى عدد كبير من الناس و يمكن أن تستمر الهلوسة من ثوان إلى دقائق، و يحدث هذا النوع من الهلوسة لدى أشخاص أصحاء عقليا ، كما يحدث لدى من يعانون من مرض (narcolepsy) النوم الإنتيابى ، وهو حالة مرضية تتميز بنوم مفاجئ أثناء فترة النهار و في أوقات غير مناسبة مثلا أثناء العمل أو في المدرسة أو أحيانا أثناء قيادة السيارة ، و يترافق هذا النوع من الهلوسة أحيانا مع بعض أنواع الخلل في جزع الدماغ إلا أن هذه الحالات نادرة و الحمد لله ، و الجدير بالذكر أنه وضعت العديد من النظريات العلمية لتفسير ظاهرة الهلوسة ، فعندما كانت النظريات النفسية الحركية (نظريات فرويد) شائعة في الطب العقلي ، كان التفسير الشائع على أساسها هو أن الهلوسة ما هي إلا بروز الأماني و الأفكار و الرغبات من العقل اللاواعي على صفحة الوعي ، و لاحقا تصدرت النظريات البيولوجية و أخذ العلماء بتفسير الهلوسة على أساس أنها خلل وظيفي في الدماغ . و يمكن القول أيضا بأن فعالية و وظيفة الناقل العصبي المعروف بالدوبأمين تعتبر مهمة بالخصوص"[٢٤٣].

وشتان بين دعوى دوكنز وجود برنامج محاكاة في العقل البشري وبين الهلوسة كمرض نفسي او نتيجة اعراض اخرى كالمخدرات وغيرها. وهذا الذي يقولون عنه انه يجب الرجوع لأهل الاختصاص في مجالات اختصاصهم.

اما ربط دوكنز بحادثة مدينة فاطمة البرتغالية وبين المحاكاة التي يقترحها فهو تفسير ليس له ما يسنده من بحث علمي او نظرية طبية. ولا يمكننا ان نفسر ما حصل في تلك الحادثة وهل هو وهم ام هذيان ام اكاذيب ام حقيقة. ونحن تعلمنا من الاسلام ان لا نلتفت الى مثل تلك الحوادث لن الاصل في العقيدة هو تقبلها من مصادرها النقية المرتبطة بالوحي السماوي ، اي الانبياء والاوصياء (صلوات الله عليهم). وحصول مثل تلك الحوادث على فرض انها حقيقية فلا تمثل شيئاً في ميزان الايمان والعقيدة الحقّة. وعجباً لمن يمتلك القرآن العظيم ويلتفت لمثل تلك الحكايات والقصص التي لا يُعرَف مصداقيتها.

[٢٤٣] مقال بعنوان (الهلوسة) منشور في الموقع الالكتروني للدكتور مجدي دهب.

ولا يبعد ان يطلق على الحوادث التي حصلت من قبيل مزاعم ظهور العذراء (عليها السلام) انها خاضعة للهستيريا الجماعية.

يقول كمال غزال:

" يستخدم مصطلح هستيريا أيضاً في عبارة "هستيريا جماعية " Mass Hysteria لوصف ردود أفعال ذعر الجمهور وهي مهما اختلفت أسماؤها مثل: هستيريا المجموعة أو مرض الجمهور ذو المنشأ النفسي أو السلوك الجماعي الوسواسي هي ظاهرة نفسية إجتماعية تتجسد فيها نفس الأعراض الهستيرية في أكثر من شخص واحد . ومن الأمثلة الشائعة في الهستيريا الجماعية هو إعتقاد مجموعة من الناس بأنهم يعانون من نفس المرض أو الإعتلال. لقد كان لحوادث متنوعة صلة مع الهستريا الجماعية نذكر منها محاكمات الساحرات ومؤامرات ثورة العبيد وهي أحداث يمكن فهمها بشكل أفضل من خلال مصطلح " الذعر المعنوي " في علم الإجتماع (السيسيولوجيا) الذي يهتم بدراسة بنية وتطور المجتمعات البشرية. كما يستخدم مصطلح " هستيريا جماعية" عادة لوصف موجات من المشاكل الطبية التي تشيع بين الجميع كرد فعل على مقالات إخبارية . ونجد إستخداماً مشابه لمصطلح "الهستريا الجماعية" يشير إلى أي نوع من ظواهر "الموجة العامة " ، وقد سبق استخدام المصطلح لوصف الإهتمام العام بتقارير الأجسام الطائرة المجهولة (يوفو) وفي ظاهرة دوائر المحاصيل وأمثلة أخرى مشابهة من آن لآخر ...

لم يوجد لملامح الهستيريا الجماعية أي سبب معقول حتى الآن فأعراضها غامضة وتتصاعد على نحو سريع في الحالات ، وتنتشر غالباً على مد النظر في الأماكن بين الناس وعدد الحالات يكون أعلى في الإناث وأولئك الذين يحظون بالكثير من الخدمات الطبية، وغالباً ما تعزى مشاهدات الـ "معجزات دينية" إلى الهستيريا الجماعية بحسب رأي النفسانيين"[٢٤٤].

[٢٤٤] وللمزيد انظر: مقال بعنوان (الهستيريا الجماعية) بقلم كمال غزال ، منشور في الموقع الالكتروني ما وراء الطبيعة.

وكتب روبرت بارثولوميو وإريك غود مقالاً بعنوان: (الاوهام والهستيريا الجماعية: أضواء على الالفية الماضية[٢٤٥]) ذكرا فيه امثلة عديدة عن حالات الهستيريا الجماعية من العصور الوسطى والى نهاية القرن الماضي.

إذن ما يتوهمه دوكنز انه تجربة شخصية وينسبها للمؤمنين هي في حلقتها ربما تكون قضايا هلوسة لم يحسن دوكنز فهمها !

نعم لكل مؤمن اسلوبه الخاص في الاستدلال على وجود الخالق (سبحانه وتعالى) ، فالبعض يلجأ لدليل الفطرة ، والبعض يلجأ لدليل التصميم الذكي بل التصميم فوق العبقري. والبعض يلجأ للادلة المنطقية. كلٌ بحسب مستواه الفكري.

فمن امثلة التجارب الشخصية للإيمان بوجود الخالق ، ذلك الاعرابي الذي يستدل على وجود الإله (تبارك وتعالى) بقوله: (البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير ، أَ سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا يدلان على اللطيف الخبير) ؟!

ونموذج آخر من التجارب الشخصية للإيمان ، تجربة الدكتور فاضل السامرائي حيث يقول:

"كنتُ أشك في وجود الخالق ، وكان هذا الشك يُبرحني كثيرا ويؤذيني.. وكنتُ أظن أنه ليس على وجه الأرض رجلا مؤمنا.. كل الناس ملحدون لكن بعضهم يُبرقع إلحاده وقسم يُظهر إلحاده.. وكنتُ أظن أنه لا يمكن لأحد أن يقنعني بوجود الخالق.. كانت هذه المرحلة ثقيلة جدا عليّ.. حاولت أن أنتهي إلى أمر.. إلى أي طريق سأسلك؟!!.. في طريق انتهاب اللذة والعمر قصير؟!!.. أو في طريق آخر؟!!.. هذا الهمّ كان همّا شديدا يثقل عليّ في الليل والنهار.. حتى في النوم يُثقل عليّ.. حتى في النوم لا أستطيع النوم أحيانا.. كنت أذهب من بيتي إلى دكان والدي في السوق وأنا لا أكاد أعلم بمن يمر بي.. حتى يسلم علي أحد أصدقائي فلا أجيبه لأني لم أسمع.. حتى يمسكني ويقول لي أين أنت يا فلان؟!!.. فأستيقظ وأنا أمشي.. وقررت أن أحسم هذه المسألة إما إلى هذا الطريق أو ذاك.. فبدأت أقرأ الكتب.. كنت أقرأ الكتب الضخمة ولكن لا أنتفع منها بكلمة.. لا أقتنع.. هناك أمر يقف في الوسط حائل.. أقرأ الأدلة ثم أحس كأن هنالك قفزة ليست متصلة ولا متسلسلة.. بقيت مدة طويلة وأنا أقرأ الكتب.. كنتُ أبحث عن الدليل المقنع لوجود الخالق.. لكن الله سبحانه لما رأى صدق توجهي في هذه المسألة

[٢٤٥] العنوان الاصلي للمقال هو (Mass Delusions and Hysterias: Highlights from the Past (Millennium) ، منشور في موقع (CSI: the Committee for Skeptical Inquiry) بقلم: Robert E. Bartholomew and Erich Goode.

أعانني.. فلما رأى الله جِدي في البحث والقراءة المتصلة أعانني ربنا سبحانه وتعالى.." .. " الى ان يقول عن يوم إيمانه: ".. كل شئ تغير في نظرتي.. كل شئ.. بدأت أنظر إلى الوجود نظرة ثانية.. أنظر إلى الوجوه فأراها غير الوجوه التي كنت أراها بالأمس.. أرى الأشجار فأراها بغير النظرة التي بالأمس.. أرى الشمس والقمر بغير النظرة.. كنت فيما بعد أرى الله في كل شئ وما كنت أراه في شئ.."... الى ان يقول: "كنتُ أقرأ في غرائب المخلوقات.. فقرأت ووجدت أن هناك نوع من البعوض!!! إذا أراد أن يتكاثر ويصير موسم التكاثر يبيض في الأنهار والبِرك.. يضغط على جسمه فهناك فتحات في جسمه يخرج منها سائل يجف بالهواء مثل خيط العنكبوت ويصنع منه قوارب وزوارق صغيرة.. الأمهات تصنع زوارق صغيرة تضع فيها البيض في الأنهار ثم تموت الأم.. ثم تخرج اليرقات وتفقس وتكبر.. اليرقات عندما تتكاثر تفعل نفس الفعل.. تكبر ثم تصبح بعوضا ثم تضغط على نفسها وتصنع قواربا وتضع البيض فيها وتموت.. صحيح السؤال من الذي وضع المادة التي صالحة لصنع القوارب في جسمها التي تجف.. من علمها صنع القوارب؟!!.. ومن علمها أن تفعل فعل الأمهات وهي لم تر أمها؟!!.. الحقيقة أن هذا جعل في نفسي هزة كبيرة"[٢٤٦].

والتجربة الشخصية الاخرى للإيمان ، تجربة العالم جيفري لانج ، عالم الرياضيات الشهير ...

"جيفري لانج (بالإنجليزية: Jeffrey Lang)، من مواليد (٣٠ يناير ١٩٥٤، مدينة برديجبورت) بروفيسور في الرياضيات أمريكي. يعمل حالياً في قسم الرياضيات في جامعة كنساس. استلم شهادة الفلسفة من جامعة باردو سنة ١٩٨١. كانت الرسالة عن سطح زاريسكي (Zariski surface). وكتبها تحت توجيهات ويليام هاينزر وبايتور بلاس. ولد جيفري لانج من عائلة كاثوليكية، درس أيضاً في مدرسة كاثوليكية، رغم أنه درس بمدرسه كاثوليكيه طوال سنوات حياته، بعد حصوله على الدكتوراه في الرياضيات وبعد سنوات من التدريس في جامعة سان فرانسسكو، في بدايات ١٩٨٠، تعرف د.لانغ على عائله مسلمه توطدت به علاقه صداقه. لم يكن الدين محل نقاش بينهم ولكن كان يسأل بعض الآسئلة عليهم. العائلة المسلمة لم يكن لديها الكثير من الأجوبة وواجهت وقتا صعبا في الرد، إلا أنهم أعطوه نسخه مترجمه من القرآن قرأه د.جيفري لانغ بعد فترة

[٢٤٦] برنامج لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، من على شاشة قناة الشارقة. كلام الدكتور فاضل السامرائي منشور في موقع اليوتيوب، عبر الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=H2eyXRwIa80

لفضوله، وبعد قراءة القرآن أسلم ، ويؤكد د.لانغ أنه يجد راحة روحية كبيرة بصفته مسلم"[٢٤٧].

وموريس بوكاي أيضاً لديه تجربة شخصية تتعلق بمومياء الفرعون المصري الذي مات غرقاً واكتشف موريس بوكاي ان القرآن قبل ١٤٠٠ سنة قد قال ذلك !

وهناك مئات بل آلاف القصص لتجارب شخصية لأشخاص اعتنقوا الايمان أو اعتنقوا معه الاسلام.

غير أن تلك التجارب الشخصية مبنية على اسس وادلة واقعية وليست اعتباطية. هي ليست من قبيل ان ملاكا ظهر لي فاعتنقت الايمان ! فمحصلة التجارب الشخصية تعود الى الادلة الفطرية والعلمية والفلسفية إلخ. بمعنى آخر ان التجربة الشخصية هي اسلوب الانسان في التأثر بالدليل الذي يُحدِثُ فيه الايمان. فالاختلاف هو في الاسلوب الشخصي الذي ينتج التأثر بالدليل الذي يراه مناسباً ومقنعاً.

الحُجج من الكتب المقدسة:

كتب دوكنز:

"ان يكون شيء ما مكتوباً في كتاب مقدس يبدو كافياً لأناس تعودت على عدم طرح الاسئلة التالية: (من الذي كتبه؟ ومتى؟ كيف عرف عن الموضوع الذي كتبه؟ هل اعتقدوا في وقتهم بأننا في وقتنا سنفهم ما قالوه ولماذا؟ هل كانوا مراقبين غير متحييزين أم كان لهم هدف جعلهم يتلاعبون بكتاباتهم؟) وبدءاً من القرن التاسع عشر ، يشكك دارسو الديانات في أن الاناجيل يمكن الاعتماد عليها لمعرفة ما حصل تأريخياً في العالم بشكل حقيقي. كلها كتبت بعد وقت طويل من وفاة المسيح. ومنذ ذلك الحين وهي تنسخ وتنسخ ، من خلال (اجيال من لعبة الهمس) ... ومن قبل كُتّاب غير معصومين عن الخطأ ولديهم جدول اعمالهم الديني الخاص بهم"[٢٤٨].

---

[٢٤٧] الموقع الالكتروني ، الويكيبيديا ، الموسوعة الحرّة ، تحت عنوان (جيفري لانج).

[٢٤٨] وهم الإله / دوكنز – ص٩٥.

ما ذكره دوكنز ليس بأمر خفي ، بل هو معروف ومعترف به من قبل علماء المسيحية أنفسهم ! والتناقضات والاخطاء في الكتاب المقدس عديدة، وقد تقصينا جانباً مهماً منها في كتابنا الالكتروني (حقائق إنجيلية).

ومن ابرز التناقضات في الكتاب المقدس:

١. في إنجيل متى (٦:٢٦) وانجيل مرقس (٣:١٤) إن يسوع تناول العشاء في بيت سمعان الأبرص وفي إنجيل يوحنا (٢:١٢) انه في بيت لعازر .

٢. في إنجيل متى (٤:٨) وانجيل لوقا (٣٨:٤) إن بيت سمعان بطرس في كفر ناحوم وفي إنجيل يوحنا (٤٥:١) إن بيته في صيدا .

٣. في إنجيل لوقا (٣ : ٣٥ و ٣٦) : شالح ابن قينان بن ارفكشاد وفي سفر التكوين (١٢:١١) شالح بن ارفكشاد بدون ذكر قينان .

٤. في سفر أخبار الأيام الأول (١٦:٣) :يكنيا بن يهوياقيم ، وفي سفر أخبار الأيام الثاني (٨:٣٦) يهوياكين بن يهوياقيم ، وفي سفر ارميا (١:٣٧) كنياهو بن يهوياقيم ، ثلاثة أسماء لشخص واحد ! .

٥. في إنجيل مرقس عند الكاثوليك (٢:١) : (كتب في سفر النبي اشعياء : ها أنا ذا أرسل رسولي قدامك ليعد طريقك ، صوت مناد في البرية اعدوا طريق الرب واجعلوا سبله قويمة) ، والصحيح إن عبارة (ها أنا ذا أرسل رسولي قدامك ليعد طريقك) موجودة في سفر ملاخي (١:٣) وليس في سفر اشعياء وبإبدال كلمة رسولي بملاكي . ومن الجدير بالذكر إن أصحاب المذهب البروتستانتي الذي ظهر في القرون المتأخرة يكتبون هذه العبارة في إنجيل مرقس (٢:١) كالآتي : (كما هو مكتوب في الأنبياء) بإسقاط كلمة اشعياء للخروج من هذا المأزق.

٦. في سفر صموئيل الثاني (٩:٢٤) إن عدد إسرائيل هو ٨٠٠ ألف ورجال يهوذا ٥٠٠ ألف بينما يذكر سفر أخبار الأيام الأول (٥:٢١) إن عدد إسرائيل مليون (ألف ألف) ومائة ألف ورجال يهوذا ٤٧٠ ألف .

٧. في سفر الملوك الأول (١٥ :١و٢) إن اسم أم الملك ابيام هو معكة بنت ابشالوم ، وفي سفر أخبار الأيام الثاني (١٣ :١و٢) إن اسمها هو ميخايا بنت اوريئيل .

٨. في سفر الملوك الثاني (١٧:٢٤) إن صدقيا هو عم الملك السابق له وفي سفر أخبار الأيام الثاني (١٠:٣٦) إن صدقيا هو أخ للملك السابق له .

٩. في سفر الخروج (١٨:٢) إن اسم حمو موسى هو رعوئيل وفي السفر نفسه (١:٣) و (١:١٨) إن اسمه هو يثرون ، وهذا تناقض في نفس السفر ، وفي سفر العدد (٢٩:١٠) إن اسمه حوباب بن رعوئيل المدياني .

١٠. في سفر الملوك الثاني (٢١:١٢٩ ان الذين اغتالا الملك يواش هما يوزاكار بن شمعة و يهوزاباد بن شومير بينما في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٦:٢٤) انهما زاباد بن شمعة العمونية ويهوزاباد بن شمريت الموابية .

١١. في إنجيل متى (١ :٨و٩) يوتام بن عزيا بن يورام بينما في أخبار الأيام الأول (١٠:٣) نجده يوتام بن عزريا بن امصيا بن يواش بن اخزيا بن يورام ، مما يعني سقوط ثلاثة آباء من نسب يوسف النجار .

١٢. في سفر أعمال الرسل (١٤:٧) إن عدد آل يعقوب الذين دخلوا مصر كان ٧٥ نفس بينما في سفري التكوين (٢٧:٤٦) والتثنية(٢٢:١٠) إن عددهم هو ٧٠ نفس .

١٣. في إنجيل مرقس (٢٦:٢) إن داود دخل بيت الله في أيام ابيأثار رئيس الكهنة بينما نجد في سفر صموئيل (١:٢١) إن اسم رئيس الكهنة هو أخيمالك وليس ابيأثار .

١٤. في إنجيل مرقس (٢٥:١٥) انهم صلبوا من توهموا انه المسيح في الساعة الثالثة ، بينما في إنجيل يوحنا (١٤:١٩) انهم حتى الساعة السادسة لم يكونوا قد قرروا مصير من توهموا انه المسيح .

١٥. في إنجيل مرقس (٣٢:١٥) إن اللصين المصلوبين كانا يعيران من توهموا انه المسيح ، بينما في إنجيل لوقا (٤٠:٢٣) إن واحداً منهما فقط كان يفعل ذلك .

١٦. في إنجيل متى (١١:١) نجد يكنيا بن يوشيا بينما في سفر أخبار الأيام الأول (٣: ١٥-١٧) انه يكنيا بن يهوياقيم بن يوشيا .

بل وفي العهد الجديد هناك اشارات الى نصوص مقتبسة من العهد القديم وبمراجعة العهد القديم لا يتم العثور على تلك النصوص ، منها:

في إنجيل متى (٢٣:٢) : (وجاء إلى مدينة اسمها الناصرة فسكن فيها ليتم ما قال الأنبياء : "يدعى ناصريا") ، ولم يرد في العهد القديم على الإطلاق إن المسيح أو النبي الموعود يدعى ناصريا .

في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٩:٢) : (ورد في الكتاب : اعد الله للذين يحبونه كل ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر).

في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٦:٤) : (لتتعلموا بنا ما قيل : لا تزد شيئا على ما كتب).

في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٥٤:١٥) : (تم قول الكتاب : قد ابتلع الظفر الموت) .

يضاف لما سبق إن في العهدين القديم والجديد أسماء لأسفار غير موجودة في الكتاب المقدس فهي أسفار مفقودة لا يعرف عنها شيء سوى اسمها ، ولعل ما مر من عبارات في إنجيل برنابا إنما اقتبس من تلك الأسفار الضائعة .

والأسفار المفقودة هي :

سفر حروب الرب : ورد ذكره في سفر العدد (١٤:٢١).

سفر سنن الملك : ورد ذكره في سفر صموئيل الأول (٢٥:١٠) .

سفر ياشر : ورد ذكره في سفر يشوع (١٣:١٠) وسفر صموئيل الثاني (١٧:١) .

سفر أخبار أيام ملوك إسرائيل : ورد ذكره في سفر الملوك الأول (١٩:١٤) و (٥:١٦) و (١٤:١٦) .

سفر تاريخ إسرائيل ويهوذا : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٧:٢٧) .

سفر تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٨:٣٦) .

سفر أخبار أيام ملوك يهوذا : ورد ذكره في سفر الملوك الثاني (٥:٢٤) و (٢٥:٢١) .

سفر أخبار جاد النبي : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الأول (٢٩:٢٩) .

سفر رؤيا النبي يعدو : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٩:٩) .

سفر نبؤة اخيا الشيلوني : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٩:٩) .

سفر تاريخ عدو النبي : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (١٥:١٢) و (٢٢:١٣) .

سفر تاريخ شمعيا النبي : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (١٥:١٢) .

سفر تاريخ ناثان النبي : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٩:٩) .

سفر تاريخ ياهو بن حناني : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٣٤:٢٠) .

سفر تاريخ الملوك : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٧:٢٤) .

سفر أخبار الأنبياء : ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني (١٩:٣٣) .

سفر أخبار سليمان : ورد ذكره في سفر الملوك الأول (٤١:١١) .

سفر الرب : ورد ذكره في سفر اشعياء (١٦:٣٤) .

رسالة بولس إلى أهل اللاذقية : ورد ذكرها في رسالة بولس إلى أهل كولسي (١٦:٤) .

رسالة بولس الأولى إلى أهل فيلبي : ورد ذكرها في رسالة بولس إلى أهل فيلبي (١:٣) الموجودة في العهد الجديد ..(انظر العهد الجديد (بولس باسيم) هامش صفحة ٧٧١) .

رسالة لبولس إلى أهل كورنثوس : ورد ذكرها في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٩:٥) .

رسالة لبولس إلى أهل كورنثوس : ورد ذكرها في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٨:٧) .

ومما يؤيد وجود أخطاء النساخ في الكتاب المقدس ما جاء في نسخة العهد الجديد (بولس باسيم) ص (٧) ما نصه : ...(فان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من أحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت مهما بذل فيها من جهد بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه ، يضاف إلى ذلك إن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم

انه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة في التعبير اللاهوتي ، وهكذا ادخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ)....(ومن الواضح إن ما ادخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات) .

واليكم بعض الأخطاء في الكتاب المقدس وهي من أخطاء النساخ !

· في إنجيل متى (٣٥:٢٣) : (من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح) ، وفي هامش ص (٧) من العهد الجديد (بولس باسيم) نقرأ التعليق آلاتي : (يرجح إن زكريا هذا هو الذي ورد خبره في سفر الأخبار الثاني (٢٤ : ٢٢.٢١) وهو آخر من ذكر خبر قتله ، واما زكريا بن بركيا فقد ذكر في اشعياء (٢:٨) وسفر زكريا (١:١) ولربما حدث سهو في نسخ الأصول فكتب زكريا بن بركيا في حين إن الصواب هو زكريا بلا "بن بركيا") .

· في سفر التكوين (١٥:٤٦) إن عدد أولاد يعقوب وبناته هو ثلاث وثلاثون في حين ان العدد الحقيقي حين عد الأسماء المذكورة في السفر هو أربع وثلاثون .

· في سفر أخبار الأيام الثاني (١٩:٢٨) : (لان الرب ذل يهوذا بسبب احاز ملك إسرائيل) وهو خطأ والصواب هو احاز ملك يهوذا .

· في نسخة الكتاب المقدس (اغناطيوس زيادة) وفي قسم الحواشي عند تعليقه حول سفر ارميا (١:٢٦) ما نصه : (ثم إن ما ورد في عنوان الفصل السابع والعشرين من انه نزل في عهد يوياقيم صوابه انه نزل في عهد صدقيا كما يتبين من بقية الفصل فذكر يوياقيم في العنوان من خطأ النساخ).

فلم يضف دوكنز شيئاً مفيداً ، فإيماننا ان الله (سبحانه وتعالى) انزل التوراة والانجيل ، وان تحريفاً حدث على التوراة وتضييعاً لحق بالانجيل فَفُقِدَ. وليس على وجه الارض كتاب سماوي لم يطرأ عليه التغيير سوى القرآن الكريم.

عظمة القرآن الكريم:

نقتبس النص التالي من مقال لنا سابق بعنوان (اصالة القرآن الالهية): " واما المعجزة البلاغية في القرآن الكريم فقد اذعن لها العرب الفصحاء ايام مجد فصاحتهم وقوة بيانهم ، اذعن الجميع بدون استثناء الى ان بلاغة القرآن الكريم لا يمكن ان يصل اليها احد منهم. وحتى علماء المسيحية من العرب لم يكونوا خارج دائرة الاذعان ، فلم يصدر عن اي منهم ولا سيما القدماء المتضلعين في اللغة العربية انهم تمكنوا من معارضة القرآن او الاتيان بآيات مثله. لقد تحدى القرآن العظيم الجميع وفشل الجميع في قبول تحديه.

وقد يثير البعض شبهة ان القرآن الكريم هو بلغة العرب فمن غير المعقول تحدي بقية الاقوام الذين لا يحسنون اللغة العربية بالاتيان بمثل بلاغته ! وشبهتهم هذه متهافتة لأن القرآن الكريم لم يقصر تحديه على الجانب اللغوي والبلاغي فقد كان التحدي عاماً لجميع جوانبه اللغوية والتشريعية والاخلاقية والاجتماعية فالقرآن الكريم فيه اعجاز بلاغي واعجاز غيبي (بالاخبار عن قضايا غيبية تحققت فعلاً في عالم الواقع) واعجاز بالاتيان بالنظم الاجتماعية ومسببات الهدى والصلاح والرشاد مما لا يتمكن احد من الاتيان بها ، فما كان تحدياً بلاغياً فهو يخص العرب منهم وما كان تحدياً بمعارفه فهو يخص العرب والعجم. وفي هذا الصدد يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان ، ج١ ص٥٩: (فجميع التحديات الواقعة في القرآن نحو استدلال على كون القرآن معجزة خارقة من عند الله ، والآيات المشتملة على التحدي مختلفة في العموم والخصوص ومن أعمها تحديا قوله تعالى : (قل لئن إجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الاسراء – ٨٨ ، والآية مكية وفيها من عموم التحدي ما لا يرتاب فيه ذو مسكة . فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن وجزالة اسلوبه فقط لم يتعد التحدي قوما خاصا وهم العرب العرباء من الجاهليين والمخضرمين قبل اختلاط اللسان وفساده ، وقد قرع بالآية أسماع الانس والجن . وكذا غير البلاغة والجزالة من كل صفة خاصة إشتمل عليها القرآن كالمعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة والاحكام التشريعية والاخبار المغيبة ومعارف اخرى لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك ، كل واحد منها مما يعرفه بعض الثقلين دون جميعهم ، فإطلاق التحدي على الثقلين ليس إلا في جميع ما يمكن فيه التفاضل في الصفات . فالقرآن آية للبليغ في بلاغته وفصاحته ، وللحكيم في حكمته ، وللعالم في علمه وللاجتماعي في اجتماعه ، وللمقنين في تقنينهم وللسياسيين في سياستهم ، وللحكام في حكومتهم ، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعا كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان . ومن هنا يظهر أن القرآن يدعي عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه اعجازا لكل فرد من الانس والجن من عامة أو خاصة

أو عالم أو جاهل أو رجل أو امرأة أو فاضل بارع في فضله أو مفضول إذا كان ذا لب يشعر بالقول ، فان الانسان مفطور على الشعور بالفضيلة وإدراك الزيادة والنقيصة فيها ، فلكل إنسان أن يتأمل ما يعرفه من الفضيلة في نفسه أو في غيره من أهله ثم يقيس ما أدركه منها إلى ما يشتمل عليه القرآن فيقضي بالحق والنصفة ، فهل يتأتى القوة البشرية أن يختلق معارف إلهية مبرهنة تقابل ما أتى به القرآن وتماثله في الحقيقة ؟ وهل يمكنها أن تاتي بأخلاق مبنية على أساس الحقائق تعادل ما أتى به القرآن في الصفاء والفضيلة ؟ وهل يمكنها أن يشرع أحكاما تامة فقهية تحصي جميع أعمال البشر من غير اختلاف يؤدي إلى التناقض مع حفظ روح التوحيد وكلمة التقوى في كل حكم ونتيجته ، وسريان الطهارة في أصله وفرعه ؟ وهل يمكن أن يصدر هذا الاحصاء العجيب والاتقان الغريب من رجل امي لم يترب إلا في حجر قوم حظهم من الانسانية على مزاياها التي لا تحصى وكمالاتها التي لا تغيا أن يرتزقوا بالغارات الغزوات ونهب الاموال وأن يئدوا البنات ويقتلوا الاولاد خشية إملاق ويفتخروا بالآباء وينكحوا الامهات ويتباهوا بالفجور ويذموا العلم ويتظاهروا بالجهل وهم على أنفتهم وحميتهم الكاذبة اذلاء لكل مستذل وخطفة لكل خاطف فيوما لليمن ويوما للحبشة ويوما للروم ويوما للفرس ؟ فهذا حال عرب الحجاز في الجاهلية . وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثم يودعه أخبارا في الغيب مما مضى ويستقبل وفيمن خلت من الامم وفيمن سيقدم منهم لا بالواحد والاثنين في أبواب مختلفة من القصص والملاحم والمغيبات المستقبلة ثم لا يتخلف شئ منها عن صراط الصدق ؟ . وهل يتمكن إنسان وهو أحد أجزاء نشأة الطبيعة المادية ، والدار دار التحول والتكامل ، أن يداخل في كل شأن من شئون العالم الانساني ويلقي إلى الدنيا معارف وعلوما وقوانين وحكما ومواعظ وأمثالا وقصصا في كل ما دق وجل ثم لا يختلف حاله في شئ منها في الكمال والنقص وهي متدرجة الوجود متفرقة الالقاء وفيها ما ظهر ثم تكرر وفيها فروع متفرعة على أصولها ؟ هذا مع ما نراه أن كل إنسان لا يبقى من حيث كمال العمل ونقصه على حال واحدة . فالانسان اللبيب القادر على تعقل هذه المعاني لا يشك في أن هذه المزايا الكلية وغيرها مما يشتمل عليه القرآن الشريف كلها فوق القوة البشرية ووراء الوسائل الطبيعية المادية وان لم يقدر على ذلك فلم يضل في انسانيته ولم ينس ما يحكم به وجدانه الفطري أن يراجع فيما لا يحسن إختباره ويجهل مأخذه إلى أهل الخبرة به).

ويضاف لذلك حقيقة ان الاساليب البلاغية الموجودة في اللغة العربية لها نظيراتها في اللغات الاخرى ، فوجود بعض الجوانب البلاغية كالتشبيه والاستعارة والمحسنات وغيرها هو وجود معروف في لغات اخرى كالانكليزية والفرنسية وغيرهما ، فمن يزعم ان القرآن الكريم بعظمته البلاغية هو من نتاج محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فعليه ان يعلل عجز بقية العرب عن الاتيان بقرآن آخر له نفس مستوى بلاغته كما ان على من يزعم ذلك ان يعلل عجز بقية الاقوام عن

الاتيان بكتاب مقدس بلغاتهم تلك فيها اساليب بلاغية اعجازية بنفس مستوى اعجاز القرآن الكريم ولكن في لغاتهم مقارنة مع النتاجات البشرية في نفس تلك اللغات. بل حتى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ليس فيه اساليب بلاغية رصينة اعجازية يمكن الاعتماد عليها باعتبارها دليل على انها سماوية المصدر وانها تحاجج بقية النصوص في نفس تلك اللغات التي كتب بها وتتفوق عليها. اذن البلاغة القرآنية فريدة على مستوى اللسان العربي وكذلك على مستوى بقية الالسن التي عجزت عن الاتيان بكتاب مقدس يتفوق على بقية نتاجاتها الثقافية من الناحية البلاغية فبقيت الاساليب البلاغية في تلك النصوص مشتتة البلاغة.

فمن نماذج وجود الاساليب البلاغية في اللغات الاخرى هي الدراسات النقدية البلاغية ككتاب: « في الاستعارات» (Des tropes) المنشور سنة ١٧٣٠ لمؤلفه دومارسي (Dumarsais)، وكتاب «أساليب الخطاب» (Les figures du discours) المنشور سنة ١٨٣٠ لمؤلفه بيير فونطانيي (P. Fontainier). وكتاب (البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية) لفرانسوا مورو الاستاذ بجامعة تولوز وهو يتحدث عن بعض الجوانب البلاغية في اللغة الفرنسية.

اما بخصوص الادب الانكليزي فنقرأ في موسوعة الويكيبيديا: (يرقى الأدب الإنكليزي إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد. وأقدم ما وصل إلينا منه ملحمة بَيْوُولف Beowulf. ومن هنا نستطيع القول إن الشعر عند الإنكليز، شأنَهُ عند الأمم الأخرى، كان أسبقَ إلى الظهور من النثر. وفي القرن الرابع عشر ظهر تشوسر Chaucer الذي يُعتبر أبا اللغة الإنكليزية الحديثة)[٢٤٩].

ونموذج آخر هو الشاعر والاديب الروسي الكبير الكسندر بوشكين الذي كان يبدي اعجاباً شديداً بالقرآن الكريم ، وهو قد قرأ القرآن الكريم من خلال (ترجمة فيريوفكين ١٧٩٠ الذي قام بترجمته من اللغة الفرنسية. وكان قد نقله إلى الفرنسية ديوريه. وبصدد ترجمة فيريوفكين، يقول كراتشوفسكي: "تعتبر ترجمة فيريوفكين للقرآن أفضل ترجمة، إذ تتمتع بلغة أدبية رفيعة" **{كراتشوفسكي، مؤلفات مختارة، موسكو . لينغراد ١٩٥٥ المجلد ١ . ص ١٨٠}**. والذي يهمنا هنا ، أن بوشكين استخدم هذه الترجمة أساساً لقصيدته)[٢٥٠]. ومن خلال اطلاعه على هذه الترجمة للقرآن الكريم كتب بوشكين قصيدته (محاكاة القرآن) والتي اراد منها كما يقول بعض النقاد ان يقلد ظاهر القرآن الكريم – شكل القرآن وإيقاعاته وموسيقاه بحسب تعبيرهم – ولكن مع ذلك كان الفرق كبير بين محاكاة بوشكين

[٢٤٩] الموقع الالكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، تحت عنوان (أدب انجليزي).

[٢٥٠] مقال بعنوان (بوشكين وَالقرآن) بقلم مالك صقور / منشور في مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ١١٣ أيلول "سبتمبر" ١٩٨٠.

وبين القرآن الكريم. وحتى بوشكين هذا لم يتمكن ان يأتي بكتاب يدعي فيه انه القمة في البلاغة في اللغة الروسية بحيث يكون ما عداه اقل بلاغة منه ولا يمكن ان يرقى اليه.

ومن جانب آخر فهناك دراسات جادة حول ترجمة الجوانب البلاغية في القرآن الكريم الى لغات اخرى احداها رسالة جامعية معنونة (قابلية التعابير البلاغية والثقافية للترجمة في ضوء دراسة تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) ، للباحث الدكتور أحمد عبد العزيز مهيوب العباسي ، "تبحث هذه الدراسة موضوع إمكانية ترجمة التعابير البلاغية والثقافية في القرآن الكريم وبالتحديد في سورة البقرة، و اعتمد الباحث على دراسة أربع تراجم مشهورة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية وهي ترجمة كل من عبد الله يوسف علي، بيكثول، ايرفنج وترجمة خان والهلالي حيث تم مقارنة هذه التراجم بما ورد في تفسيري القرطبي والزمخشري. وتهدف الدراسة إلى البحث عن كيفية تعامل التراجم الأربع قيد الدراسة مع التعابير البلاغية والثقافية حيث يرى الباحث أنه وعلى الرغم من أهمية التعابير البلاغية والثقافية كونها تمثل جزءا اساسيا من المحتوى المعرفي للقرآن الكريم، فإنها لم تتلق الإهتمام الكافي واللائق من قبل مترجمي معاني القرأن الكريم إلى الإنجليزية. ويتلخص الهدف الرئيسي للدراسة في تسليط الضوء على وجود الحاجة الماسة لترجمة متميزة لمعاني الفرآن الكريم تتسم بالفاعلية والدقة والموسوعية والقدرة التعبيرية المؤثرة حيث يجب ان تشتمل هذه الترجمة على كل الجوانب المعرفية للقرآن بما فيها التعابير البلاغية والثقافية"[٢٥١]. وهذه الدراسة تبين بوضوح ان جميع اللغات لها مشتركات بلاغية متقاربة بحيث يتمكن من ترجمة الجوانب البلاغية في اللغة العربية الى لغات اخرى كاللغة الانكليزية وغيرها".

وعمداً لم يتطرق دوكنز الى القرآن الكريم ولم يذكره لأن المآخذ التي تبجح بمعرفتها ونشرها بخصوص اسفار الكتاب المقدس غير موجودة في القرآن الكريم ، وكان يجب عليه ان يذكر الحجج التوحيدية المذكورة في القرآن الكريم ثم يناقشها. ولكنه لم يفعل.

الحجة من العلماء الكبار المتدينين:

يذكر دوكنز مقولة نسبها لبيرتراند راسل تقول: "الغالبية الساحقة من الاذكياء المثقفين لا يؤمنون بالدين، ولكنهم يخفون ذلك عن الجمهور، ذلك لأنهم خائفون على مصدر رزقهم". ورغم ان هذا

[٢٥١] منشور في موقع (المركز الوطني للمعلومات) التابع لرئاسة الجمهورية في جمهورية اليمن ، رسالة ماجستير من جامعة العلوم الماليزية – كلية العلوم الانسانية – قسم اللغة الانجليزية ، سنة ٢٠٠٦.

الكلام هو محض هراء، فراسل لم يكن يمتلك احصائيات عن اعداد المتدينين من العلماء قياساً الى اعداد غيرهم، كما ان الاستقراء العام الذي يمكن ان يقوم به أي صحفي بارع أو مركز دراسات متخصص يبين بوضوح رجحان كفة الاذكياء والعلماء المتدينين على كفة من سواهم. ومن الغريب ان يمثل هذا الموضوع محل جدل ! ولن ندخل في جدال حوله، فقد ذكرنا في صفحات سابقة ان الحق والباطل لا يُقاس بالرجال، ولا يقاس بمن اعتنقه ومن لم يعتنقه، الحق هو الذي يصنف الرجال، هذا على حق وذاك على باطل.

وأشهر شخصيتان يدور حولهما الخلاف هل هما مؤمنان ام ملحدان، هما داروين واينشتاين. اما أينشتاين فقد بيّنا في صفحات سابقة أن كان يعتنق وحدة الوجود على طريقة أسبينوزا، أي انه كان يؤمن بوجود إله صانع للكون. وأما داروين فالظاهر أنه كان لا أدرياً، كما يذهب الى ذلك "ديفيد كوامن" حيث يقول:

> "من المستحيل معرفة الامر بالضبط. أفضل طريقة لوصف قناعاته الروحية أو انعدامها، هي كما اعلن داروين نفسه في سيرته الذاتية، هي وصفه بأنه(لا أدري)"[٢٥٢].

وهناك رسالة كتبها داروين نفسه سنة ١٨٧٩ يصف نفسه فيها بأنه لاأدري Agnostic، يقول فيها:

> "*In my most extreme fluctuations I have never been an Atheist in the sense of denying the existence of a God. I think that generally (and more and more as I grow older), but not always, that an Agnostic would be the more correct description of my state of mind..*"[253]

يقول فيها: "في أقصى درجات تَقَلُّبي، لم يحصل إطلاقاً أنْ كنت مُلحداً بمعنى إنكار وجود إله".

ويمكن ان نذكر في المقابل اثنين من كبار العلماء الملحدين في العصر الحاضر اللذين تركا ساحة الالحاد وعادا الى الايمان، وهما: انتوني فلو، وبول ديفيس.

كما يمكن ان نذكر بعض العلماء المشاهير من المدافعين عن الايمان وضد الالحاد، منهم:

---

[٢٥٢] داروين متردداً / ديفيد كوامن - ص٩٨.

[253] John van Wyhe, 2011. Was Charles Darwin an atheist? The public domain review.

- كارل ياسبرس Karl Jaspers توفي سنة ١٩٦٩ (وهو بروفيسور في الطب النفسي وأحد فلاسفة ألمانيا في القرن العشرين).
- ألڤين بلانتينغا Alvin Plantinga (وهو فيلسوف تحليلي أمريكي وأستاذ فخري للفلسفة في جامعة نوتردام).
- وليام ديمبسكي William Dembski (رياضياتي وفيلسوف اميركي ومن دعاة التصميم الذكي).

وأيضاً من العلماء المؤمنين بوجود إله: ريتشارد برايس، هايزنبورغ، شرودنغر، ماكس بلانك، وغيرهم كثيرون.

ودوكنز نفسه يذكر من العلماء المؤمنين بوجود الخالق: نيوتن، مايكل فاراداي، كلارك ماكسويل، وليام تومسون، لورد كيلفين، بيكوك، ستانارد، بولكنغتون، فرانسيس كولينز، غريغور مندل.

ويزعم دوكنز انَّه:

"موقع الانترنيت الوحيد الذي نشر لائحة عن (العلماء المسيحيين الحاصلين على جائزة نوبل) فيه ست أسماء، وذلك من أصل المئات من العلماء الحاصلين على الجائزة"[٢٥٤]!

ولعل دوكنز يستعمل اسلوب دعاية غوبلز النازي الذي وضع قاعدة: اكذب أكذب حتى يصدقك الناس !! فكتاب "١٠٠ سنة من جوائز نوبل" (100 Years of Nobel Prizes) لمؤلفه باروخ شاليف (Baruch A. Shalev)، يذكر في صفحة (٥٧) أن من بين ٦٥٤ حائز على جائزة نوبل هناك نسبة ٦٥,٤% منهم مسيحيين، (فما بالك ببقية الاديان كاليهودية والاسلام). ولا نريد ان نسترسل في المزيد من الاحصائيات والمواقع الالكترونية[٢٥٥] التي تحدثت عن هذا الامر وابرزت رجحان نسبة المؤمنين بإله على الملحدين، من بين عامة الناس وكذلك العلماء، فكل هذا الامر لا يعنينا وإنما نذكره ونفنده لدفع التشويش عن أذهان القاريء حول اهمية مزعومة للفكر الإلحادي نتيجة اعتناق بعض المشاهير له !!

---

[٢٥٤] وهم الإله / دوكنز – ص١٠٢.

[٢٥٥] يمكن مراجعة الموقع الالكتروني الموسوعة الحرّة الويكيبيديا ، تحت عنوان (قائمة المسيحيين الحاصلين على جائزة نوبل). وكذلك الموقع الالكنتروني (Pew Research Center)، تحت عنوان: (Scientists and Belief).

"ما أجمل شهادة جانباولو بيليني، الأستاذ في علم الفيزياء النووي في جامعة الدراسات في ميلانو، التي نشرتها صحيفة لاريبوبليكا: "إنه فيزياء جزيئات بسيطة، وأعتقد أنه لا يمكن لمنطق موسع بشكل هائل أن يكون عرضياً. وراء شكل الكون ونظامه، أعتقد أن هناك طاقة. لو كانت بعض المعطيات في الطبيعة مختلفة قليلاً عما هي عليه، لما كانت الحياة على الأرض ممكنة". هذا الكلام كرره عالم الفيزياء المعروف لوسيو روسي، الكاثوليكي الممارس وأحد المسؤولين عن المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية في جنيف: "أنا مقتنع بأن الفرضية القائلة بأن كل شيء نشأ عرضاً هي أصعب بكثير من القبول بوجود الله. في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، نحن المؤمنون كثيرون، ليس فقط المسيحيين""[٢٥٦].

رهان باسكال:

يقول دوكنز عن كلام عالم الرياضيات باسكال عن الاختيار الخاطيء للعقيدة من قبل الانسان:

"بحسب عالم الرياضيات الفرنسي الكبير بليز باسكال فإنه مهما قلّت الدلائل على وجود الإله فإنَّ العقوبة التي تنتظر الاختيار الخاطيء هي أكبر. أحكم الطرق هي الايمان بالإله، لأنك لو كنت مصيباً ستربح النعمة الكبرى، ولو كنت مخطئاً فلن يكون هناك فرق. بينما إن لم تؤمن بالإله وكنت مخطئاً فأنت محكوم للعنة أبدية، ولو كنت مصيباً فلن يكون هناك فرق. وعلى ذلك فالقرار لا يحتاج ذكاء، عليك الايمان بالله.

هناك شيء ما مُحيّر بشكل خاص في هذه الحجة. الايمان ليس شيئاً تقرره كالسياسة، وعلى الاقل فأنا لا أستطيع فعله بإرادتي. أشتطيع ان أقرر الذهاب للكنيسة وأستطيع أن أرتل الشهادة، وأستطيع أن أقسم على حفنة الأناجيل بأني اصدق كلّ كلمة فيها. ولكن لا شيء من ذلك يجعلني مؤمناً إنْ لم أكن كذلك. ورهان باسكال ليس أكثر من حجة للتظاهر بالإيمان بالله. والأفضل للإله المزعوم أن لا يكون عالماً بما في الصدور وإلا لأستطاع كشف هذا التحايل"[٢٥٧].

[٢٥٦] مقال بعنوان (نعم... معظم العلماء يؤمنون بالله)، في الموقع الالكتروني أليتيا Aleteia.

[٢٥٧] وهم الإله / دوكنز – ص١٠٦.

وفي هذا النص يخلط دوكنز بين الحجة على وجود الإله وبين اسلوب إذعان الخصم في الحوار. فالمؤمن بعد ان تقوم لديه الحجة بوجود الإله (عزَّ وجلَّ)، يحتج في حواره مع الملحدن حينما يزعم الملحد ان ادلة المؤمن غير ناهضة ولا توجب الايمان بوجود الإله، يقول له المؤمن انه يجدها ادلة ناهضة وصحيحة ومعتبرة، وفي حالة لو أن الذي توصل اليه المؤمن خالف الواقع (والواقع في هذه الفرضية: عدم وجود إله) فلن يخسر المؤمن شيئاً، بينما لو خالف ما يؤمن به الملحدُ الواقعَ (والواقع في هذه الفرضية: صحة وجود إله).

إذن، رهان باسكال لا يعدو كونه اسلوب من اساليب إذعان الخصم، لا اكثر ولا أقل، ويبدو ان دوكنز لم يلاحظ هذه الناحية، فأسرف في انتقاده وتحميله ما لا يحتمل !

ويضيف دوكنز مستشهداً بموقف برتراند راسل وكلامه:

"وما السبب الحقيقي وراء اننا نقبل فكرة بأن الشيء الوحيد الذي يجب أن نفعله لأرضاء الإله هو الإيمان به؟ لماذا هذه الخصوصية للإيمان؟ ألا يجب أن يكافيء الله الطيبة أو الكرم أو التواضع أو الصدق؟ ماذا لو كان الإله عالماً يعتبر الصدق في التحرّي عن الحقيقة حسنة عليا؟ في الحقيقة، ألا يجدر بأن يكون مَنْ صمّم هذا الكون عالماً؟ عندما سُئِلَ بيرتراند راسل عن موقفه بعد الموت والوقوف بين يدي الإله الذي سيسأل راسل عن سبب عدم إيمانه به، كانت إجابة راسل: (عدم كفاية الادلة، يا رب، عدم كفاية الأدلّة) ... ألن يحترم الإله راسل على شكهِ الشجاع هذا"[٢٥٨].

في الكافي رواية ان عبد الاعلى بن اعين سأل الامام جعفر الصادق (عليه السلام): (من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء؟ قال الامام: **(لا)**. ويقصد السائل من لم يعرف شيئاً أيام الجاهلية وقبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله)، ويقول الشيخ محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث: (يعني من لم يعرّفه الله شيئاً من المعارف والأحكام بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، إذ التعريف الأوّلي وهو الذي وقع عند الأخذ بالميثاق لا يستقلُ في المؤاخذة كما قال سبحانه ((وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا)). (هل عليه شيء) من العقائد والأحكام أو من المؤاخذة والآثام، (قال: لا) لأن التكاليف والتأثيم إنما يكونان بعد التعريف وفيه دلالة واضحة على أنَّ من لم تبلغه الدعوة ومن يحذو حذوهم لا يتعلّق به التكليف أصلاً، اما المعارف فلأنها من الله كما عرفت في الباب السابق، وأمّا بالإحكام

[٢٥٨] وهم الإله / دوكنز – ص١٠٧.

فلأنها إنّما تستفاده من البيان النبوي. وفي بعض الروايات دلالة على أنّه يتعلق بهم نوع آخر من التكليف في الآخرة لفمتحان والاختبار لتكميل الحجّة عليهم)[٢٥٩].

وأيضا روى الشيخ الكليني بسنده عن عبد الاعلى بن اعين انه سأل الامام جعفر الصادق (عليه السلام): (أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟)، قال الامام الصادق (عليه السلام): (لا) فقال له: (فهل كلّفوا المعرفة؟) فأجاب الامام الصادق(عليه السلام): (لا، على الله البيان ... لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)، قال ابن اعين: وسالته عن قوله: (وماكان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون)، قال الامام الصادق (عليه السلام): (حتى يعرّفهم ما يرضيه ويسخطه)[٢٦٠].

ويقول الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان): (وقوله ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) إخبار من الله أنه لا يعاقب احداً على معاصيه، حتى يستظهر عليه الحجج وانفاذ الرسل ينبهونه على الحقن ويهدونه إليه ويرشدونه إلى سلوكه، استظهاراً في الحجة، لنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع الى الحق، تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد، وليس في ذلك دلالة على أنه لو لم يبعث رسولاً لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب العبد القبائح العقلية، اللهم إلا أن يفرض أن في بعثه الرسول لطفاً، فإنه لا يحسن من الله تعالى مع ذلك أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يعرفه ما هو لطف له ومصلحة لتزاح علته"[٢٦١].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية: (وقد تسالم الجميع على ان الانسان كائنا من كان، وعلى اي دين كان، لا يستحق العقاب الا بعد قيام الحجة عليه. ولا تقوم الحجة عليه الا بعد استطاعته الوصول الى دليل الحق، وقدرته على العمل به، ومع ذلك تركه من غير مبرر، فإذا لم يوجد على الحق دليل من الاساس، أو وجد، ولكن عجز الانسان عن الوصول اليه، او وصل إليه، وادى حق النظر فيه، حتى بلغ النهاية، ومع ذلك خفي عليه الحق، إذا كان كذلك فهو معذور، لعدم إتمام الحجة عليه، لأن من لم يثبت الحق لديه لا يعاقب على تركه إلا إذا قصّر في البحث. وايضاً من القواعد الرئيسية التي تتصل بهذا البحث قاعدة: (الحدود تدرأ بالشبهات). فلا يجوز لنا أن نحكم على تارك الحق بأنه مجرم يستحق العقاب، ما دمنا نحتمل أن له عذراً في تركه، وهذه القاعدة تنطبق على جميع الناس، لا على المسلمين فحسب، كما انها تشمل جميع الحدود بشتى انواعها. ومثلها قاعدة:

---

[٢٥٩] شرح أصول الكافي / مولى محمد صالح المازندراني – ج٥ ص٦٠.

[٢٦٠] اصول الكافي / الشيخ الكليني – ج١ ص١٦٣.

[٢٦١] التبيان في تفسير القرآن / الشيخ الطوسي ت٤٦٠هـ - ج٦ ص٤٥٧.

(من اخطأ في اجتهاده فخطؤه مغفور له)، وهذه القاعدة عقلية لا يمكن تخصيصها بدين دون دين، أو بمذهب دون مذهب، او بأصل أو بفرع)[٢٦٢].

ولعل فيما ذكرناه جواباً شافياً لدوكنز يبين له ولغيره عظمة الاسلام المحمدي الذي لا يحكم على احد بالضلال واستحقاق جهنم ما لم تقم الحجة عليه. وليعرف الملحد انه ربما يخدع نفسه في الدنيا أو يخدع فيها بعض الناس بزعمه انه بحث في ادلّة وجود إله للكون ولكنه لم يقتنع بذلك بعد ان بذل جهده، فليعلم أن الإله تبارك وتعالى مطّلع على سرائر ويعرف حقيقة ذلك الشخص وهل وصلته المعارف الدينية وقامت عليه الحجة بصورة تامة ام لا. قال تعالى في سورة البقرة: ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)).

حجة باستخدام مبرهنة بايز:

يبدو ان هناك كتاب غير مشهور وكاتب مغمور اثار دوكنز أيّما إثارة لدرجة جعلته يكيل الانتقاد والانتقاص لهذا الكتاب وكاتبه ! ولا نريد ان نسيء الظن بدوكنز ونقول انه يتعمد إيراد "ادلة" هامشية او سطحية على وجود الإله ليسدد لها الطعن والتسخيف، بغية أن يقول للناس: هذه ادلة المؤمنين على هذا النحو من التهافت !!

والملفت للنظر ان دوكنز في أكثر من مرّة يتجنب عرض ادلة المؤمنين بصورة متكاملة، فيتعمد اغفال ذكرها كما هي، وهذا يعكس خشيته من استعراضها بتمامها لأن جوابه ضدها حينئذٍ لن يكون مقنعاً !!

فالكتاب الذي اثار حفيظة دوكنز اسمه (احتمالات الإله The Probability of God) وفيه عنوان ثانوي هو: (رياضيات بسيطة تبرهن الحقيقة الخالدة A Simple Calculation That Proves The Ultimate Truth)، ومؤلّف الكتاب اسمه ستيفان اونوين Stephen Unwin.

[٢٦٢] التفسير الكاشف / الشيخ محمد جواد مغنية – ج٢ ص١٣٨.

والظاهر أنَّ مؤلف هذا الكتاب يستخدم (مبرهنة بايز[٢٦٣] Bayes theorem) الرياضية للأستدلال على وجود الإله، ومن المهم ان نلقي نظرة سريعة على مبرهنة بايز. حيث جاء في موقع (روائع العلوم) تحت عنوان (قانون بايز Bayes لحساب الأحتمالات المشروطة):

"حساب الأحتمالات هو موضوع رياضي سهل ممتنع. فهو بسيط لأن قواعده واضحة وقوانينه بديهية جدا مع ان نتائجها ليست كذلك دائما. وهو فى نفس الوقت صعب لأمرين. الأول: هو أنه يحتاج لأن نصيغ أفكارنا بصورة بسيطة لكن فى نفس الوقت دقيقة جدا. فجمل على وزن انا أفهم لكنى لا أستطيع ان أعبر لا تغنى شيئا. والحقيقة انه من لا يستطيع ان يصف قضية ما كتابة بلغة فصحى سليمة فانه لا يفهمها. الأمر الثانى انه فى حساب الأحتمالات يجب ان يصوم المرء عن استخدام بديهته تماما ويلجأ لتطبيق القوانين بمنهتى التجرد. ولتأتى بما تشاء من النتائج.

وحساب الأحتمالات المشروطة هو ذروة مواضيع حساب الأحتمالات اثارة للارباك. ومثال للاحتمالات المشروطة تلميذ يريد ان يعرف ماهي احتمالات نجاحه فى اختبارات اخر العام بعد أن أتته معلومة انه قد نجح فى مادة الرياضيات. فاذا كنت الرياضيات تشكل مشكلة بالنسبة له فلاشك انه سيشعر بارتياح كبير ويشعر بان احتمالات نجاحه الكلية قد زادت.

وحساب الأحتمالات المشروطة يغطيه قانون يعرف باسم قانون بايز واللذي يحمل أسم مكتشفه توماس بايز Thomas Bayes اللذي أكتشف هذا القانون فى القرن الثامن عشر. ولتوضيح طريقة تطبيق هذا القانون سنمهد له أولا بأربعة نقاط نظرية...

النقطة الأولى هي أن قيمة حساب الأحتمالات هى دائما قيمة تنحصر بين الصفر والواحد. فاذا كانت النتيجة صفر كان معنى هذا انه حدث مستحيل الحدوث. واذا كانت قيمته واحد فهذا معناه أنه حدث أكيد لا مناص منه. ولكنه يكون فى معظم الأحوال بين هاتين القيمتين. مثلا الأحتمال ٠,٥ يعنى ان هذا الحدث سوف يحدث فى نصف المناسبات اللتى ممكن أن يحدث فيها ولن يحدث فى النصف الأخر فى المتوسط.

النقطة الثانية هي أننا نحسب الأحتمالات دائما لأحداث وهذه الكلمة هى جمع "حدث" Event وهذا مصطلح رياضى سأستخدمه هنا على الدوام. كما أن العملية الكلية اللتى

[٢٦٣] هذه النظرية منسوبة للعالم الانكليزي توماس بايز Thomas Bayes (١٧٠١- ١٧٦١).

نحسب من أجلها الاحتمالات نطلق عليها "التجربة" Experiment وهذا أيضا مصطلح رسمي.

النقطة الثالثة هى قانون بايز نفسه. اللذي مفاده لحساب احتمال حدث أول بدلالة حدث ثان قد حدث بالفعل فعلينا أن نقسم قيمة أحتمال حدوث الحدثين الأول والثانى مجتمعين على قيمة أحتمال الحدث الثاني. فلنعود الى مثال التلميذ اللذي يقدر أحتمالات نجاحه فى الرياضيات ب ٠,٥ او ٥٠% . واحتمالات نجاحه فى الأمتحانات جميعها طبعا لايمكن أن تزيد عن ٠,٥ لانها قيمة احتمالات نجاحه فى الرياضيات وحدها. ولنفرض أن احتمالات نجاحه الكلية هي ٠,٤٥ . فهو لا يخشى شيئا بخلاف الرياضيات سوى الفيزياء قليلا. فاذا علم التلميذ انه نجح فى الرياضيات اذن سيكون احتمال نجاحه الكلي يساوى قسمة احتمال نجاحه فى جميع المواد أو ٠,٤٥ على أحتمالات نجاحه فى الرياضيات وهي ٠,٥ فتصبح أحتمالات نجاحه الأن هى ٠,٩ أو ٩٠%! وصياغة القانون الرياضية هى كالتالي:

$$p(C|A)=p(C\&A)/p(A)0$$

حيث ترمز "P" الى الأحتمال وهى مشتقة من الكلمة الأنجليزية Probability و "C"هى الحدث الأول و "A" هى الحدث الثانى والشرطة الرأسية "|" معناها بشرط حدوث و هذه العلامة "&" هى حرف العطف "و"

النقطة الرابعة تتعلق بحساب الاحتمالات فى البسط والمقام فى القانون السابق فنحن فى معظم الاحوال لن نتلقاها هدية .... لكن علينا ان نحسبها بطريقة ما. وهناك تقنية تمكننا من ذلك وهى تقنية التخطيط الشجرى Tree diagram. وفيها نكتب كل الاحداث ممكنة الحدوث كأفرع شجرة. وفلسفة هذه التقنية نعرفها من خلال المتاجر الرقمية على صفحات الأنترنت بل وفي الحياة العامة عموما. فاذا تخيلنا مثلا اننا نريد أن نشترى سيارة فذهبنا الى صاحب معرض سيارات عنده ٥٠ سيارة. ولكى يسهل عليه وعلينا البحث. يسألنا سؤالين. الأول ما هو نوع السيارة اللذي نريده؟ اتوماتيكى أو نقل يدوي؟. وبفرض أنه يمتلك ٢٥ سيارة نقل يدوي و٢٥ نقل أوتوماتيكى فبعد أجابة هذا السؤال يصبح عندنا ٢٥ سيارة فقط. ثم يأتى السؤال الثاني اى لون نريده. فهناك ٥ ألوان لديه: أحمر أخضر ازرق أسود أو باقي الألوان حيث أن صاحب المعرض يمتلك ٥ سيارت

من كل لون ومن ذات طريقة النقل. واذا اردنا شراء سيارتين فاننا بعد أن ننتهى من أختيار السيارة الأولى نعيد نفس الخطوات بالنسبة للسيارة الثانية"[٢٦٤].

ويقول الاستاذ محمد شكري الجماصي:

"إذا وقع الحدث E مع أحد الأحداث الشاملة A1, A2, A3 , ..., An لفضاء عينة S و $P(E) > 0$ فإن:

$$P(A_k / E) = \frac{P(A_k)P(E / A_k)}{\sum_{i=1}^{n} P(A_i)P(E / A_i)}, i = 1,2,3,...,n$$

والنظرية هي أحدى طرق الاستدلال الرياضي حيث يكون لدينا مجتمع أو ظاهرة تتبع توزيع احتمالي معين معتمداً على معلمة ثابتة مجهولة ونريد الحصول على تقدير فترة للمعلمة هذه أو نختبر فرضاً معيناً من خلال بيانات لعينة عشوائية مأخوذة من هذا المجتمع حيث لدينا معلومات احتمالية قبلية (Prior probability) (قبل اخذ العينة) عن هذه المعلمة التي تأخذ قيماً مختلفة لتصبح متغير عشوائي له توزيع احتمالي نحصل عليه باستخدام هذه النظرية، والتوزيع الاحتمالي الناتج بعد أخذ العينة ويعرف بالتوزيع ألبعدي (Posterior distribution) وهو تلخيصاً للبيانات التي نحصل عليها من العينة بالإضافة للمعلومات القبلية مما يمكننا من تقدير هذه المعلمة المجهولة"[٢٦٥].

هذه فكرة مبسطة لمبرهنة بايز، وقد استخدمها ستيفان اونوين في الاستدلال على وجود الخالق، وكان يجدر بدوكنز أن يناقش هذه النظرية رياضياً قبل ان يحاول نقدها ورفضها. فالموضوع تخصصي، وكما انه لا يمكن دحض نظرية التطور البايولوجية لداروين بطريقة رياضية، لإختلاف الموضوعين بإختلاف العِلْمَين، فكذلك لا يمكن دحض نظرية ستيفان اونوين الاحتمالية الرياضية بطريقة اعتباطية ساذجة كما فعل دوكنز العالِم البايولوجي !!

[٢٦٤] الموقع الالكتروني (روائع العلوم) عبر الرابط التالي:
http://eltawil.org/sciencewonders/?m=201602

[٢٦٥] الموقع الالكتروني للاستاذ محمد شكري الجماصي، عبر الرابط التالي:
http://www.jmasi.com/ehsa/prob/bayes.htm

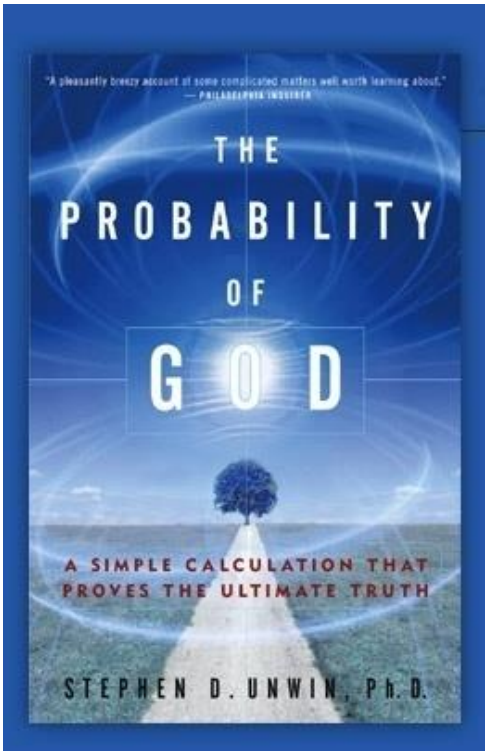

غلاف كتاب "إحتمالات الإله" لـ "ستيفان اونوين"

ودوكنز لا يستعرض فكرته بصورة موضوعية ! بل يذكر فهمه لها بصورة مختصرة جداً !

وإذا كان هذا الكتاب لم ينل رضا دوكنز، لسبب أو لآخر، فإن هناك غيره يحثّون على قرائته، نذكر على سبيل المثال كريغ ووترمان Craig Waterman الذي يصنف نفسه بأنّه لاأدري agnostic، وقد استعرض الكتاب وينصح بقراءته رغم اختلافه معه[٢٦٦].

دوكنز بأسلوبه في التعامل مع كتاب اونوين، يذكرنا بسبب انتقاد الملحد مايكل روز لكتاب دوكنز نفسه – وهم الإله – حيث قال ان هذا الكتاب جعله يخجل من كونه ملحداً لأنه لم يكن منصفاً في استعراض حجج المؤمنين وادلتهم على وجود الإله بل اكتفى بانتقادها فقط !!

ومن الجدير بالذكر ان اونوين ليس وحده من استخدم مبرهنة بايز لأثبات وجود الإله، بل كان الفيلسوف الاخلاقي وعالم الرياضيات ريتشارد برايس Richard Price (١٧٢٣– ١٧٩١) أيضاً

[٢٦٦] للاطلاع على تقييم كريغ ووترمان لهذا الكتاب يمكن الاطلاع على هذا الرابط :

http://chem.tufts.edu/science/Shermer/E-Skeptic/ProbabilityofGod.html

يرى أهميتها. وبرايس هو صديق لبايز، وهو الذي أظهر ورقة بايز التي تحوي نظريته في الاحتمالات، ونشرها وعرضها في اجتماع للجمعية الملكية في سنة ١٧٦٣ أي بعد سنتين من وفاة بايز، وكانت تحت عنوان (مقال لحل مشكلة مذهب الفرص An Essay towards solving a Problem in the Doctrine of Chances). وقد كتب مارتن هوبر Martyn Hooper في مقال بعنوان (ريتشارد برايس، نظرية بايز، والإله Richard Price, Bayes' theorem, and God)[٢٦٧]، عن موقف برايس من نظرية بايز:

"Price believed the essay to be important for what, to him, was the most fundamental reason of all: he believed it could be used to explain the probability of the existence of God".

"برايس آمن باهمية المقال، بالنسبة إليه، والسبب الاساسي أنه آمن بإمكانية استعماله في توضيح احتمالية وجود الإله".

ومن الواضح ان استعمال برايس واونوين لمبرهنة برايز للدلالة على وجود الإله هو استعمال تخصصي ضمن مجال الرياضيات، فهو دليل وحجة غير عامة، لا يفهمها عموم الناس، وتتطلب ذهناً بخلفية رياضية، ولذلك هي لا تصلح لأن تكون دليلاً علماً لكل البشر، وانوين وبرايس لم يقولا ذلك، غير أن دوكنز حشرها في الأدلة العامة على وجود الإله، وهذا استعمال في غير محلّه. كما أنه كان يجدر بدوكنز أن يناقش مبرهنة بايز من حيث دلالتها على وجود الإله بصورة أكثر جدّية، بعيداً عن الاستعراض السطحي لها والتهكم والسخرية !

ومن المفيد بل الاصح ان يستدل كل ذي علم بعلمه على وجود الإله، لأن دلائل وجوده متعددة، منها الدلائل العامة ومنها الدلائل الخاصة بكل علم. ومن هذا القبيل الدراسة الاستدلالية لعالم الرياضيات والفلكي الفرنسي جان موران Jean Morin[٢٦٨](١٥٨٣- ١٦٥٦) على معرفة وجود الإله، وهي "براهين موران" التي نشرها جوزيف إيفانسكي في باريس عام ١٩٣٦[٢٦٩]. وهي براهين قائمة على اسس منطقية وعقلية ورياضية، تذكرنا بأسلوب علم الكلام عند المتكلمين المسلمين.

---

[٢٦٧] يمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: https://www.york.ac.uk/depts/maths/histstat/price.pdf

[٢٦٨] يعرف أيضاً بأسمه اللاتيني مورينوس Morinus.

[٢٦٩] مقال بعنوان (البرهان الرياضي على المعرفة بوجود الله عند جان موران)، بقلم عزمي إسلام، استاذ الفلسفة بجامعة الكويت، منشور في مجلة عالم الفكر التي تصدر عن وزارة الاعلام في الكويت، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث، اكتوبر- نوفمبر- ديسمبر ١٩٨٨.

وهكذا انتهى الفصل الثالث ولم يستعرض فيه دوكنز أية حجّة من حجج المؤمنين القائلين بوجود إله، بصورة منصفة وكاملة وتامة وموضوعية كما يعتقدونها وكما يفكرون بها ويذكرونها في مؤلفاتهم ومصادرهم !!؟ أين هو الانصاف إذن أيها الملحد دوكنز !!

الفصل الرابع

يبتديء دوكنز الفصل الرابع بمقولة لـ "توماس جفرسون" Thomas Jefferson (١٧٤٣– ١٨٢٦) وهو احد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، وكان ربوبياً ولم يكن ملحداً. وكونه مؤسس دولة او رمز وطني لدولة ما او حتى لو افترضنا انه عالم او طبيب او أي شيء آخر، فهذا لا يعني انه بمجرد ذلك يمكن ان يكون لكلامه وزن آخر أو أن يحظى بالاصغاء بدون مبرر عقلاني !

تقول مقولة جفرسون:

"رجال الدين من مختلف الطوائف يعانون من تقدم العلم كما يعاني السحرة من موعد شروق الشمس، ويعبسون في وجه تلك الإطلالة التي تعلنهم بأن تلك الوهام التي يعتاشون عليها في طريقها للزوال"[٢٧٠] !

وإذا أردنا ان نتمعن في كلام جفرسون لوجدنا انه لا رجال الدين من مختلف الطوائف يعانون من تقدم العلم، ولا السحرة يعانون من شروق الشمس ! ولو كانت السينما قد اخترعت في زمن جفرسون لقلنا انه متأثر بأفلام مصاصي الدماء، ولكن مهلاً، حيث ان خرافات مصاصي الدماء كانت معروفة في عصر جيفرسون، حيث تذكر موسوعة الويكيبيديا:

"وقد تمت ولادة شخصية مصاص دماء الساحرة للجماهير (الكاريزمية)، ومتطورة في الخيال الحديث في عام ١٨١٩ مع نشر مصاص الدماء لمؤلفها جون بوليدوري.وكانت القصة ناجحة إلى أقصى حد، ويمكن القول إن ذلك العمل مصاص الدماء كان الأكثر تأثيرًا في أوائل القرن التاسع عشر" ... "ويعزي قاموس أكسفورد الإنجليزي إلى أن أول ظهور للكلمة الإنجليزية مصاصي الدماء (مصاص الدماء) في اللغة الإنجليزية إلى عام ١٧٣٤، في الرحلة بعنوان سفر ثلاث سادة إنجليز نشرت في منوعات هارلين (بالإنجليزية The Harleian Miscellany) في عام ١٧٤٥"[٢٧١].

---

[٢٧٠] وهم الإله / دوكنز – ص١١٣.

[٢٧١] الموقع الالكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحت عنوان: (مصاص دماء).

فمصاص الدماء هو الذي يعاني من شروق الشمس وليس الساحر كما ذكر جيفرسون الذي يبدو انه لم يكن يعرف ما يقول !! فلماذا يعاني السحرة من شروق الشمس ؟! فالسحرة لكي يقوموا باعمالهم الشيطانية يحتاجون ساعات معينة من الليل يسمونها ساعات الشر إذا كان السحر اسود من قبيل إيذاء شخص او تسليط شيطان او مرض على انسان في مقابل ساعات اخرى في نفس الليلة تسمى ساعات الخير فيما اذا كان السحر لعمل جلب الحبيب او عقد لسان أو كتابة اوفاق إلخ، فمعاناة الساحر تكمن فيما لو انتهت ساعة الشر او الخير في نفس الليلة ولم يكن قد انهى سحره. فلا علاقة لنهاية الليل بمعاناة الساحر. إنما نهاية الليل تجلب المعاناة لمصاصي الدماء بحسب الاساطير والحكايات الخرافية المتداولة والتي يؤسس جفرسون دوكنز عليها افكاره!

وأيضاً، فليس كل رجال الدين يعانون من تقدم العلم، كما زعم جيفرسون، ففي الاسلام هناك حث أكيد على طلب العلم. ولذلك تجد الكثير جداً من المسلمين من العلماء في مختلف صنوف العلم وهم في نفس الوقت متدينون من مختلف المذاهب الاسلامية، مما يكشف إن العلم وطلبه هو شيء أصيل في الاسلام ولا يتقاطع معه.

في امالي الشيخ الصدوق، بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة، وأنَّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به و إنه ليستغفر لطالب العلم من في السماء و من في الأرض حتى الحوت في البحر و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر و إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما و لكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر).

وأيضاً الأمالي للصدوق: في خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد فوت النبي صلى الله عليه واله: (ولا كنز أنفع من العلم).

عن كتاب الأمالي للشيخ الطوسي ان العالم اللغوي الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي كان يقول: "أحث كلمة على طلب علم قول علي بن أبي طالب (عليه السلام): (قدر كل امرئ ما يحسن)".

وعن كتاب الأمالي للصدوق: "عن ابن نباتة قال قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد و تعليمه لمن لا يعلمه صدقة و هو أنيس في الوحشة و صاحب في الوحدة و سلاح على الأعداء و زين الأخلاء يرفع الله به أقواما يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ترمق أعمالهم و تقتبس آثارهم ترغب الملائكة في خلتهم يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم لأن العلم حياة القلوب و نور الأبصار من العمى و قوة الأبدان من الضعف و ينزل الله حامله منازل الأبرار و يمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا و الآخرة بالعلم يطاع الله و يعبد و بالعلم يعرف الله و يوحد و بالعلم توصل الأرحام و به يعرف الحلال و الحرام و العلم إمام العقل و العقل تابعه يلهمه الله السعداء و يحرمه الأشقياء)".

وعن كتاب الخصال: "عن ابن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه واله): (فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة و أفضل دينكم الورع)".

نعم قد تكون هناك معاناة من رجال الدين المسيحيون والكنيسة في العصور السالفة بسبب تقدم العلوم، وهذا الامر لا يُنكَر، ولعل قصة حياة غاليلو تكشف عن جانب مهم من ذلك. وكذلك نجد عن المذهب السلفي الوهابي انهم لحد عصرنا هذا بل يومنا هذا ينكرون كروية الارض ودورانها حول الشمس ! وهنا تبرز ضرورة البحث عن الدين الاصيل، الدين الذي انزله الله (تبارك وتعالى)، الدين الذي لم يصبه التحريف والتزييف.

وسواء كان جفرسون مسيحياً أو ملحداً او ربوبياً، فهو يمتلك تأريخاً سيئاً جداً لا إنسانياً، تجعل من المستغرب ان يستشهد دوكنز بكلامه، إلا ربما من قبيل المثل القائل: (شبيه الشيء منجذب إليه) فجفرسون هو اول رئيس امريكي اسس لإبادة الهنود الحمر !! ولعل دوكنز أيضاً يحلم بإبادة المؤمنين بالاديان وبوجود إله !

"كان جيفرسون أول رئيس يقترح فكرة وضع خطة لإزالة الهنود الحمر رسميا. غالبا ما يتم نسب الفضل بشكل خاطئ إلى أندرو جاكسون بخصوص مشروع إزالة الهنود، وذلك لأن الكونغرس أصدر قانون القضاء على الهنود في عام ١٨٣٠، خلال فترة رئاسته، وأيضا بسبب مشاركته الشخصية في عمليات الإبادة الجماعية القوية وإزالة العديد من القبائل الشرقية. ولكن جاكسون كان يقوم مجرد بتقنين وتنفيذ خطة وضعت من قبل

جيفرسون في سلسلة من الرسائل الخاصة التي بدأت في عام ١٨٠٣ (على سبيل المثال، انظر الرسالة إلى وليام هنري هاريسون ...). اقتراحات جيفرسون الأولى بإزالة الهنود كانت ما بين ١٧٧٦ و ١٧٧٩، عندما أوصى بإجبار قبائل الشيروكي والشوني بأن يطردوا من ديارهم إلى أراضي أجدادهم غرب نهر المسيسبي. أول عمل له من هذا القبيل كرئيسا للبلاد، كان حين ابرم اتفاق مع ولاية جورجيا على أنه إذا تم التراجع عن المطالبات القانونية لاكتشاف الأراضي الغربية، سوف يقوم الجيش الأمريكي بطرد شعب الشيروكي من جورجيا بالقوة. في ذلك الوقت، كانت قبائل الشيروكي لديها معاهدة مع حكومة الولايات المتحدة التي تكفل لهم الحق في أراضيهم، والتي انتهكها جيفرسون في اتفاقه مع جورجيا"... "كانت خطة جيفرسون الاصلية للهنود الحمر أن يتخلوا عن ثقافاتهم الخاصة، والأديان، وأنماط الحياة لصالح الثقافة الأوروبية الغربية، والدين المسيحي، ونمط الحياة المستقر الزراعى"... "كان جيفرسون يعتقد أن الاستيعاب أفضل للهنود، والخطوة الثانية كانت الانتقال إلى الغرب. وأسوأ نتيجة ممكن أن تحدث هي إذا ما هاجم الهنود البيض.[٩٣] لقد قال لوزير الحرب، الجنرال هنري ديربورن (الذي كان المسؤول الأعلى للشؤون الهندية) : "إذا كنا مقيدين برفع الأحقاد ضد أي قبيلة، نحن لن نضعها حتى يتم إبادة القبيلة، أو دفعها لما وراء الميسيسيبي"[٢٧٢].

وقد اطلنا في التحدث عن جفرسون، بعض الشيء، لكون دوكنز يذكره ويستشهد به في اكثر من موضع في كتابه !

طائرة البوينغ ٧٤٧ الكبرى:

في هذه الفقرة، يريد دوكنز أن يبين ان إلحاده لا يقوم على فكرة نشوء الكون صدفة، وبذلك لا يمكن ان يحتج عليه المؤمنون بالخلق بأنه لا توجد إحتمالية معقولة لنشوء الكون صدفة، ولا يصح الاحتجاج عليه بهذا الاحتجاج من وجهة نظره، لأنه يؤمن بأن الحياة ظهرت من خلال التطور

[٢٧٢] الموقع الالكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحت عنوان: (توماس جفرسون).

بالتمايزات والانتخاب الطبيعي، وليس صدفة، كما أنّه ينظّر الى إمكانية نشوء الكون كله، أكرر: "نشوء الكون كلّه": من خلال الانتخاب الطبيعي !! فيقول:

"اللااحتمالية هي الحجة الكبرى والتقليدية للمؤمنين بنظرية الخلق، وهي ببساطة أشهر حُجّة تقدم هذه الأيام عن وجود الإله، وتعتبر، للدهشة العظيمة، من قبل العديد جداً من المؤمنين بالإله، بأنها كاملة ومقنعة تماماً. انها بالتأكيد حجة قوية، واتصور أنها غير قابلة للنقض، ولكن بعكس الاتجاه الذي يراه المؤمنون تماماً. فحجة اللااحتمالية في الواقع لو نشرت بشكل صحيح فإنها تبرهن أن الإله غير موجود. والأسم الذي اخترته لأثبات احصائياً بأن الإله غير موجود هو حجة طائرة البوينغ ٧٤٧ الكبرى. الأسم جاء من المقارنة اللطيفة التي اتى بها فريد هويل عن طائرة البوينغ ٧٤٧ وكومة الخردة" ..."هويل قال بأن احتمال نشوء الحياة على كوكب الأرض ليس أكثر من احتمال مرور اعصار يعصف في كومة خردة، ولحسن حظهُ يقوم بتركيب طائرة بوينغ ٧٤٧. وآخرون استعاروا هذا التشبيه ليشيروا الى مواضيع التطور للأجسام الحيّة المعقدة، مع كل التزوير للحقيقة. الاحتمالات ضد تشكيل حصان كامل بكل قواه، أو حتى بعوضة أو نعامة من جراء خلط الاجزاء المختلفة ليصادف نفس فرصة أحتمالات الـ ٧٤٧. تلك الحجة بإختصار، هي المفضلة عند الخلوقيين – حجة تطرح فقط من شخص لا يفهم أبسط الأشياء عن الانتخاب الطبيعي: شخص يظن بأن الانتخاب الطبيعي هو نظرية الصدف بينما هي – بهذا المعنى للحظ – تعني العكس تماماً"[٢٧٣].

ومن المهم ان نفصل الامور لتسهيل البيان وتوضيحه. فأن المواضيع التي يختلف حولها المؤمنون بالخلق والملحدون هي: نشوء الكون، ونشوء الحياة ، ونظرية التطور. وهذه ثلاثة مواضيع منفصلة، من حيث الادلة. فنشوء الكون يتعلق في كيفية ظهور المادة الى عالم الوجود ، وكيفية ظهور المكان الذي احتوى المادة، وهل الكون نشأ بفعل إله عليم وقدير ام نشأ تلقائياً كما يزعم بعض الملحدين، او أن المادة ازلية كما يزعم ملحدون آخرون ! وهنا يبرز احتجاج المؤمنين بلا احتمالية نشوء الكون بتصميمه الدقيق والعجيب من لا شيء. كيف يمكن ظهور هذا الاعجاز تلقائياً أو ذاتياً ! هذا امر غير محتمل وغير معقول.

وأما نشوء الحياة فيتعلّق بفرضية الملحدين بأن الحياة كلها ظهرت بظهور خليّة واحدة على ساحل مياه بحيرة او محيط او نهر لا يهم. فالمؤمنون يقولون بإستحالة ظهور الحياة بصورة تلقائية بدون

[٢٧٣] وهم الإله / دوكنز – ص١١٤.

تدخل إله عليم وقدير، وان احتمال ظهورها بصورة تلقائية غير ممكن، فهو احتمال مستحيل، بينما الملحدون يصرّون على تلك الاحتمالية ويرونها مقبولة !! وفي الموضوع تفصيل معمق حول الظروف التي اجتمعت بحسب ادعاء الملحدين والتي يقول المؤمنون بالخلق باستحالة اجتماعها جميعها فلا احتمالية في ذلك.

واما نظرية التطور فهي التي تتحدث عن تطور تلك الخلية الحية المفردة عبر ملايين ملايين السنين لتظهر منها ملايين الانواع المختلفة من الكائنات الحية المعروفة قديما وحديثاً عبر مبدأ البقاء للأصلح وفرضية ظهور التمايزات والانتخاب الطبيعي، وهو الامر الذي يؤمن به الملحدون!! بينما المؤمنون يقولون انه لا يمكن للخلية الحية ولا للكائنات الحية ان تتطور تلقائياً نتيجة تمايزات مفترضة وانتخاب طبيعي لم يثبت وجوده بصورة تجريبية.

فصفات الانتخاب الطبيعي كما يتصورها دوكنز:

> "الانتخاب الطبيعي هو صانع ساعات اعمى اعمى لأنه لا يرى اماماً ، ولا يخطط النتائج ، وليس له هدف يراه. على ان النتائج الحية للانتخاب الطبيعي تحدث فينا انطباعاً دامغاً بأن فيه مظهر للتصميم والتخطيط"[٢٧٤].

وهذا الوصف للانتخاب الطبيعي سبق ان بينا انه مخالف لمفهوم داروين للانتخاب الطبيعي الذي يعتبر الانتخاب الطبيعي فقط يحافظ على التمايزات التي تظهر، أي فقط يحافظ على النتائج التي تنتج من التطور ويراكمها، بينما دوكنز يعطي له دوراً انتاجياً فيشبهه بأنه كـ (صانع ساعات اعمى)، وحتى وفق مفهوم دوكنز فلا يمكن تقبل هذا المفهوم للانتخاب الطبيعي، لأنه بالاضافة الى كونه لا يمكن اثباته بصورة علمية تجريبية، فهو يحتاج ملايين السنوات لتظهر نتائجه، فأيضاً لا يصح ان يقال عنه بانه فقط كصانع ساعات اعمى بل كصانع ساعات جاهل بكل شيء بالاضافة الى كونه اعمى ! والبديهية العقلية تقول: (فاقد الشيء لا يعطيه)، فكيف تتقبل عقول الملحدين ان مكوناً جاهلاً واعمى ليس له هدف يمكن ان ينتج هذه الكائنات بتركيبها العجيب والفريد !!

---

[٢٧٤] الجديد في الانتخاب الطبيعي / ريتشارد دوكنز – ص٤٥.

ومن جهة اخرى يغفل الملحدون عن التطرق اليها وهي ان تطور الخلية قد يستغرق ملايين السنين، فكيف تمكنت تلك الخلية الاولى من البقاء والعمر الطويل دون تكاثر (جنسي او لا جنسي) وسط الظروف البيئية غير المؤاتية غالباً لبقائها الطويل، وبدون ان تحصل على الغذاء ! لأنه وفقاً لنظرية التطور تستغرق عملية حصولها على الغذاء عبر التمايزات والانتخاب الطبيعي ملايين السنين، أي انها بقيت ملايين السنين دون غذاء الى ان ظهر التمايز الاول الذي ربما مكنها من الحصول على الغذاء!!؟ وفضلاً عن ذلك فهل وجدت الغذاء المناسب لها بسهولة !!! وكيف بقيت على قيد الحياة ولا يمكن لها ان تشكِّل ادوات للحركة والاستشعار الا بعد تطور مفترض يستغرق ملايين السنين، وبعد ذلك قد تتمكن من العثور على الغذاء المناسب لها !!!؟؟ وأيضاً فإنَّ تكاثرها إنما يتم عبر نظرية التطور! والذي يحتاج ملايين السنين !! هذا امر مستحيل الاحتمال، ولذلك لا تجد ان علماء التطور قد تحدثوا عن عمر الخلية الاولى الذي استغرقته قبل ان تتمكن من التطور ثم الحصول على الغذاء والتكاثر، ولم يذكروا متى ماتت تلك الخلية !!! هم لا يجرؤون على الخوض في هذا الجانب لانه يفند إمكانية التطور الفعلي والواقعي إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار هذه الجوانب. إذ أنه من البديهي أنه لا ضمان انها في تلك الظروف الصعبة بقت على قيد الحياة ملايين السنين الى ان حدث التطور الذي اكسبها القابلية على تناول الغذاء والتكاثر !!؟ فلا يمكن ان تكون هناك حياة وتطور بلا غذاء وبلا تكاثر وبلا امكانيات لمقاومة الظروف الطبيعية الصعبة التي قد تؤدي الى الموت، طيلة ملايين السنين. هذا من اوضح الواضحات.

فحينما يقول دوكنز ان نشوء الكون او بداية الحياة او ظهور التطور إنما نشأ بالانتخاب الطبيعي وليس بالصدفة، فهذا يعني أنّه يقدم نظرية لا تقل سوءاً في قبولها من نظرية الصدفة والاحتمالات !

هكذا يريد دوكنز ان يقنعنا بأن هذا الكون الفريد التصميم انما انتجه صانع اعمى بل صانع جاهل اعمى فاقد للهدف !! فما هو مصدر هذا الصانع الجاهل الاعمى الفاقد الهدف ، ومن الذي وضع في المادة الحيّة خاصيتي التمايز والانتخاب الطبيعي؟!! لا احد من التطوريين يمكنه ان يجيب !!

والان يمكننا ان نذكر التساؤل التالي: بخصوص الخلية الحيّة الاولى المفترضة، ما هي اولوياتها؟ هل ان اولوياتها هو تناول الغذاء ام التكاثر ام التطور؟ هل تناولت الغذاء لتتمكن من التكاثر او التطور، ام تكاثرت لتتمكن من التطور ؟ ام تطورت لتتمكن من التناول الغذاء والتكاثر؟ وهل يمكن

للكائن الحي ان يتطور باحثاً عن الغذاء فكيف تتطور خلاياه المفتقرة للغذاء ولا طاقة في جسد الخليّة تمكنها من التطور ؟!!

هم يريدون ان نصدق ان الصانع الجاهل الاعمى الفاقد للهدف يسعى نحو الكمال بصورة اعتباطية سفيهة ! فعند دوكنز أن السفاهة يمكن ان تنتج الكمال !!؟ والكمال هنا بمعنى القدرة على البقاء !؟ فالصانع السفيه الاعمى الفاقد للهدف يتكامل دون ان يدري ودون ان يقصد ذلك !! انه يتطور تلقائياً ذاتياً دون وعي طلباً للبقاء من دون ان يطلب البقاء ! تصوروا ان ذلك الانتخاب الطبيعي الجاهل الاعمى الفاقد للهدف، غير الواعي، يزرع فينا الوعي !! فهل ان فاقد الشيء يعطيه ام لا يعطيه ايها الملحدون ؟؟؟

ومن المفيد ان نعلم ان داروين هو اول من اعترض على امثال دوكنز الذين يعطون للانتخاب الطبيعي مثل هذا المفهوم المغالى فيه، حيث يقول:

"العديد من الكتّاب قد اخطأوا الفهم أو اعترضوا على مصطلح (الانتخاب الطبيعي) وبعضهم وصل الى أنه تخيّل أن الانتقاء الطبيعي يسبب التمايز، مع انه لا يتضمن إلا الحفاظ فقط على مثل هذه التمايزات كما تظهر، وكانت مفيدة للكائن تحت تأثير ظروف حياته"[٢٧٥].

إذن دوكنز يضع لنفسه مفهوماً خاصاً للانتخاب الطبيعي، وإذا كان داروين قد وضع مفهوم الانتخاب الطبيعي بمعنى محافظته على التمايز، أي محافظته على نتائج التطور، فإن دوكنز وملحدين آخرين يريدون ان يستثمروا المصطلح ويضعوا له أبعاداً جديدة عسى ان تخرجهم من ورطتهم بغية تفسير كيفية نشوء الكون والحياة، حيث يعجز الملحدون لحد الان عن إيجاد نظرية مقنعة تدعم إلحادهم او حتى قرائن تؤيد توجههم الإلحادي. يقول دوكنز ضمن هذا الاطار حول علاقة موهومة بين الانتخاب الطبيعي ونشوء الكون:

"على الرغم من أن نظرية الانتخاب الطبيعي محصورة بتفسير العالم الحي فإن باستطاعتها ان ترفع مستوى الوعي للادراك والقابلية للمقارنة عندنا مما يساعد على فهم الكون نفسه"[٢٧٦].

---

[٢٧٥] اصل الانواع / تشارلز داروين – ص١٧١.

[٢٧٦] وهم الاله / ريتشارد دوكنز – ص٥.

"وعلى الرغم من ان الداروينية لا تتعلق بشكل مباشر بعالم الأشياء الجامدة، كعلم الكون مثلاً، فإنها ترفع مستوى الوعي عندنا خارج نطاق مجالاتها المحصورة بالبيولوجيا"[٢٧٧].

نعود الى دوكنز وكلامه عن الاحتماليّة وطائرة البوينغ ٧٤٧ ! حيث يقول:

"اختلاس الخلوقيين لحجة اللااحتمالية له نفس الشكل دائماً، وخيار الخلوقيين بإظهارها بلباقة في زي (التصميم الذكي) لا يشكل أي فرق" ... "ويتم اتهام الداروينيون بمحاولة الحصول على شيء من لا شيء. وفي الواقع، ... فإنَّ الانتخاب الطبيعي لداروين هو الحل الوحيد المعروف للأحجية المستحيلة الحل بأي طريقة أخرى عن موضوع من أين أتت المعلومات. والحل يوضح بأن دعاة فرضية الإله هم الذين يحاولون الحصول على شيء من لا شيء... ومهما كان الموضوع الذي تحاول تفسير حدوثه بربطه بالمُصمم قليل احتمال الحدوث احصائياً، فإنَّ المُصمم نفسه يجب أن يكون قليل الاحتمال على الاقل بنفس النسبة. الإله هو البوينغ ٧٤٧ الكبرى"[٢٧٨].

يريد دوكنز أن يقول بأنه مادامت الاشياء لااحتمالية أي أن حدوثها لا يمكن ان يكون من خلال احتمالية معينة، فهي من وجهة نظر المؤمنين بالخلق الذين يسميهم الخلوقيين يجب أن تظهر من خلال "التصميم الذكي" أي وجود إله عليم وحكيم وقدير قد خلقها على هذا النحو من التصميم الذكي بل الأكثر من عبقري. إذن اللاإحتمالية تعني عدم وجود الصدفة، ولاسيما فيما يخص الاشياء المعقدة التركيب. فاللاإحتمالية تعني التصميم الذكي، والمؤمنون بالخلق يقولون أنه مادام الكون مركباً تركيباً معقداً وفق قوانين بالغة الدقة والتعقيد فمن غير الممكن ان يكون ظهوره نتيجة صدفة، وكذلك الامر بالنسبة لنشوء الخلية الحيّة الاولى التي يدّعي الملحدون وجودها وانها مصدر الحياة ومنها تفرعت الانواع وتطورت، يقول المؤمنون ان العوامل والظروف التي يقال انها اجتمعت لتشكيل الخليّة الحيّة الاولى لا يمكن ان تتوفر في وقت واحد بسبب تعقيدها ودقتها وتصميمها الفريد، ولذلك لا يمكن ان تنشأ تلك الخلية من خلال الصدفة.

---

[٢٧٧] وهم الاله / دوكنز – ص١١٥.

[٢٧٨] المصدر السابق – ص١١٤ و١١٥.

اما قول دوكنز أنَّ الإله هو البوينغ ٧٤٧ فيقصد به عن كيفية ظهور الإله، ويتصور انه بذلك يملك حجة على الإلحاد !! حيث يتصور انه كما ان تشكيل وظهور طائرة البوينغ ٧٤٧ لا يمكن إلا من خلال تصميم ذكي، فكذلك الإله الذي يخلق الكائنات المعقدة يجب ان يكون هو أيضاً على هذا المستوى من التعقيد ليتمكن من خلقها بهذه الصورة ! وخطأ دوكنز واضح لأنه يقارن المخلوق المادي بخالقه اللامادي. الخالق المجرّد، المنزّه عن المادة والمكان والزمان، والذي لا يمكن تصوره بأي شكل من الاشكال، فكل ما نتصوره له من صورة او نتخيله له من خيال، فهو (سبحانه وتعالى) غير ذلك. كما إننا نقول بأن الإله هو علم وهو حكمة وهو قدرة، وهذه هي العقيدة الاسلامية المحمّديّة ، حيث نقول أن صفات الله (عزَّ وجلَّ) هي عين ذاته. فذاته المقدسة هي الحياة والعلم والحكمة والقدرة والصبر والبصر والسمع والإدراك. وهي مع ذلك ذات بسيطة غير مركّبة، كما قال سبحانه وتعالى: ((قل هو الله احد الله الصمد)). فذات الإله، وكلّه ذات (جلَّ وعلا)، ليست مركّبة ليصح ان يقال عنها انها لااحتمالية فيجب ان نعرف كيف تم تصميمها! حاشا لله ان تكون هذه عقيدتنا. فدوكنز يفترض صفات للإله لا نعرفها، كصفة التركيب. ولو كان الإله مركباً من أجزاء لكان كل جزء مفتقر للآخر، ومن يكون مفتقراً لسواه لا يمكن أن يكون إلهاً. ومن يحتاج الأجزاء لتتركب وتكوّنه لا يمكن أن يكون إلهاً. سبحانه الغني عن كل شيء.

ان دوكنز لا يستطيع ان يفهم او لا يريد ان يفهم ان وجود الإله أزلي وأبدي، ونحن نقول لدوكنز ولبقية الملحدين ان هناك امراً آخر لن تتمكن عقولهم ان تستوعبه وهو ان الإله موجود وجوداً أزلياً وابدياً قبل وجود المكان، وانه هو الذي خلق المكان. فإذا كانت عقول الملحدين لن تتمكن من ادراك هذه الحقيقة او تصورها او تخيلها وهي ان الإله موجود في اللامكان، فكيف يريدون ان يتعقلوا الوجود الازلي والابدي له سبحانه وتعالى نفسه !! كيف سيمكنهم تعقّل انه موجود دائماً وابداً ؟!! الإله ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) كما يصف نفسه في القرآن الكريم، فهو ليس شخصاً ولا بهيئة انسان ولا بصورته، كما يتخيل بعض المسيحيين وكذلك بعض السلفية من المسلمين، الإله (تبارك وتعالى) ليس كمثله شيء، وفي الرواية الشريفة ان كل ما تتخيله انه هو الإله فهو غيره.

فننصح دوكنز وبقية الملحدين ان لا يتعبوا انفسهم بسؤال: من خلق إلإله؟ لانهم سيعجزون عن تصور وتعقّل اللامكان الذي فيه الإله فكيف يريدون ان يتعقّلوا الإله نفسه!!؟ انهم يعجزون عن تعقل قضية ماديّة هي اللامكان أي انعدام المكان، فكيف يريدون ان يتمكنوا من تعقّل الوجود

الإلهي الابدي والأزلي الذي هو مختلف تماماً عن عالم المادة وما يمكن ان تدركه الحواس الانسانية والعقل البشري ؟؟

الانتخاب الطبيعي والوعي:

كل ما يتحدث به دوكنز في هذه الفقرة هو لغرض:

"شرح إمكانية ظهور أنظمة معقدة من أشكال بدائية دون هدف مقصود. والفهم الكامل للإنتخاب الطبيعي يشجعنا أن نطبقه بجرأة في فروع أخرى"[٢٧٩] !

وفي الحقيقة فإن ما يريد دوكنز ان يفعله ليس رفعاً للوعي بل تسافلاً به ! فحينما يريد من القاريء ان يقتنع بأن تنازع البقاء يدفع الكائن الحي لاتباع اسلوب يسميه الانتخاب الطبيعي وهو اسلوب جاهل اعمى خالي من الاهداف، ومع ذلك يريد ان يقنعنا بانه قادر على انشاء كائنات معقدة بتصميم فائق الذكاء والعبقرية. هذا ليس رفعاً للوعي بل هو يقودنا للتصديق بشيء مماثل للتصديق بالخرافات والاساطير، بالساحرات التي تطير على المكناسة، وطائر العنقاء، ومصاص الدماء إلخ.

ولا يكتفي دوكنز بمحاولة نشر الاستغباء بذريعة الانتخاب الطبيعي، بل يريد ان ينشر الى جانبه الاستحمار أيضاً بقوله بإمكانية ان يستخدم مفهوم الانتخاب الطبيعي ليس ضمن عالم البيولوجيا حيث الكائنات الحيّة ومزاعم التطور، بل يريد أن يدعه يتوغل حيث الفيزياء والحقول المعرفية الأخرى. حيث يزعم ان رفع الوعي بالانتخاب الطبيعي يمكن الشخص من ان يفسر نشوء الكون والمجرات والنجوم والكواكب والثقوب السوداء من خلال الانتخاب الطبيعي !! إنّه استحمار وأيُّ استحمار !!! ويستشهد دوكنز بكلام فيزيائي ملحد آخر اسمه ليونارد سوسكيند الذي يقول:

"أنا لست عالم بالتاريخ ولكنني سأغامر بإعطاء رأيي: لقد بدأ علم الفلك الحديث في الحقيقة مع داروين ووالاس، بخلاف كل من سبقهم، فإنهم قدمو شرحاً لوجودنا نقض كل أشكال

[٢٧٩] وهم الإله / دوكنز – ص١١٧.

الغيبيات الأخرى. لقد وضع داروين ووالآس معاييراً ليس فقط لعلم الاحياء ولكن في علم الفلك أيضاً"[٢٨٠].

وقد يكفي لدحض وتفنيد الافكار الاستحمارية لدوكنز بالتأكيد على القواعد الفكرية العقلية البديهية والاساسية الراسخة في الوعي الانساني، من قبيل (استحالة الجمع بين المتناقضين) وان (الاثنين اكبر من الواحد) إلخ، التي هي قواعد فطرية راسخة في العقل الانساني، من قبيل مزاعمه بأن الانتخاب الطبيعي الجاهل واللاهادف ينتج العلم والتصميم الذكي التي تتعارض مع القاعدة العقلية: (فاقد الشيء لا يعطيه)!

إنَّ اسلوب دوكنز يذكرني بالمثل الشعبي العراقي: (شَيّم العُرْبِي، وأخذ عباته)، أي تحدث مع الانسان البسيط بمعسول الكلام وارفع من شأنه بحلو الكلام ومنمّقه، لتتمكن من أخذ عبائته وممتلكاته برغبته وسذاجته ! وهذا بالضبط ما يفعله دوكنز حينما يمتدح من يؤمنون بالانتخاب الطبيعي انهم تمكنوا من رفع وعيهم ! ومن يرتد للإلحاد بأنه تمكن من رفع وعيه ! وأيضاً يذكرني دوكنز بكتاب علي شريعتي: (النباهة والاستحمار)، فدوكنز يريد ان يقود عقل الانسان ليخرجه من النباهة الى الاستحمار!! يقول علي شريعتي:

"إنَّ أي قضية، فلسفية كانت أو علمية أو فنيّة، وحتى لو كانت قضية تقدم المجتمع والحياة، فإنها إذا كانت منحرفة عن (النباهة الانسانية) و(النباهة الاجتماعية) تظل دعوة كاذبة غاشمة مزورة، عاقبتها الغفلة والذل والعبودية" ... "فمعنى الاستحمار إذاً في تزييف ذهن الانسان، ونباهته وشعوره، وتغيير مسيره عن (النباهة الانسانية) و(النباهة الاجتماعية). وأي دافع لتحريف الفرد أو اتلجماعة عن هاتين النباعتين، أو ابعد منهما، هو دافع استحمار، وإنْ كان من أكثر الدوافع قدسية !"[٢٨١].

"للاستحمار شكلان: مباشر، وغير مباشر. فالمباشر منه، عبارة عن تحريك الأذهان الى الجهل والغفلة، أو سوقها الى الضلال والانحراف"[٢٨٢].

---

[٢٨٠] وهم الإله / دوكنز – ص١١٩.

[٢٨١] النباهة والاستحمار / علي شريعتي - ص٤٣ و٤٤.

[٢٨٢] المصدر السابق – ص٦٩.

كما يذكرني بقول السيد الخميني في كتابه (كشف الاسرار) إذ يقول:

"عفارم على هذا التلاعب والشعبذة حيث ربطتم في أسطر بين أشياء لا ربط بينها ولفتّم أنظار الناس بعدة أكاذيب وافتراءات ألم تحتملوا أن يأتي شخص يستنطقكم"[٢٨٣]... "تفٍ عليك أيها"[٢٨٤].

وفي ختام هذه الفقرة يتحدث دوكنز عن إنَّ بعض الاشخاص يحاولون الجمع بين الدين والانتخاب الطبيعي، بأن يقولوا ان الإله هو من خلق الانتخاب الطبيعي، وان الحياة تمشي وفق هذا الاطار والسياق الذي وضعه الإله لها ! وينبري دوكنز للتعليق على هذا بقوله انه يعني:

"التقليل من كمية العمل للإله ... حتى ينتهي بعمل لاشيء على الاطلاق، وبذلك يمكنه تفادي هذا الازعاج بأن لا يكلف نفسه عناء وجوده اساساً"[٢٨٥].

لا يتمكن دوكنز إلا ان يفكر في الإله من منظور مادّي ! فهو يتصور الإله وكأنه كالانسان لديه عمل ، وان عمله سوف يقل بعدما وضع قوانيناً تدير الكون، كقوانين الفيزياء ونظرية التطور عبر الانتخاب الطبيعي !!

دوكنز يجهل ثلاثة قضايا مرتبطة بهذه النقطة التي نناقشها، الاول ان المخلوقات تحتاج الخالق حتى بعد خلقها، والقوانين التي يخلقها الإله والتي يسير عليها الكون تحتاجه لدوام استمرارية عملها، وهذا معنى قيومية الإله (تبارك وتعالى). والثاني ان عملية الخلق مستمرة، في عوالم لا يعلمها الا الإله، والثالث ان هناك شؤوناً للإله (سبحانه وتعالى) لا يعلمها الا هو (جلَّ جلاله).

فأما قيومية الإله التي من الواضح ان دوكنز يجهلها، فيقول أبن ميثم البحراني بخصوصها:

---

[٢٨٣] كشف الاسرار / السيد الخميني / - ص١٠٧.

[٢٨٤] المصدر السابق - ص١٠٨.

[٢٨٥] وهم الإله / دوكنز – ص١٢٠.

"وإذ ثبت أنّه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت أنّ به قوام كل شيء ثبت أنّه القيّوم المطلق. إذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزماً هذا الوصف"[٢٨٦].

وقد ناقش العلماء المسلمون هذه القضية بصورة مطولة ومعمقة، وأثبتوا ان بقاء العالم واستمرارية وديمومته، يحتاج الى وجود الخالق ورعايته. وهذا يعني ان الإله (عزَّ وجلَّ) هو خالق العالم، كما أنَّ العالم يحتاجه في بقائه، في كل لحظاته وساعاته وايامه وكل ما هو أكبر من ذلك او اقل من الزمان.

قال العلامة الحلّي (رضوان الله عليه):

"وصفه تعالى بكونه واجب الوجود يقتضي وصفه بكونه قيّوماً بمعنى أنّه قائم بذاته ومقيم لغيره، لأنّ وجوب الوجود يقتضي استغناءه عن غيره وهو معنى قيامه بذاته ويقتضي استناد غيره إليه وهو المعنى بكونه مقيماً لغيره"[٢٨٧].

وقال العلّامة الحلّي أيضاً:

"المنقول عن بعض الناس استغناء المعلول بعد حدوثه عن علّته، حتى انها لو عدمت ما ضرّ وجوده، ويجعلون حاجة الاثر الى المؤثر إنما هي في حدوثه لا في وجوده، .... وهذا غلط فاحش، فإنَّ المعلول بعد وجوده ممكن، فلا بدّ له من مؤثر، فبيّنوا حاجته الى المؤثر حالتي حدوثه وبقائه، فإنه بعد الحدوث لو كان واجباً لذاته ، لم يكن حادثاً ولا ممكناً. وإن كان وجود مستفاداً من صفته التي هي الحدوث مع أن الحدوث قد بطل حالةَ البقاء، فيبطل الوجوب. وإن جُعِلَ الحدوث (كون الشيء قد حصل بعد عدمه) فهو صفة الماهية، إن لزمت الماهية لذاتها، كان وجود الوجود لازماً للماهية، وإن حدثت مع الوجود، فيكون الكلام فيها كالكلام في الماهية. فلا بدّ من انتهاء الوجوب الى شيء خارج عن

[٢٨٦] شرح نهج البلاغة / ابن ميثم البحراني – ج٣ ص٥١.

[٢٨٧] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد / العلامة الحلي – ص٤١٦.

الماهية. على أنّ الحادث هو الموجود بعد أن لم يكن، فليس للفاعل تأثير في أنّه بعد أن لم يكن، فإنّ ذلك واجب للحادث، وإنّما تأثيره في الوجود"[٢٨٨].

مشكلة دوكنز وبقية الملحدين انهم لا يملكون الوعي الخاص بعلم المنطق والقضايا العقلية، ولذلك تجدونهم كحاطب ليل، يرمون الشبهات ويميناً ويساراً ولا يعرفون ان هذه الشبهات قد تصدى لها علماء المسلمين قبل مئات السنين، وفندوها بالاستناد الى الاسس العقلية والمنطقية.

إذن لا يوجد هناك إله فراغات ولن يوجد، مهما بلغ التقدم العلمي، ومهما عرف الانسان من تفسيرات لقوانين الطبيعة حوله، ومهما حدث تطور ومعرفة في الفيزياء والبايولوجي والجيولوجي وغيرها من العلوم، لأن الإله ليس فقط أداة يستخدمها الانسان لتفسير الموجودات وظهورها وعملها، بل هو القيّوم على كل الكائنات، ولولا وجود الإله لما وُجِدَ شيء، ولولا قيومية الإله لما بقي شيء بعد خلقه وحدوثه.

وأيضاً من وجهة نظر دينية، فقد أخبرنا الإله (عزَّ أسمه) ان له شؤون في كل اوقاتنا، رغم إننا قد لا ندركها لأن عقولنا غير مهيّأة لأستيعابها وتعقلها، كما انها لا تستطيع ان تستوعب أو تتعقل كنه ذاته المقدسة، تبارك وتعالى. قال تعالى: ((يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ))[٢٨٩]. والآية الكريمة يمكن ان تكشف أيضاً عن أن الكون يحتاج الإله (سبحانه وتعالى) ليس فقط لدوام وجوده وليس فقط لشؤون إلهية لا نعرفها، بل العالم يحتاجه لأن العالم فقير إليه يحتاجه في استجابة دعائه وتغيير مقدراته، ويؤكده قوله تعالى في سورة الرعد: ((يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))، فبالاضافة الى المعنى الذي ذكرناه فهذا يكشف عن بطلان نظرية الحتمية التي يؤمن بها بعض علماء الفيزياء كأينشتاين وهوكينغ ودوكنز وغيرهم.

وليطمئن دوكنز فالمؤمنون لا يقتنعون بأوهام اسمها "الانتخاب الطبيعي" وربما يجادل بعضهم بان يقول ان الانتخاب الطبيعي على فرض صحته فلا مانع من ان الإله هو الذي خلقه بكل تأكيد لأن كل شيء في الكون هو من خلق الإله.

---

[٢٨٨] الاسرار الخفية في العلوم العقلية / العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي - ص٥٠٩ و٥١٠.

[٢٨٩] القرآن الكريم، سورة الرحمن جلَّ جلاله، الآية ٢٩.

إنَّ جميع ما في الكون قد خلقه الإله ووضع قوانينه وقواعده، ما نعلمه منها وما لا نعلمه. وكل القوانين التي نعرفها، كقانون الجاذبية والديناميكيا وغيرها، نحن نقول بأن الله تبارك وتعالى هو خالقها، وهي تعمل بأمره وإذنه. وأنه لولا إرادة الله (عزَّ وجلَّ) لما اصبح شيء من هذه القوانين فعالاً. والقرآن الكريم يروي كيف ان النار التي طبيعتها الاحراق، ولا يمكن ان ينفك عنها طبعها، اصبحت برداً وسلاماً على ابراهيم الخليل (عليه السلام) عندما امرها الله (سبحانه وتعالى) بذلك، قال تعالى: ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)).

واما استمرارية الخلق، فهو امر واضح فالكائنات الحية في تكاثر مستمر، والكون في توسع باعتراف علماء الفلك، وما يجري في عوالم الملائكة والجن لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى.

واما ان للإله شؤوناً لا يعلمها الا هو (تبارك وتعالى) فهذا امر مؤكد، فمن جهة لقوله تعالى: ((كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ))[٢٩٠]. ومن جهة اخرى فمن الامور السائغة والمقبولة عقلاً أن يكون للإله العظيم القدير العليم الحكيم، شؤونا لا تدركها او لا تعلمها عقولنا.

ولا يفوتنا ان نؤكد على ان النزاع الرئيسي مع الملحدين ليس حول التطور والانتخاب الطبيعي كما يحلو لدوكنز ان يصوره من خلال كتابه هذا، بل النزاع معهم هو نزاع عام حول ثلاثة قضايا رئيسية:

١. ظهور المادة.
٢. ظهور المكان الذي احتوى المادة.
٣. ظهور الحياة.

وبعد اجابة الملحدين عن هذه الاسئلة الثلاثة، يمكن ان نناقش هل حدث الانتخاب الطبيعي بصورة فعلية وواقعية ام انه من خيالات وظنون داروين! وهل ان الانتخاب الطبيعي بفرض وجوده الواقعي حدث بأمر الإله ام ان الكائنات الحيّة من تلقاء نفسها سلكت سلوك الانتخاب الطبيعي الذي يصفه دوكنز بأنه اعمى وليس له هدف، والذي بفضل ما به من عمى وفقدان للهدف انتج هذا التعقيد

[٢٩٠] القرآن الكريم، سورة الرحمن (سبحانه وتعالى)، الآية ٢٩.

الفريد في الكائنات الحيّة وتنوعها !!؟؟ حقاً انها مهزلة ان يؤمن انسان بما يؤمن به دوكنز،،، مهزلة عقل بشري!

التعقيد الغير قابل للنقض:

يقول دوكنز:

"التصميم الذكي ليس البديل الصحيح للصدفة. الانتخاب الطبيعي ليس فقط حلاً أقتصادياً معقولاً وأنيقاً فقط، بل أنه الحل الفعال الوحيد الذي تم طرحه حتى الآن كبديل للصدفة المُقتَرحة منذ الازل. التصميم الذكي يعاني من نفس مشاكل فرضية الصدفة. ببساطة هو ليس حلاً معقولاً لمشكلة اللاإحتمالية العالية. فكُلّما علا مستوى اللاإحتمالية، كلما أصبحت نظرية التصميم أقل إحتمالية، بل أنه سيقوم بمضاعفة المشكلة من الاساس. ومرة اخرى المشكلة التي يثيرها المُصمم نفسه (أو نفسها) هي أكبر وكيف وجدَ أساساً"[٢٩١].

إذن دوكنز يريد ان يفهم كيف وُجِدَ الإله مع أنه لا يعترض عندما يزعم بعض الملحدين ان المادة ازلية ! هو يقبل بوجود شيء أزلي لكنه يرفض ان يكون ذلك الازلي إله !! هو لا يمكنه ان يستوعب ان يكون هناك (لا مكان) قبل خلق العالم، ويتطاول ليدعي انه يريد ان يعرف كيف وُجِدَ إله العالم وخالقه! لن تعرف يا دوكنز لأن وجوده الدائم الأزلي والأبدي هو امر فوق تصور العقل البشري وإدراكه. مطلقاً لن يمكن لعقل بشري أن يدرك كنه الذات الإلهية.

والعجيب أن دوكنز نفسه يعترف في كتابه الآخر (صانع الساعات الاعمى) بأن العقل البشري مصمم لعدم القدرة على فهم بعض القضايا، مثل الداروينية ! فإذا كان فهم التطور غير ممكن من قبل العقل البشري، من وجهة نظر دوكنز، فكيف يريد ان يفهم الوجود الأزلي للإله العظيم ؟!!

يقول دوكنز في كتابه (صانع الساعات الاعمى):

"يكاد يكون الأمر كما لو كان المخ البشري قد صُمِّمَ على وجه خاص ليسيء فهم الداروينية، وليجدها مما يصعب الايمان به"... " وثمة طريقة أخرى يبدو أنها تجعلنا معرضين لعدم

[٢٩١] وهم الإله / دوكنز – ص١٢١.

الايمان بالداروينية، وهي أن امخاخنا قد بُنِيَتْ للتعامل مع أحداث ذات (مقاييس زمنية) تختلف جذرياً عن تلك التي تميّز التغير التطوري"[٢٩٢].

فما هذه الازدواجية التي يعاني منها دوكنز حينما يعترف بقصور الفهم البشري على قضايا معينة مرتبطة بعالَم المادة، ثم يطلب فهم اعظم ما في الوجود بل سيّد الوجود وخالقه العظيم !

إنها نفس الدوافع التي دفعته للإلحاد هي التي تدفعه لجحود الايمان بوجود إله أزلي لا يمكنه فهم كنهه وذاته المقدسة.

ويحاول دوكنز ان يميّز بين الانتخاب الطبيعي وبين الصدفة ! فيرفض الصدفة ويرشح ان يكون الانتخاب الطبيعي بديلاً لها !

"لو كنتَ تظن بأن الصدفة هي البديل الوحيد للتصميم، فالاجابة لا" ... "التصميم ليس البديل الوحيد للصدفة. الانتخاب الطبيعي هو البديل الافضل"[٢٩٣].

إذن يرى دوكنز ان الانتخاب الطبيعي، عديم الهدف، يمكنه ان يصمم الكائنات المعقدة بتمام وكمال، أفضل من الايمان بإله صمم الكون تصميماً ذكياً فريداً! لأنه يمكنه ان يسأل: "من خلق الإله؟ لكنه لن يحتاج أن يسأل: "من خلق الانتخاب الطبيعي؟" !!! فهل فعلاً نحن لا نحتاج للسؤال عمّن خلق الانتخاب الطبيعي ؟! بالحقيقة نحن لا نحتاج هذا السؤال فقط بل نحتاج الى جانبه الاسئلة التالية بناءاً على فرضية الملحدين الرافضة لوجود الإله:

س١ – كيف خُلِقَتْ المادة؟

س٢– كيف خُلِقَ المكان الذي يحتوي المادة؟

س٣– كيف ظهرت الخلية الحية الاولى التي يفترضون ظهورها والتي منها تطورت جميع الكائنات الحيّة؟

---

[٢٩٢] صانع الساعات الاعمى / ريتشارد دوكنز - ص١٦.

[٢٩٣] وهم الاله / دوكنز – ص١٢٢.

فهذه الاسئلة الثلاثة عن (أصل المادة وأصل الحياة وأصل المكان الذي احتواهما) يعجز الملحدون عن الإجابة عنها. وربما يقول الملحدون ان العلم في المستقبل ربما سيتطور للإجابة عن هذه الأسئلة ! إذن أيها الملحدون اتركوا إلحادكم الى ان يحين الوقت للإجابة عن هذه الأسئلة. فليس لديكم الحق في إعلان الإلحاد ما دام الجهل يغلف عقولكم.

كما اننا نطالب دوكنز وبقية الملحدين التطوريين بالإجابة عن السؤال حول كيفية امتلاك المادة الحيّة لخاصية الانتخاب الطبيعي؟ ومن الذي اوجد هذه الخاصية في المادة الحيّة؟ طبعاً من غير المعقول أن يُقال بأن الانتخاب الطبيعي اوجد نفسه !!

ويختم دوكنز فقرة كتابه هذه بكلام يكشف من خلاله جهله العميق بمعنى الإله وكيف يكون وما هي صفاته ! فهو يحول جرّ الصفات الإلهية نحو "ضفة التشبيه ورمال التركيب" بمعنى أنه يريد أن يفرض على الإله صفات من عنده متعلقة بالتشبيه والتركيب، والمقصود بالتشبيه هو تشبيه الإله بالانسان او بمخلوقاته، ويضيف لتشبيهه صفة التركيب ! فيقول:

> "بالرغم من أن التعقيد الغير قابل للاختزال من الممكن أن يُسبب إنهيار نظرية داروين لو وُجِدَ، فإنها ستؤدي لأنهيار نظرية الخلق أيضاً؟ وبالتأكيد فقد تحطمت نظرية التصميم الذكي، ومرّة أخرى أكرر السبب، ألا وهو، مهما كانت معرفتنا قليلة عن ماهيّة الإله، فإننا نستطيع أن نتأكد بأنه على درجة عالية من التعقيد وبالتالي متعذر الاختزال أيضاً"[٢٩٤] !!

وبالرغم من ان الاسلام ليس في عقيدته ان الإله مركب من اجزاء– حتى يمكن حينئذٍ ان نقول هل هو قابل للاختزال ام لا حسب دعوى دوكنز!! – فإنّ دوكنز لم يفهم ذلك، لم يحاول البحث في الاديان وفهم الاسلام وعقيدته وصفات الإله من خلاله.

إذن دوكنز يجحد دينا لم يحاول فهمه !!

فسبق وأن قلنا ان الإله (تبارك وتعالى) بسيط، بمعنى أنه غير مركّب، وانه لو كان مركبّاً لكان في احتياج لأجزاءه، والمحتاج فقير، والفقير لا يمكن ان يكون أزلياً، أي لا يمكن أن يكون إلهاً. فالقضية محسومة سلفاً، فمادام هناك إله، وقد ثبت ذلك بلا أدنى شك، فيحتم وجود الإله ان يكون

---

[٢٩٤] وهم الإله / دوكنز – ص١٢٦ و١٢٧.

بسيطاً غير مركباً. فلا اختزال ولا تعقيد، بل إله قدير. وعلى دوكنز أن يراجع حساباته جيداً قبل ان تأتيه الآخرة... ((فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)).

لعبة الحلقة المفقودة:

يقول دوكنز:

"أحد الآثار السيئة للدين هو تعليمنا بأن التسليم بالاشياء التي لا نفهمها هو صفة حميدة"[٢٩٥].

لا يفوتنا مدى التشويش الموجود في هذه العبارة على حقيقة الطبيعة البشرية ! فالانسان بحكم طبيعته وتركيبه العقلي يخضع للواقع وإنْ لم يفهم أسبابه. فالانسان يعترف بوجود الجاذبية في الكرة الارضية ليس لأن نيوتن اكتشف قانونها فقط بل لأنها واقع يومي مستمر وملموس، وهو يؤمن بها وإن لم يكتشف لحد الان على نحو جازم طبيعة قوة الجاذبية ولا تكوينها.

فالخطأ الذي وقع فيه دوكنز هو انه ربط بين التسليم للاشياء وفهمها ! بينما الصحيح هو ان يربط بين التسليم للاشياء وواقعيتها، أي وجودها حقيقة في ارض الواقع.

ولو تأملنا في العلوم والطبيعة، لوجدنا ان غالبية القضايا الجوهرية هي غير مفهومة بالنسبة للعلماء خصوصاً وللبشر عموماً غير ان عدم فهمها لا يسوّغ إنكارها أو جحود وجدوها. فكم من امر كان في العصور الماضية موجود وغير مفهوم اصبح في عصرنا مفهوماً.

فالدين لا يدعوا الانسان للإذعان بلا فهم، فهذه آيات القرآن الكريم تدعوا الانسان للتفكر والتدبر، في الكون والطبيعة والانسان. عدا امرين أثنين فقط لا يمكن للانسان ان يفهمهما على نحو الاحاطة، وعليه حينئذٍ الاذعان لوجودهما وواقعيتهما بحسب الادلة عليهما، وهما: كنه الذات الالهية المقدسة، والمعجزات.

---

[٢٩٥] وهم الإله / دوكنز – ص١٢٧.

فأما ما يخص المعجزات، فقد رافقت بعثة الانبياء والرسل (صلوات الله عليهم) معجزات في غاية التعقيد لدرجة انه لا يمكن لبشر الاتيان بمثلها كدليل على وجود الخالق وانه هو من بعث اولئك الانبياء والرسل (عليهم السلام). ولا يمكن للعقل البشري بحسب تكوينه وطبيعته، ان يفهم كيف تأسست المعجزة او ما هي قوانينها وما هو كُنهُها. وهنا لا بد للانسان ان يؤمن بلا فهم، لأن الفهم متعذر عليه بعد ان كانت المعجزة امراً واقعياً حقيقياً.

وإذا كانت العقل الانساني لا يمكنه إدراك كنه المعجزة فكيف سيمكنه إدراك كنه صانع المعجزة !! فإذا كانت المعجزة وهي الامر المادي مستحيلة فهم كنهها، فمن باب أولى ان يكون صانع المعجزة، الإله العليّ العظيم، الذي هو ليس بمادة، وهو الازلي، وهو الموجود دائماً وابداً، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، أن يكون متعذراً على العقل البشري فهم كنهه.

اما فيما عدا كنه الذات الالهية المقدسة، في عالم الغيب، وكنه المعجزات في عالمنا المادي، فكل شيء في العالم المادي، من الناحية النظرية يمكن ان يكون مفهوماً، بتقدم العلوم وتطور الحضارات البشرية ومكتشفاتها.

إذن يمكن تلخيص ما يجب على الانسان الايمان به وإن لم يفهم كنهه، بالتالي:

١. كنه الذات الالهية المقدسة، والتي يتعذر على الانسان وكذلك يتعذر على الملائكة والجن، وكافة المخلوقات إدراك كنهها، لأن طبيعة المخلوق المحدود انه لا يمكنه إدراك غير المخلوق وغير المحدود. بل ان العقل البشري لا يمكنه ادراك كنه الوجود الازلي، فكيف سيمكنه إدراك الموجود الازلي أي الله تبارك وتعالى.
٢. كنه المخلوقات غير المادية. كالملائكة والجن. لأسباب "تقنية" أو"فنيّة" إذا صح التعبير. لأن العقل البشري المادي لا يمكنه فهم كنه ما هو غير مادي.
٣. كنه المعجزات المادية.

فبخصوص هذه الامور الثلاثة فقط يطلب الدين من الانسان ان يؤمن بها وإنْ لم ولن يتمكن من فهمها يوماً.

نعم ربما تأثر دوكنز بالفكر المسيحي الذي يقدم الايمان على التعقل والفهم، فيطلب القس من اتباعه الايمان ثم الفهم، وانهم لا يفهموا حتى يؤمنوا !! وهذا الامر لا علاقة للمسلمين به، ولا

يؤيدونه، ولا يصححونه. بل القرآن الكريم والسنة الشريفة المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة الاطهار (عليهم السلام) جميعها تحث على ان يكون الايمان مبنياً التعقل والفهم. ولذلك فعند الشيعة الامامية انه في اعتناق العقيدة لا يصح التقليد فيها، فالتقليد عند المؤمنين الشيعة يكون في الفقه، الذي هو قضية تخصصية نهض لها العلماء ليتخصصوا بها ويرشدوا البخرين لأحكامها. اما على المستوى العقائدي، حيث الايمان بالتوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد، فلا يصح للمؤمن ان يقلد عالم الدين بها، بل يمكنه ان يستعرض ادلته ويمحصها ويقتنع بما يراه مناسباً بعد بذل الجهد في الفهم والتدبّر.

يقول دوكنز:

"من غير المنطقي تماماً المطالبة بتوثيق كامل لكل خطوة في أي حدث متغير، سواء في التطور أو أي علم آخر. لأنه في هذه الحالة يمكنك المطالبة أيضاً، وقبل ادانة شخص ما بجريمة قتل، بتسجيل فلمي كامل لكل خطوة قبل حصول الجريمة، وبدون أي انقطاع. نسبة ضئيلة من الجثث تتحجر، ونُعتبَر محظوظين لوجود هذا العدد من المتحجرات بين ايدينا. وبالامكان بسهولة ان لا يكون هناك أي متحجرات بالمرة، ورغم ذلك فأن لدينا العديد من الادلة عن التطور من مصادر اخرى، كالمورثات الجزيئية والتوزع الجغرافي، شديدة القوة بشكل كبير. مع ذلك فإن نظرية التطور تتنبأ بأنه لو ظهرت متحجرة وحيدة في العصر الجيولوجي الخاطيء، فإن النظرية تنهار برمتها. وعندما سُأل أحد اتباع بوبر عن ما يلزم لتقويض نظرية التطور كانت اجابة ج. ب. س. هالدان: (متحجرة لأرنب تعود للعصر يسبق عصر الكامبري). لم توجد حتى الان متحجرة كتلك مما يُعترف به، على الرغم من كل اساطير الخلوقيين الغير موثوق بها عن جماجم بشرية في طبقات الفحم الحجري وآثار اقدام بشرية جنباً الى جنب لآثار الديناصورات"[٢٩٦].

مخيّبٌ للآمال اسلوب دوكنز فهو في هذه الفقرة كعازف نشاز يبدأ بنغمة وينشّز باخرى ! ففي بداية الفقرة يقول ان عدد المتحجرات قليل لأن نسبة ضيلة من الجثث الكائنات الحيّة تتحجّر، ثم يعود

[٢٩٦] وهم الإله / دوكنز – ص١٢٩.

ليقول ان الدليل على ابطال التطور هو العثور على متحجر بمواصفات معينة ! أي ببساطة يقول انه من شبه المستحيل العثور على دليل لنقض التطور من خلال المتحجرات ! إذن ما على الملحد سوى ان يفترض فرضية لا يقدر على الاتيان بدليل يؤيدها من المتحجرات لأن المتحجرات قليلة، ثم يعلن ان نقض نظريته التي ليس عليها دليل هو بالاتيان بدليل من شبه المستحيل العثور عليه ! فإذا كان العقلاء وأهل العلم يقولون (البينة على من ادعى) فدوكنز هنا يقول (لا بينة على من ادعى) لان عدد المتحجرات قليل. واذا قلنا حسناً (لا بينة على من ادعى) إذن فنظرية التطور باطلة بلا بينة من متحجرات فيقول دوكنز: هذا غير صحيح لأنه لا بد من بينة على الادعاء ! نشاز في نشاز. طبعاً اهل العلم يذكرون ادلة عديدة على بطلان نظرية التطور، وانما ذكرنا هنا انه (لا بينة على من ادعى) من باب المجارات لبيان اخطاء تفكير دوكنز... وصدق الله العليّ العظيم القائل: ((فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)).

ثم يذكر دوكنز دليلاً على صحة التطور مأخوذ من كتاب (سبع أفكار تلميحية لأصل الحياة) لكاتبه كايرنسميث، ومع ذلك فهو نفسه يذكر الدليل بنحو الاحتمال فيقول : (ربما) ! هذه الـ (ربما) يريد دوكنز ان تكون السند والعون لصحة نظرية التطور، بلا دليل ولا اثبات ، فقط (ربما)، يقول دوكنز:

"يطرح الكاتب كايرنسميث نقطة إضافية. بإستعمال التشبيه بالطوق المقوس. طوق مبني من حجارة مأخوذة من مقلع حجري ولا يُمكن ان يكون الطوق بناء هندسياً مستقراً لو كان بنائاً عادياً. ولكنه تعقيد متعذر الاختزال: وسينهار برفع أي حجرة منه. كيف بني إذن؟ إحدى الطرق تكون بصف كومة من الاحجار تحت القبة ومن ثم رفعها واحداً بعد الآخر. وبشكل عام، هناك العديد من التركيبات البنائية المتعذرة الاختزال بمعنى انها لا يُمكن ان تبقى بعد انقاص أي جزء منها، بنيت بمساعدة السقالة التي رفعت لاحقاً ولم تعد مرئية. وعندما يكتمل البناء يمكن رفع السقالة بأمان ويبقى البناء ثابتاً. وكذلك الامر في

التطور، ربما يكون العضو الذي تنظر اليه الآن قد كان مُرفقاً بسقالة من نوع ما عند أجداده، والتي رُفِعَتْ ولم تعد مرئية"[٢٩٧].

هكذا يبني على احتمالية مجهولة لاثبات صحة التطور ! مع ان الموضوع في التطور مخالف تماماً لمثال القوس الحجري والسقالة. ولنقرب الفكرة اكثر نقول: ان الخلية الحية الاولى التي تزعمون انها ظهرت صدفة ومن ثم تطورت عبر ملايين السنين الى الكائنات الحية الحالية بفضل عوامل عدة معقدة تزعمون ان احدها هو الانتخاب الطبيعي، هذه الخلية الحية كانت بسيطة جداً اول ظهورها، فكيف تمكنت تلك الخلية الحية ان تبقى على قيد الحياة بلا غذاء ! ولملايين السنين ! ثم تطورت لتظهر داخلها اجهزة تمكنها من الحصول على الغذاء من محيطها بفعل الانتخاب الطبيعي الذي يراكم التمايزات عبر ملايين السنين!! إذن الخلية الحية التي تمكنت ان تبقى على قيد الحياة لملايين السنين بدون غذاء وبعد ان تمكنت ان تبني اجهزة غذائية، بعد ذلك، اصبح للخلية الحيّة القابلية على الموت بعد فترة قصيرة جداً فيما اذا لم تجد الغذاء !! وبهذا تكون الخلية قد سارت عكس التطور، لانه اساء اليها فجعلها تموت بسبب عجزها عن الحصول عن الغذاء بعدما كانت قبل تدخل التطور تتمكن ان تبقى ملايين السنين على قيد الحياة !! هذا هو احد الاشكالات التي تبين استحالة نظرية التطور ونشوء الكائنات الحية من خلية واحدة. وهذا هو نموذج لمصطلح (التعقيد المتعذر الاختزال) الذي يعني ان وجود التعقيد في الكائنات الحية والذي يتعذر معه اختزال او حذف اي جزء منه ليستمر بالبقاء على قيد الحياة، فهذا يدل على انه لا يمكن ظهور ذلك الكائن الحي الا من خلال الخلق، ولا يمكن ظهوره من خلال التطور. فالنموذج الذي ذكرناه إضافة الى انه يبين ان عمل التطور هو بالضد من مصلحة الخلية حيث احوجها الى الغذاء للبقاء حيّة بعدما كانت تتمكن من البقاء لملايين السنين بدونه بحسب فرضيتهم.

فالتعقيد القابل للاختزال هو ان تتمكن الخلية من التخلي عن الجهاز الذي يمكنها من الحصول على الغذاء. وحيث انه لابد من وجود جهاز هضمي مع ظهور الكائن الحي بصورة متزامنة مع وجوده فهذا يعني ان ذلك الكائن الحيّ ذو تعقيد متعذر الاختزال ولا يمكن ظهوره الا من خلال الخلق بجميع اجهزته.

---

[٢٩٧] وهم الإله / دوكنز – ص١٣١.

ويعود دوكنز ليتهم الاديان بأنها لا تهتم بالعلم والتطور والاكتشافات وانه لو بقي الامر عليها لما حصل تطور علمي في حياة الانسان! ورغم ان كلامه هذا واضح التهافت لكن لننقله حيث انه يخلط بين تطور الجهاز المناعي للانسان مع تطور الانسان وبقية الكائنات الحيّة وفق نظرية داروين ! يقول دوكنز بعدما ذكر ان البروفيسور مايكل بيهي هو موجد مصطلح (التعقيد المتعذر الاختزال) عام ١٩٩٦م، قال ناقلاً كلام شخص اسمه اريك روتشيلد وصفه بأنه رئيس المستشارين قال بعدما ذكر البروفيسور بيهي انه لم يقرأ البحوث الـ ٥٨ التي كتبها علماء آخرون عن المناعة لانها ليست ذات قيمة، فقال روتشيلد:

"ما يستحق الامتنان ان هناك علماء يبحثون عن أجوبة لأصل الجهاز المناعي ... أنه دفاعنا ضد الضعف والاوبئة المميئة. من كتب تلك الكتب والمقالات من العلماء يكدحون في مختبراتهم بدون حملات دعائية أو خطابات مدفوعة الثمن. جهودهم تساعدنا على محاربة وشفاء حالات طبية جدية. على العكس من ذلك فإن البروفيسور بيهي وكل حركة التصميم الذكي لا يفعلون أي شيء لدفع العلم أو المعرفة الطبية للامام ويقولون للاجيال المستقبلية من العلماء، لا تزعجوا انفسكم"[٢٩٨].

ثم يستطرد دوكنز ليقول:

"وكما قال عالم الجينات الامريكي جيري كوين في مراجعته لكتاب بيهي: (لو اراد تأريخ العلم ان يقول لنا شيئاً واحداً فسيقول بأننا لم نكن لنكتشف أي شيء لو وضعنا لافتة "الله" على المواضيع التي نجهلها"[٢٩٩].

انها الفرصة الذهبية للملحدين ليتصيدوا أخطاء عالمٍ ما او ليقتنصوا خطأً ما في موقفه او كلامه ليعتبروا ذلك الخطأ خطأ الاديان جميعها !! ولكن لا يمكن ان يتمكن الملحدون من ان يجحدوا مهما كانوا جاحدين دور العلماء المؤمنين المسلمين في تطور العلوم ولاسيما العلوم الطبية وغيرها في العصور الاسلامية حينما كانت اوربا تقبع في الجهل والتخلف والظلام. وسبق ان قلنا (اعرف

---

[٢٩٨] وهم الإله / دوكنز – ص١٣٥.

[٢٩٩] المصدر السابق – ص١٣٥.

الحق تعرف اهله). فلا يعرف الحق بالرجال، بل الرجال بالحق، ولذلك لا يمكن ان يقتنصوا موقفاً جزئياً صغيراً للبروفيسور بيهي أو غيره ليجعلوه معبراً عن الاديان السماوية جميعهاً بكافة ! هذا ليس من الانصاف في شيء. ويكفي ان نبين شدّة التلاصق بين العلماء المسلمين والتطور العلمي والحضاري ان نذكر اسم الشيخ الخواجة نصير الدين الطوسي (متوفى ٦٧٢هـ – ١٢٧٤م) للتأكيد على هذا الجانب المهم، ولمن يرغب بالمزيد في هذا الجانب يمكنه مراجعة الكتاب الالماني (Allahs Sonne über dem Abendland) وترجمته (شمس الله تشرق على الغرب) مؤلفته المستشرقة الالمانية سيغريد هونكه، وطُبِعَتْ ترجمته العربية تارة تحت نفس العنوان وهو بترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي، وتارة بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) بترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي. ليتبين له فضل العلماء المسلمين الذين نشأوا في بيئة دينية لتغزوا علومهم اوربا وتنيرها في تلك الفترة التي كانت التخلف والجهل يغلف اوربا ومجتمعاتها.

وضمن نفس الاطار ننقل بعض ما جاء في ويكيبيديا الموسوعة الحرة:

"ساهم العالم الإسلامي بمساهمات عظيمة الجبر والخيمياء والكيمياء والجيولوجيا حساب المثلثات الكروي، وغيرها، ومنه انتقلت إلى الغرب. ترجم ستيفن البيزي عام ١١٢٧، كتيبًا عربيًا حول النظرية الطبية إلى اللاتينية. طوّر الخوارزمي (من اسمه اشتقت كلمة "خوارزمية") طريقة لأداء العمليات الحسابية باستخدام الأرقام العربية في القرن التاسع، والتي نقلها ليوناردو فيبوناتشي إلى أوروبا. كما ترجم روبرت من شيستر كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي نحو عام ١١٤٥.

كانت لابن الهيثم مؤلفات في علم البصريات، اعتمد عليها إسحاق نيوتن ورينيه ديكارت كمصادر في أبحاثهم. وكانت أيضًا العلوم الطبية متطورة للغاية عند المسلمين، بشهادة المشاركون في الحملات الصليبية، الذين اعتمدوا على الأطباء العرب في أكثر من مناسبة، كما ذكر جان دي جوانفيل أنه تم إنقاذه على يد طبيب مسلم عام ١٢٥٠. اهتم الأوروبيون بالفلسفة الإغريقية والنصوص العلمية (وبالأخص المجسطي) التي لم تكن متواجده باللاتينية في غرب أوروبا، ولكنها حفظت وترجمت إلى العربية في العالم الإسلامي. ويقال أن جيراردو الكريموني رحل إلى طليطلة وتعلم العربية "لحبه للمجسطي"، وهناك استغل "وفرة الكتب بالعربية في كل المواضيع". كانت الأندلس وجنوب إيطاليا أكثر المناطق انتاجًا في نقل العلوم، نظرًا للتقارب بين العلماء متعددي اللغات. ترجم

هؤلاء العلماء العديد من النصوص العلمية والفلسفية من العربية إلى اللاتينية. ترجم جيراردو الكريموني وحده ٨٧ كتابًا من العربية للاتينية، منها المجسطي، وكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي، وكتاب الهيئة في إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح والبصريات للكندي وكتاب جوامع علم النجوم والحركات السماوية للفرغاني وتصنيف العلوم للفارابي وأعمال الخيمياء والكيمياء والطب والصيدلة للرازي وأعمال ثابت بن قرة وحنين بن إسحاق، والزرقالي وبني موسى وشجاع بن أسلم والزهراوي وابن الهيثم (بما فيها كتاب المناظر)" ... "اعتمد علم الكيمياء الغربي تمامًا على المصادر العربية. فقد كانت الترجمات اللاتينية لأعمال جابر بن حيان في الخيمياء المرجع الأساسي لعلماء الكيمياء الأوروبيين. إلا أنه ما زال الإسناد الدقيق لهذه الأعمال إلى مؤلفيها مثار بعض الجدل، فبعضها دون شك ترجمات من العربية لأعمال لجابر بن حيان ومنها كتاب الكيمياء (الذي ترجم في أوروبا بعنوان كتاب تراكيب الكيمياء (بالإنجليزية: Book of the Composition of Alchemy))، الذي ترجمه روبرت من شيستر عام ١١٤٤، وكتاب الرسائل السبعين الذي ترجمه جيراردو الكريموني (قبل عام ١١٨٧). وبغض النظر عن من كتب تلك الكتب، فأنها بلا شك كانت ذات تأثير عظيم على علم الكيمياء في أوروبا العصور الوسطى. كما ترجمت الأعمال الكيميائية للرازي إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر تقريبًا. وترجع أصول العديد من الكلمات التقنية الكيميائية إلى كلمات عربية مثل alkali (قلوي)، والتي انتقلت إلى العديد من اللغات الأوروبية وأصبحت جزءً من المصطلحات العلمية" ...

"كان لترجمة أعمال الخوارزمي أكبر الأثر على علم الرياضيات في أوروبا. كتب الأستاذ الجامعي فيكتور كاتز قائلاً: "معظم الأعمال الأولى في الجبر في أوروبا، اعتمدت في الأساس على الترجمات لأعمال الخوارزمي والعلماء المسلمين الآخرين. كما أنه كان هناك إقرار بأن معظم علمي حساب المثلثات المستوي والكروي ينسبان إلى العلماء المسلمين". كما أن كلمة "algorithm" (خوارزمية)، مشتقة من الترجمة اللاتينية لاسم الخوارزمي "Algorismi"، وأيضًا كلمة "algebra" (جبر) مشتقة من عنوان كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة، لذا فهما يصنفان ككلمات إنجليزية من أصل عربي. كما ترجمت الأعمال الفلكية والرياضياتية العربية للبتاني والفزاري إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر. ترجم أيضًا كتاب الزيج السانجاري للخازني إلى اليونانية على يد

غريغوري شونيادس في القرن الثالث عشر، وكان يدرّس في الإمبراطورية البيزنطية. قادت التعديلات الفلكية التي أدخلها البتاني وابن رشد على نموذج مركز الأرض إلى النماذج غير البطلمية التي صنعها مؤيد الدين أوردي ونصير الدين الطوسي وابن الشاطر، والتي طوّرت بعد ذلك إلى نموذج كوبرنيكوس [الإنجليزية]. كما ترجمت كتب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة والقانون المسعودي للبيروني إلى اللاتينية تحت اسم Indica وCanon Mas'udicus على الترتيب. وفي عام ١٢٠٢، نقل ليوناردو فيبوناتشي نظام العد الهندي العربي بالأرقام العربية إلى أوروبا في كتابه Liber Abaci.

كان لكتاب "القسي المجهولة في الكرة" لابن معاذ الجياني (وهو مخطوط في علم حساب المثاثات الكروي) أثره البالغ على علم الرياضيات في أوروبا، وقد ذكر جيرولامو كاردانو في القرن السادس عشر، أن ريجيمونتانوس اعتمد في كتابه On Triangles على المراجع العربية، وبالأخص أعمال جابر بن أفلح. كما كانت أعمال فولبرت من شارتر، أقدم الدلائل على استخدام كلمات عربية مستعارة في النصوص اللاتينية" ...

"كانت ترجمة كتاب القانون في الطب لابن سينا أحد أعظم أعمال الترجمة لكتب طبية، والذي ترجم إلى اللاتينية، ثم طبع وانتشر في أوروبا. ظل هذا الكتاب المرجع الأساسي في الطب في أوروبا، حتى بداية العصر الحديث، وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر وحدهما، طبع الكتاب أكثر من ٣٥ مرة. لاحظ ابن سينا ظاهرة نقل العدوى لبعض الأمراض المعدية التي تنتقل عبر الهواء من قبل شخص مريض، وشرح كيفية اختبار بعض الأمراض الجديدة حينها. وقد كتب ابن سينا أيضًا كتاب الشفاء، والذي كان بمثابة موسوعة عامة في العلوم والفلسفة، وقد حظي هذا الكتاب أيضًا بشعبية في أوروبا. كتب أبو بكر الرازي كتاب الحاوي في الطب، والذي وصف فيه بعناية بل وميّز بين مرضي الحصبة والجدري، وقد كان لهذا الكتاب أيضًا أثره في أوروبا. كما كتب الزهراوي كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو موسوعة طبية اشتهرت بسبب قسم الجراحة بها. تضمن هذا الكتاب وصف ورسوم لأكثر من مائتي جهاز جراحي، العديد منها من اختراع الزهراوي نفسه. وقد ترجم جيراردو الكريموني جزء الجراحة في الكتاب إلى اللاتينية، واستخدم من حينها في كليات الطب الأوروبية لقرون، وظلوا يصدرون منه الطبعات حتى نحو عام ١٧٧٠" ...

"كان كتاب المناظر لابن الهيثم من أهم الأعمال الفيزيائية التي ترجمت، لما كان لهذا الكتاب من أقدمية في إجراء التجارب المبنية على منهج علمي، وفيه وضع نظرية في الرؤية والضوء فنّدت نظرية كلاوديوس بطليموس (تفترض نظرية بطليموس بأن الضوء ينبعث من العين، بينما أصر ابن الهيثم بأن أشعة الضوء هي التي تدخل العين)، والتي تعد أهم حدث علمي في هذا المجال حتى عصر يوهانس كيبلر. لذا، فيعد كتاب المناظر نقطة انطلاق مهمة في تاريخ المنهج العلمي وتاريخ علم البصريات. أثرت الترجمات اللاتينية لكتاب المناظر في الكثير من أعمال العلماء الأوروبيين اللاحقين، ومنهم روجر باكون ويوهانس كيبلر. كما أثر الكتاب في جوانب أخرى في الثقافة الأوروبية. ففي الدين، على سبيل المثال، فقد أشار جون ويكليف الرائد في الفكر الإصلاحي البروتستانتي إلى ابن الهيثم في مناقشة السبع خطايا المميتة عندما شبهها بالتشوهات التي ترى في أنواع المرايا السبع في كتاب De aspectibus. وفي الأدب، أشاد جيوم دي لوريه بكتاب المناظر في روايته .Roman de la Rose وفي الفن، وضع كتاب المناظر أسس تقنيات الرسم المنظوري، وربما أثر في استخدام العوامل المساعدة البصرية في فن عصر النهضة. استخدمت نفس التقنيات في الخرائط الجغرافية التي رسمها رسامي الخرائط أمثال باولو توسكانيللي خلال عصر الاستكشاف.

ربما أثرت نظرية الحركة التي طورها ابن سينا من الفيزياء الأرسطية نظرية قوة الدفع لجان بوريدان (التي سبقت مفاهيم العطالة وزخم الحركة). أيضًا أعمال جاليليو جاليلي في الميكانيكا الكلاسيكية (والتي أبطلت الفيزياء الأرسطية) تأثرت بكتابات الفيزيائيين المسلمين كابن باجة"[٣٠٠].

واعجبني كلام جون لينكس John Lennox العالم البريطاني في الرياضيات وفلسفة العلوم والمؤمن بوجود إله خالق للكون، في مناظرته مع دوكنز حيث يقول له:

"حينما اكتشف نيوتن قانون الجاذبية لم يقل: (رائع الآن لا احتاج لإله)، الإله هو تفسير للظواهر على مستوى الوكالة وليس الآلية، فيمكننا دراسة آليات البايولوجيا، وكلما كانت

[٣٠٠] الموقع الالكرتوني (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، تحت عنوان: (التأثير الإسلامي على أوروبا خلال العصور الوسطى).

متطورة أكثر كلما كانت تشير الى وكيل، ولا يمكنك استبعاد وجود وكيل من خلال الاشارة الى وجود آلية"[٣٠١].

وهو يقصد بالوكيل في تعبيره بالصانع والخالق والموجد الذي اوجد الآلية. فلا يصح ان نقول ان وجود الآلية يغني عن معرفة صانعها وموجدها.

ويقول دوكنز:

"الداروينية ترفع درجة وعينا بطرق أخرى، تطور الاعضاء، الاناقة، والمهارة التي ترافقهم غالباً، ترينا بعض الاخطاء فيهم – تماماً كما نتوقعها لو كانت نتيجة تطور تأريخي، وتماماً بعكس ما نتخيله لو كانت مُصممة. وقد ناقشت امثلة في كتب اخرى: عصب لارينغيل، احد الامثلة، يفضح اصلهُ التطوري بتبذيره الكبير في الطريق المتعرج الذي يسلكه للوصول للهدف. الكثير من الامراض التي تصيب الانسان، من ألم أسفل الظهر والفتوق، هبوط الارحام وسهولة التأثر بإلتهاب الجيوب، هي نتيجة أننا نسير على قدمين بشكل عمودي لجسم تطور عبر ملايين السنين ليسير على أربع. كذلك يرتفع وعينا للاحساس بالتبذير والوحشية للانتخاب الطبيعي. الحيوانات المفترسة تبدو وكأنها "مصممة" بشكل رائع لصيد الفريسة، كما تبدو الفرائس "مصممة" بشكل متساوي الروعة لتفادي الوقوع كفريسة. في صالح من يقف الإله؟"[٣٠٢].

الداروينية لا ترفع درجة وعي الملحد بل تزيده ظنوناً ووهماً، وقد استفادت من بعض العلوم بصورة التقاطية، ولكنها في النهاية لا تتعدى كونها حلم جميل يحلم به البعض ويتخيله ليفر من حقيقة وجود الإله وواجب عبادته وطاعته.

[٣٠١] مناظرة جون لينكس مع ريتشارد دوكنز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي ومترجمة الى العربي تحت عنوان: (هل دفن العلم الله).

[٣٠٢] وهم الإله / دوكنز – ص١٣٦.

بل دوكنز نفسه الذي يتحدث عن الوعي قد كشف في مناظرته مع ديباك شوبرا انه لا يعرف لحد الآن كيف يعمل الوعي وكيف تتحول الاشارات العصبية الى صور وافكار وخيال في ذهن الانسان، ومما قاله دوكنز في تلك المقابلة:

"الوعي شيء جميعاً نعيه ونعي صعوبة فهمه، انه شيء يحتاج العلم بشدة لفهمه ليمكننا التوافق عليه، ... "هذا يعني ان الوعي هو موضوع جدير بالبحث العلمي المناسب والذي يعني فهم الوعي طبقاً للانظمة العصبية، ربما في المستقبل، عبر الحاسوب" إلخ.

واجاب دوكنز في نفس المناظرة عن سؤال كيف يمكن للشبكات العصبية ان تنتج الوعي، فقال:

"انا لا اعلم ولهذا نحن نعمل على الامر". وعندما سأله ديباك شوبرا بأنه رغم انه لا يعلم فإنه لا يؤمن بالتجارب الصوفية التي تجيب عما لا يعلمه اجابه دوكنز:

"انا لا اريد ان ارفضها بل اريد ان اشرحها"،... "اريد من العلم ان يشرحها"[٣٠٣].

لقد توهم دوكنز انه لوجود بعض المكتشفات العلمية لبعض القوانين التي يسير عليها الكون كقانون السرعة الضوئية والقوى النووية القوية والضعيفة والجاذبية وغيرها فإن العلم يمكنه ان يتسلط على الكون كله بفهم كل تفاصيل وجوده وحركته! واصابه الغرور فأخذ يدّعي انه يريد لكل موجود في الكون ان يفهم طريقة عمله وسبب وجوده! وهو بذلك يخلط القضايا، فمعرفة العلم بسرعة الضوء وقوانين الجاذبية والقوى النووية القوية والضعيفة لا تعني ان العلم تمكن ان يعرف كنه هذه القوى وكيفية ظهورها في الواقع. فعلى سبيل المثال لحد الان نجحد أنَّ العلم لم يعرف ما هي على وجه الدقة طبيعة قوى الجاذبية وكيفية عملها. واغلب المكتشفات العلمية انما تبين التوصل لبعض القوانين والحقائق العلمية، ولكنها تعجز عن فهم كيفية ظهور تلك القوانين والحقائق الى عالم الواقع. ولذلك عندما يقول دوكنز انه لا يرفض التجارب الصوفية بل يريد من العلم ان يشرحها، فهو بذلك يوهم المتلقي ان العلم يتمكن من شرح كل شيء وقدرته على فهم جميع الحقائق وادراكها، وهذا غير صحيح، كما بيّنا ان هناك الكثير من الامور في الكون والحياة يعجز العلم لحد الان عن تفسيرها. ولا بد ان ننبه ايضاً اننا لا نؤيد التجارب الصوفية كطريق لمعرفة الحقائق كما يذكر

[٣٠٣] مناظرة بين ديباك شوبرا وريتشارد دوكينز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي.

ديباك شوبرا، لأن التجربة الصوفية على فرض تماميتها لا تتعدى كونها تجربة شخصية للصوفي القائم بالتجربة ولا يمكنه ان يثبت تجربته او ينقلها للآخرين.

فإذا كان الكون قد خلق من قبل إله بما يمتلكه من علم إلهي أزلي فكيف يمكن لعلم بشري محدود ان يرتقي الى مستوى العلم الإلهي !! اليست هذه من المحالات الواضحة.

أليس من السخافة ان يدعي دوكنز ان الانسان يصاب بـ "ألم أسفل الظهر والفتوق، هبوط الارحام وسهولة التأثر بإلتهاب الجيوب، هي نتيجة أننا نسير على قدمين بشكل عمودي لجسم تطور عبر ملايين السنين ليسير على أربع" ! مع انه ليس كل انسان يصاب بهذه الامراض، فهناك من يصاب بآلام الظهر ثم يتعالج منها. وكذلك من يصاب بإلتهاب الجيوب الانفية، وغيرها، فلو كان ما يدعيه صحيحاً من ان سبب الامراض هو التطور لوجدنا الناس جميعهم يصابون بجميع هذه الامراض دفعة واحدة! واذا كان التطور هو سبب الامراض فلماذا لم تطورنا آليات التطور لنتجاوز عقبة الامراض ؟! التطور الذي صنع هذه الاجهزة العظيمة والمعقدة داخل الجسد البشري هل يعجز عن تجنيب الانسان تلك الامراض !!

إنّ الامراض التي تصيب الانسان ليست بسبب خل تركيبي في بدنه حتى يحق لدوكنز ان يدّعي ان سببها هو التطور، بل ان معظمها هو نتيجة عوامل خارجية يتعرض لها الانسان، من قبيل الفايروسات والجراثيم والتغيرات المناخية والمعيشة غير الصحية من قبيل السمنة وقلة الرياضة وقلة الحركة وغيرها. واما الامراض الولاديّة فسببها ليس بسبب التطور بل لأسباب متعددها يشخصها الاطباء وللعامل الوراثي دور مهم في ذلك، ولذلك لا يمكن ان يكون للتطور دور في ظهور الامراض الوراثية لان التمايزات التطورية المكتسبة لا تورّث، ولانها ليست عامة لجميع الناس، وليس من المحتَّم ان تصيبهم جميعاً.

اما سؤال دوكنز في نهاية فقرته المنقولة آنفاً: (في صالح من يقف الإله؟)، فجوابه ينبع من العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة، وهو ان الإله يقف – إنْ صح التعبير – الى جانب العدالة والحكمة وباقي صفاته واسمائه الحسنى. فإذا كان الله تبارك وتعالى قد خلق الحيوانات المفترسة وخلق الفرائس لتكون لها قابلية بحدود معينة للتخلص من المفترس. ففي ذلك حكمة عظيمة ما يمكن ان نعرفه هناك نظاماً قد خلقه الله تبارك وتعالى قائم على الصراع بين بعض كائناته، صراع بين آدم

(عليه السلام) وإبليس اللعين الذي رفض السجود له، وصراع بين الانسان والجان، وصراع بين الحيوانات المفترسة وغيرها، وصراع بين بني الانسان نفسه في مجال التنافس الحياتي والمهني لدرجة تصل الى القتل والحروب والارهاب ! فنظرية التصميم الذكي التي يحاول دوكنز التقليل من شأنها لا يضيرها إن كان الله تبارك وتعالى يخلق الشيء ومنافسه في طور مسيرة الحياة نحو التكامل. قال تعالى: ((*أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ*)).

ألم يشاهد دوكنز افلام عالم الحيوان، فكم من حيوان ضعيف تغلب على مفترسه وافلت منه، وكم من مفترس اكل فريسته وهي على قيد الحياة، وكم من مفترسين تقاتلا على فريسة حتى افلتت منهما، إلخ... بل ان نفس الامر ينطبق على نظرية دوكنز في تبنيه للتطور والانتخاب الطبيعي، فلماذا لم يحول التطورُ الحيوانَ الاليف الى مفترس، والحيوانَ النباتي الغذاء الى حيواني الغذاء، ان مقتضى فكرة التطور وصراع البقاء للاصلح يقتضي ما ذكرناه. فليس من حق دوكنز ان يشنع على الإله الى صف من يقف فيما هو يتبنى التطور والانتخاب الطبيعي الذي يصفه بأنه صانع ساعات اعمى ومع ذلك يصنع الشيء وضده ، يصنع الشيء ومن يهلكه ! هل يقتنع دوكنز فعلا ان التطور والانتخاب الطبيعي يصنع التصميم الذكي بلا ذكاء ! ويصنع العالم المتصارع بلا هدف الصراع ! وينتج الكائنات المتعددة بلا هدف لإنتاجها !! بل وينتج الحتمية التي يسير عليها الكون والحياة، والتي لا يمكنها ان تفلت منها ابداً ولا ان تسير بخلافها، ومع ذلك فهو صانع ساعات اعمى وغبي وجاهل وبلا هدف !!

إن افكار دوكنز والتطوريون الملحدون تقود الى اعتبار الحياة تافهة ولا قيمة لها، واناه تنتهي الى لا شيء، لانه بمجرد ان يموت الانسان ينتهي كل شي كما ان بقاء الانسان لن يقوده الى شيء. وحتى المجد والشهرة والعلم والحضارة لا قيمة لها لانها عبثية الوجود والهدف ولا طائل من ورائها. فسواء عاش الانسان او انتحر فالامر سيان، لانه مهما عاش سيموت، وسواء مات بعد عشرين سنة او انتحر الان فلا فرق لان كل شيء عبث ولاقيمة له ولا طائل من ورائه !! فالحياة عندهم ظهرت بلا هدف، وتسير بلا هدف، ويمكن ان ينهيها الانسان في اية لحظة لانه لا قيمة لها. ففكرة العبث تحيط بالملحدين.

المبدأ الانثروبي، النسخة الكوكبية:

من الواضح ان المبدأ الانثروبي قد احرج دوكنز جداً ولذلك حاول كثيراً الالتفاف عليه، ولو كان يمتلك القليل من الانصاف لقبل به وبمعطياته وهو ما يخرجه بصورة مؤكدة عن حالة الالحاد التي تكتنفه، ولكن صدق الله العليّ العظيم القائل: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)).

المبدأ الانثروبي (Anthropic principle)، ويترجم بـ (المبدأ الانساني)، "عبارة عن أطروحة تقول بأن الكون حتمي حيث تكون معادلاته وقوانينه الطبيعية مناسبة لظهور أنواع حياة ذكية، حيث أنه لو كانت الجسيمات الأولية مثل الإلكترون والبروتون ليست بصفاتها الموجودة (مثل مقدار الشحنة ونوعها وكتلة كل منهما) والقوانين التي تحكمها ، لكان من غير الممكن نشأة الحياة على الأرض بما فيها نشأة الإنسان نفسه. والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي بمقدوره وصف الكون ومراقبته وتحليله فيزيائياً"[٣٠٤].

وننقل شرح المبدأ الانثروبي بصورة علمية تخصصية من مقال مشترك لجمال ميموني ونضال قسوم[٣٠٥]، وسوف ننقل جزء كبير من المقال لأهميته ولكون كاتباه من المختصين المهمين في مجال كتابتهما، ليكون القاريء على بينة من مفهوم المبدأ الانساني وابعاده:

"احتل الانسان، في تصوره على الاقل، موقع المركز ومكانة الصدارة في الكون منذ العصور القديمة وحتى القرون الاخيرة ... فالكون في تصور البشرية منذ ما قبل التاريخ وعند معظم الحضارات او كلها – حتى ظهور نظرية كوبرنيكس – ما هو الا مجالاً مادياً وضع من اجل تمكين الانسان من الحياة والعمل. وتجسد هذا الاعتقاد في النظريات التي وضعها القدامى حول الكون والانسان، اذ تضمن جلها احد المبدأين التاليين (او كليهما

---

[٣٠٤] الموقع الالكتروني ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تحت عنوان (مبدأ إنساني).

[٣٠٥] جمال ميموني، خبير الفيزياء الفلكية النوترونية وفيزياء الجسيميات في جامعة بانسلفانيا في الولايات المتحدة الأميركية، والاستاذ المحاضر في جامعة قسنطينة في الجزائر، ونضال قسوم خبير فيزياء الفلك، واشعة غاما واستاذ زائر في مركز غودارد التابع للوكالة الفضائية الأميركية NASA.

(منقول عن مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م).

في معظم الاحيان): الجيومركزية (geocentrism)، اي ان الارض تقع في مركز الكون، والانثروبومركزية (anthropocentrism) التي تعتبر الانسان جوهر الكون الذي يتمحور كل شيء حوله.

ولكن عندما تقدمت الطرق العلمية، وبخاصة منها الأرصاد الفلكية، وبدأ الاختلاف يتأكد بين النتائج الميدانية وبين ما تقرره تلك النظريات، كان لا مفر من اعادة النظر في تلك المبادئ والاعتقادات الراسخة. وهذا ما قام به كوربنيكس، الفلكي القس، الذي امضى سنوات طويلة يدرس نظرية بطليموس الجيومركزية حتى تيقن انه ليس من الممكن التوفيق بينها وبين النتائج الرصدية، وان الحل الوحيد يكمن في اعتبار الشمس مركزاً للكون وجعل الارض تدور حولها كباقي الكواكب" ...

وازاحة الارض عن مركز الكون لتحل الشمس محلها يعني ان الارض ليس لها عناية خاصة وكذلك الانسان ليس لديه اي عناية خاصة بخلاف المسيحية التي ترى ان الكون كله وضع من اجل الانسان وفجأة اخذت الارض تحتل موقعاً ثانوياً بفضل اكتشافات كوربنيكس:

"ووصلت مكانة الانسان الى الحضيض في القرن العشرين مع اكتشاف المجرات الاخرى وابعاد الكون الحقيقية وبخاصة تعرف العلماء على عمر الكون. فبعد ان فقدت الارض موقعها المركزي ضمن المجموعة الشمسية فصارت كوكبا من بين تسعة كواكب ليست حتى اكبرها او اقربها الى الشمس، لم تعد الشمس ذاتها مركزية، اذ اتضح انها نجم عادي – بل صغير – من بين مائة مليار نجم في مجموعة ضخمة تدعى المجرة، وان الشمس تقع في ضاحية نائية منها. ثم اكتشف الانسان ان المجرة نفسها ليست الا واحدة من بين مئات الملايين من المجرات المماثلة موزعة في كون ذي قطر يساوي عشرة مليار مليار مرة اضخم من الارض وحوالى مليار مليار مليار مرة اكبر من الانسان...

لا قيمة خاصة للإنسان: وادى كل هذا بالعلماء الى الالحاح على عدم اعطاء الانسان اي قيمة خاصة او مكانة مفضلة او دور هام في اي نظرية توضع سواء كانت علمية او فلسفية، وسمي هذا الموقف الجديد بمبدأ الرداءة (he principle of medioerity) واعتمد علماء الكون مبدأ مماثلا كنقطة انطلاق في الدراسات النظرية، اي محاولات وضع النماذج الكونية، وسمي بالمبدأ الكوسمولوجي (cosmological principle)، وهو ينص على ان الكون يجب ان تكون له نفس الصورة والخصائص من اي بقعة يرى او

يدرس منها، اي بتعبير آخر، موقعنا الارضي لا يحتوي على اي خاصية بالنسبة لباقي الكون.

وخلاصة القول ان الانسان في اواسط هذا القرن[٣٠٦] وجد نفسه ضائعا في هذا الكون الشاسع وحائراً في سير التاريخ والعلم والفكر"[٣٠٧].

ويستطرد جمال ميموني ونضال قسوم ليقولا:

" وبعد التدهور الكبير الذي عرفته مكانة الانسان حتى القرن العشرين بدأت الكفة تميل الى الجهة المعاكسة حتى انه يمكن القول اليوم ان جوهرية الانسان في الكون عادت الى الواجهة وبقوة، لان العلماء، خصوصاً الفيزيائيين والبيولوجيين، بدأوا يكتشفون خاصيات مدهشة جعلتهم، بعد تراكم الادلة، ينصون على نتيجة من اهم ما تصول اليه العلم الحديث، وهي ان الانسان ليس فقط متلائما مع الكون، بل الكون ذاته قد خلق وضبط بطريقة تجعل وجود الانسان فيه ممكنا بل حتميا، فلو غيرت الثوابت الفيزيائية (التي يقوم الكون كله، شكلا ومحتوى عليها) ولو بقيم ضئيلة لكان ظهور الحياة عموماً والانسان بخاصة مستحيلا. هذه الدقة المذهلة الموجودة في الكون، والتي سنقدم عنها امثلة عديدة، هي ما نعبر عنه هنا بـ«التناغم الكوني». وهذه النتيجة العظيمة (ضبط خاصيات الكون من اجل ظهور ووجود الانسان) هي جوهر تلك الفكرة الهامة التي يدور حولها اليوم نقاش علمي وفلسفي كبير والتي سميت بـ«المبدأ الانثروبي» (anthropic principle)"[٣٠٨].

"" الثوابت الفيزيائية:

أولاً يجب التوضيح ان الفيزياء تعرفت على عدد من الثوابت الفيزيائية الكونية التي يمكن وصف الكون شكلا ومحتوى انطلاقا منها. ما هي هذه الثوابت؟

---

[٣٠٦] أي اواسط القرن العشرين الميلادي.

[٣٠٧] مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

[٣٠٨] المصدر السابق.

يمكن ذكر ثابت نيوتن للجاذبية العامة g، وسرعة الضوء c، وثابت بلانك h، وكتلة الالكترون m، والشحنة الكهربائية الاولية e، والثابت الكسمولوجي الذي ادخله اينشتاين a، وعدد ابعاد الكون (٣+١) ومقادير اخرى من هذا النوع. ما عددها الكلي؟ لا ندري بالضبط، ولكن تقدر اليوم بنحو ٥١، وتأمل الفيزياء تقليص عددها بتفسير قيم البعض انطلاقاً من الاخرى او من مبدأ اساسي تأمل اكتشافه في المستقبل. وطبعا يبقى من الممكن ايضا ان يضيف العلم ثوابت جديدة اذا اكتشفت قوانين وتفاعلات جديدة في الكون، كما حدث خلال لهذا القرن.

هذه الثوابت اذن هي التي تعطي لمحيطنا بل للكون كله خاصياته المدونة، من لون وطول جسم الانسان والايقاع الاعظمي للجبال وكثافة الهواء المحيط بالارض ودرجة الحرارة وحجم الكواكب وكمية الطاقة المنتجة في الشمس وقطر المجرات الخ.. اي تغيير – ولو طفيف – لهذه الثوابت يؤدي الى تغيير كبير في المحيط، الشيء الذي يجعل وجود الانسان فيه مستحيلاً. لنعرض امثلة لذلك.

– نعتبر مثلا ثابت الجاذبية G: اذا جعلنا قيمته اصغر مما هي عليه في الكون، فإن النجوم، التي تكونت بفعل التقلص الجاذبي للغازات في المناطق المختلفة للمجرة، لا تتمكن من الظهور لأن الحركة العشوائية لذرات الغاز تفوق الضغط الجاذبي، وعدم تكوين النجوم يعني ببساطة عدم تركيب العناصر الضرورية للحياة من كربون وأوكسجين ومثل ذلك. وبرهن العلم اليوم ان كل ما في الكون من عناصر كيميائية اثقل من الكربون (Fe, Si, Mg, NE, O, N, C الخ...) قد تكون داخل النجوم وألقي في المجالات الفضائية عند انفجار النجوم التي تم فيها التكوين.

وفي الحالة المعاكسة، اي اذا اعتبرنا قيمة لـG اكبر مما هي عليه، فإن هذا يؤدي الى تكوين للنجوم وتقلص سريع لها يجعلها تعيش مدة قصيرة (من التكوين الى الانفجار او الانهيار)، وذلك لا يسمح للحياة ان تظهر لأن هذه العملية تتطلب ملايين السنوات وظروفا جد ملائمة (كما حدث بالنسبة الى الأرض والشمس).

وتظهر البحوث من القيمة الحرجة منذ البداية، وكان الكون مسطح الهندسة للغاية، وكانت درجة الحرارة فيه موزعة بتجانس جد كبير، وخلاصة القول ان الانفجار العظيم عرض

ان يكون فوضوياً (كما يحدث في الانفجارات عادة) وان ينتج ثقوباً سوداء عديدة ومتناثرة، كان بالعكس مميزا بدقة مذهلة.

ثم هناك نتيجة اخرى جد هامة ورائعة تدعم فكرة الصنع المتقن للكون وملاءمته الدقيقة للانسان، تتمثل في عدد الابعاد الفضائية لهذا الكون لماذا يحتو يكوننا على ٣ أبعاد بالضبط، الى جانب البعد الزمني طبعاً؟ لماذا لم يتضمن بعدين فقط او اربعة او غير ذلك؟ لقد طرح العلماء هذه المسألة على أنفسهم منذ مدة، ولما غابت عنهم الفكرة الانثروبية لم يتمكنوا من الاجابة عنها حتى الأزمنة المؤخرة"[٣٠٩].

" المبدأ الانثروبي: حوالى ٠١ و٠٢ مليار سنة بعد خلقه! لماذا؟ لأن ظهور الانسان يستدعي باعتماد التصور التطوري الذي يقضي بتكوين العناصر اللازمة للحياة (الكربون والاوكسجين وما الى ذلك) داخل النجوم ثم بعثرتها في الفضاء اثر انفجار النجوم (اي عند موته) ليتم تكوين الكواكب وظهور الاجسام الحية بناء على هذه العناصر، وهذا كله يستلزم حوالي ٠١ مليار سنة، ومن جهة اخرى، لا يمكن انتظار مدة طويلة جدا والا تختفي الحياة في الكون اما بتقلص هذا الاخير او تواصل التطور الكيميائي مما يجعل الفضاءات الكونية غير ملائمة لظهور وعيش البشر، اذ بعد حوالي ٠٢ مليار سنة تكون النجوم قد ماتت كلها او جلها ولا عيش من دون طاقتها ومن دون وجود هيدروجين يشعل نجوماً اخرى. والاهم في الامر ان ديكي تفطن واشار الى ان الاختيارات المختلفة لمقادير الثوابت الفيزيائي المتعددة ليست كلها ملائمة لهذا الشرط بتعبير اوضح، لو كانت قيمة ثابت الجاذبية g او شحنة الالكترون e (او غيرها) مختلفة عن القيم المعروفة في كوننا لربما وجد الكون كله، من خلقه الى نهايته في اقل من ٠١ مليار سنة، اي لما يظهر فيه البشر اطلاقاً!

وفي العشرية الموالية وانطلاقا من سنة ١٩٧٤ قدم الفيزيائية الفلكي البريطاني «براندن كارتر» اعمالا واستنتاجات في منتهى الاهمية في هذا الصدد، لاحظ من خلالها تلك الدقة المذهلة الموجودة في قيم الثوابت الفيزيائية مما جعله يستنتج ان هذا الكون قد اختيرت خاصياته بدقة مذهلة وذلك لضمان ظهور الانسان عند زمن ما من تاريخ الكون.

[٣٠٩] مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

ثم قدم الفيزيائيان «جون بارو» (j. barrow) و«فرانك تبلر» (f. tipler) مساهمة عظيمة سنة ١٩٨٦ بالكتاب الذي ألفاه: (المبدأ الانثروبي لكوسمولوجي) الذي لقي اقبالا رائعا من طرف المفكرين بمن في ذلك المعارضين لهذا المبدأ – لان الكتاب فرض نفسه كمرجع اساسي في الموضوع بسبب الكميات الهائلة من المعلومات التي احتواها، ثم كذلك للاجتهادات المبتكرة التي أتى به مؤلفاه، حتى انهما قدما صيغة جديدة للمبدأ الانثروبي باستنتاجهم الفكرة المذهلة التالية (وهي لا تزال محل جدال حاد): ان الكون قد هيأ فعلا لظهور الانسان وان هذا الاخير لن يختفي منه ابدا بل سوف يصل الي نقطة يتحكم فيها في الكون كلية"[٣١٠].

إذن المبدا الانثروبي هو الذي يعيد للانسان مكانته المحورية للكون.

فلننظر الان بعد شرح هذا المبدأ الى دوكنز ماذا يقول عنه وكيف يحاول الالتفاف عليه ! يقول:

"الحجة الانثروبية عادة تطبق على الكون، وسنأتي على ذلك لاحقاً، ولكني سأقدم الفكرة على مقياس كوكبي مصغر. نحن الموجودون هنا على كوكب الارض. ولذلك فالارض يجب ان تكون كوكباً مؤهلاً لأيجادنا واحتوائنا، مهما كان الموضوع غير عادي، بل وفريد من نوعه، لكوكب من هذا النوع. وكمثال فإن نوع الحياة التي نحياها ليست ممكنة بدون ماء سائل. بالتأكيد، علماء الفضاء الباحثون عن ادلة لحياة خارج كوكب الارض يبحثون في السماء، عملياً، على إشارات تدل على وجود الماء. وحول نجم عادي كشمسنا، هناك ما يُعرف بنطاق القفل الذهبي – ليس حاراً أو بارداً، مناسب فقط – لكوكب مع ماء سائل. وهناك مدارات ضيقة تقع بين ما هو بعيد جداً عن النجم، حيث يتجمد الماء، وقريب جداً حيث يغلي" ... "تم تقديم تفسيران حول خصوصية كوكبنا لأحتضان الحياة، نظرية التصميم تقول بأن الله خالق العالم، ووضع الارض في نطاق القفل الذهبي، ووضع كل التفاصيل لصالحنا. النظرة الانثروبية مختلفة تماماً، وتعطي أحساساً شبيهاً بالداروينية. غالبية الكواكب في الكون لا تقع في نطاقات الاقفال الذهبية لنجومها وليست

[٣١٠] مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

مؤهلة للحياة. ولا يوجد حياة على أي منها. ولكن على أية حال هنالك أقلية صغيرة من الكواكب بشروط مناسبة للحياة، ونحن بالضرورة على احد تلك القلية من الكواكب"[٣١١].

ونحن نختلف مع دوكنز في عدة نقاط ذكرها ، منها ان النظرة الانثروبية لا تعطي احساسات ذهنية بل هي نظرية علمية تتحدث عن حقائق فيزياوية ثابتة. فالقضية ليست قضية حسية ذهنية كما يحاول دوكنز تصويرها ثم يربطها بالداروينية!

وبينما يحاول دوكنز اضافة مفاهيم للمبدأ الانثروبي أو الحجة الانثروبية كما يسميها، غريبة عنها، فيقسر ربط مفهومها بمفهوم الانتخاب الطبيعي، وليس الانتخاب الطبيعي وفق مفهوم داروين فحسب بل وفق مفهوم دوكنز نفسه الذي يوسعه ويضيف عليه ابعاداً جديدة خيالية، وكما قال في بداية كتابه انه يحاول توسيع مفهوم الانتخاب الطبيعي ليربطه بنشوء الكون والحياة ! هكذا بلا دليل علمي وبلا قرائن واضحة، مجرد ظن وتخمين وامنيات واحاسيس خيالية كما يصرّح هنا حيث يقول: (وتعطي احساساً شبيهاً بالدراوينية) !

ويقول دوكنز في مناظرته مع جون لينكس:

"هناك كثير من الفيزيائيين يستخدمون المبدأ الانثروبي بقولهم: وجودنا مستحيل في كون غير ذاك الذي يحمل القوانين المناسبة لإتاحة وجودنان وبالتالي، كوننا نستطيع (التحدث) عن الكون يعني ضرورية صفات هذا الكون لوجودنا، هذا هو (المبدا الانثروبي)، وهناك نسخ منه معقولة اكثر، مثلاً نظرية الاكوان المتعددة القائلة بأكوان كثيرة مختلفة واننا نعيش في رغوة من فقاعات الاكوان وكل فقاعة في الرغوة لها تشكيلة مختلفة من قوانين الفيزياء، واغلب القوانين في تلك الاكوان لا تفضي الى نشأتنا، واقلية ضئيلة تقضي الى انشاء اشكال حيوية متقدمة ومن ثم يعود (المبدأ الانثروبي): لا يمكن لنا ان نوجد سوى في احد تلك الاكوان او الفقاعات التي تحمل القوانين الفيزيائية اللازمة، وبالتالي بما اننا موجودون ويمكننا الحديث عن الكون فلا بد في اننا في احد تلك الاكوان"[٣١٢].

---

[٣١١] وهم الإله / دوكنز – ص١٣٨.

[٣١٢] جون لينكس وريتشارد دوكنز، بعنوان (هل دفن العلم الله؟) مترجمة ومنشورة في موقع اليوتيوب.

وهذا الكلام يكشف لنا ان دوكنز لم يتمكن ان يعارض صحة المبدأ الانثروبي ولذلك لجأ لإلصاق مفاهيم جديدة به بلا بينة وبلا برهان! ليحرفه عن دلالاته الواضحة على وجود الإله. وكما كان ابن سينا: (من قَبِلَ دعوى المدَّعي بلا بينة وبرهان فقد خرج عن الفطرة الانسانية). فما هو الدليل على وجود اكوان متعددة؟ الجواب: لا شي! لا دليل! والملحدون يستكثرون على المؤمنين التحدث عن الغيب والايمان بالملائكة وبجميع القضايا الغيبية التي لا تتعارض مع العقل. بينما يأتون هم بامور غيبية يحكم العقل بإستحالة ظهورها في عالم الواقع كقضية الاكوان المتعددة.

كما ينبغي التنبيه على ان تركيز دوكنز على صلاحية النطاق الذي توجد فيه الارض لظهور الحياة والذي اطلق عليه اسم (القفل الذهبي) ... والذي هو على حد تعبيره: (– ليس حاراً أو بارداً، مناسب فقط – لكوكب مع ماء سائل. وهناك مدارات ضيقة تقع بين ما هو بعيد جداً عن النجم، حيث يتجمد الماء، وقريب جداً حيث يغلي)[٣١٣]، فهو يحاول اختصار المبدأ الانثروبي بوجود كوكب الارض في المكان الذي توجد فيه فعلياً، فيما حقيقة المبدأ الانثروبي هي اكبر من ذلك بكثير، وقد مرّ علينا ارتباط المبدأ الانثروبي بالثوابت الكونية التي تشمل قضايا فيزيائية ابعد من مجرد وجود نطاق معين للارض يصلح معه ظهور الحياة (اطلق دوكنز عليه اسم النطاق الذهبي!). ونعيد اقتباس نص علمي ذكرناه قبل قليل يشير الى الثوابت الكونية، لغرض التذكير بها:

" ثابت نيوتن للجاذبية العامة g، وسرعة الضوء c، وثابت بلانك h، وكتلة الالكترون m، والشحنة الكهربائية الاولية e، والثابت الكسمولوجي الذي ادخله اينشتاين a، وعدد ابعاد الكون (٣+١) ومقادير اخرى من هذا النوع. ما عددها الكلي؟ لا ندري بالضبط، ولكن تقدر اليوم بنحو ٥١"[٣١٤].

ويضيف دوكنز:

---

[٣١٣] وهم الاله / دوكنز – ص١٣٧.

[٣١٤] مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

"من الغريب، ان المتدينين يميلون للمبدأ الانثروبي. ولسبب ليس معقولاً على الاطلاق، وهو انهم يفكرون بأن ذلك يخدم قضيتهم. وبالعكس تماماً هو الصحيح لأنها، كالانتخاب الطبيعي، نظرية بديلة لفرضية التصميم. وتقدم تفسيراً عقلانياً، بعيداً عن تفسير التصميم لأننا نجد أنفسنا في وضع مؤآتي لوجودنا. وأظن أن الحيرة تظهر في العقل الديني لأن التنويه بالنظرية الانثروبية هو الوحيد الذي يحصل عن طريق محتوى السؤال الذي تحاول الاجابة عليه. يعني كوننا نعيش في مكان يحتضن الحياة. ما يفشل العقل الديني في فهمه هو أنت هُناك مرشحان لحل المسألة. أحدهما الله والآخر هو المبدأ الانثروبي، وفي الحقيقة انهما حلان متبادلان"[٣١٥].

كل هذه الثوابت الكونية اليقينية العلمية الفيزياوية لا يريد دوكنز ان يجدها مبرراً للايمان بوجود الخالق سبحانه وتعالى، بخلاف عدد آخر من العلماء الفيزياويين الذين قادهم المبدأ الانثروبي وما يتضمنه من ثوابت كونية الى الايمان بوجود الإله.

إنَّ المبدأ الانثروبي يعني ان كل ما في الكون مهيأً لظهور الحياة والانسان على الكرة الارضية بصورة خاصة وتأيدت هذه النظرية بوجود الثوابت الكونية التي لو تغير واحد منها فقط لما ظهرت الحياة على الارض، ويقدر عددها بحوالي بـ ٥١ ثابت كوني. ويريد دوكنز ان يقنعنا ان للانتخاب الطبيعي دور في ظهور تلك الثوابت الكونية والمبدا الانثروبي ! صانع الساعات الاعمى على حد تعبيره هو الذي اظهر الثوابت الكونية والحياة !! فأين العقلانية في ان الانتخاب الطبيعي هو الذي يحدد الثوابت الكونية وان الانتخاب الطبيعي هو الذي انتج اول خلية حيّة وان الانتخاب الطبيعي هو الذي تسبب بتطورها وظهور الكائنات الحية. فمن الذي اعطى للمادة خاصية الانتخاب الطبيعي ؟! ومن الذي يظهر اولاً المادة ام الانتخاب الطبيعي؟ بلا شك فإن المادة سبقت بالظهور الانتخاب الطبيعي، فمن أين جائت المادة ومن الذي جعلها تمتلك خاصية الانتخاب الطبيعي المزعومة ؟! وهل يمكن فعلا للمادة ان تمتلك الانتخاب الطبيعي الذي يعود بدوره ليغير المادة بحيث تكون اكثر ملائمة لظروف الحياة !! وحيث انه يصف الانتخاب الطبيعي بأنه "صانع ساعات اعمى" اي انه يصنع الاشياء دون قصد ودون هدف، بناءاً على نظرية الاحتمالات. وان ظهور ثابت كوني او ثابتان او ثلاثة سوية هو امر مستحيل في عالم حسابات الاحتمالية

[٣١٥] وهم الإله / دوكنز – ص١٣٨.

الرياضية. فكيف والامر يتعلق بحوالي ٥١ ثابتاً كونياً او اكثر !! إذن موضوع الانتخاب الطبيعي في حقيقته يتعلق بالاحتمالات الرياضية، وما استعماله لهذا المصطلح (الانتخاب الطبيعي) الا للتغطية على حجة الاحتمالية المستحيلة التحقق في عالم الوجود، ولكي يستقوي بهذا المصطلح الذي استمد شهرته من نظرية دارون، وليتمكن من خلاله من تمرير افكاره المستحيلة التحقق !

ففي الحقيقة فإن الحجة الانثروبية لا تقول من هو مصمم الكون ليكون صالحاً لظهور الحياة على الارض هل هو الخالق سبحانه وتعالى ام الانتخاب الطبيعي ! بل تقول ان كل شيء تم بحساب دقيق جداً لتكون الارض مهيئة لظهور الحياة. اما تحديد مَنْ الذي وضع تلك الحسابات الدقيقة والثوابت الكونية فلا تتطرق الحجة الانثروبية اليه. ولذلك فالحجة الانثروبية ليست كما زعم دوكنز انها في موقع الند مع نظرية التصميم الذكي الذي يعني وجود الخالق تبارك وتعالى، بل هي تحدد نقطة واحدة فقط وهو ان كل شيء في الكون يخضع لحسابات دقيقة مكّنت الحياة من الظهور على الارض.

"رأى العلماء تجاوز دقة الثابت الكوني Cosmological Constant لـ ١٠ ^١٢٢ (أي واحد امامه ١٢٣صفراً)! وهو ما يتجاوز القيمة الرياضية للمستحيل نفسه بأضعاف! وهي القيمة التي يقول عنها اللاديني الفيزيائي الشهير ليونارد سوسكايند في كتابه مخطط الكون The Cosmic Landscape : (الثابت الكوني {١٠ ^١٢٢} يستحيل ان ينشأ بداهة عن صدفة). والتي يقول عنها الملحد الفيزيائي الاشهر ستيفن هوكينغ نفسه في كتابه موجز تاريخ الزمن ... : (الحقيقة الواضحة بخصوص الثوابت الكونية تؤكد على انها صُممت بعناية تتيح الحياة وبمنتهى الضبط المدهش)"[٣١٦].

وللمزيد من الفائدة نذكر هذا المقطع من مقال علمي متخصص يوضح معنى وجود الثوابت الكونية ودورها في ظهور الحياة:

[٣١٦] مجلة كشف الاقنعة، العدد الاول، موضوع بعنوان (العلم ووجود الله، نقاش علمي لآراء ستيفن هوكينغ)، ص٣٩.

" الثوابت الفيزيائية: أولاً يجب التوضيح ان الفيزياء تعرفت على عدد من الثوابت الفيزيائية الكونية التي يمكن وصف الكون شكلا ومحتوى انطلاقا منها. ما هي هذه الثوابت؟

يمكن ذكر ثابت نيوتن للجاذبية العامة g، وسرعة الضوء c، وثابت بلانك h، وكتلة الالكترون m، والشحنة الكهربائية الاولية e، والثابت الكسمولوجي الذي ادخله اينشتاين a، وعدد ابعاد الكون (٣+١) ومقادير اخرى من هذا النوع. ما عددها الكلي؟ لا ندري بالضبط، ولكن تقدر اليوم بنحو ٥١، وتأمل الفيزياء تقليص عددها بتفسير قيم البعض انطلاقاً من الاخرى او من مبدأ اساسي تأمل اكتشافه في المستقبل. وطبعا يبقى من الممكن ايضا ان يضيف العلم ثوابت جديدة اذا اكتشفت قوانين وتفاعلات جديدة في الكون، كما حدث خلال لهذا القرن.

هذه الثوابت اذن هي التي تعطي لمحيطنا بل للكون كله خاصياته المدونة، من لون وطول جسم الانسان والايقاع الاعظمي للجبال وكثافة الهواء المحيط بالارض ودرجة الحرارة وحجم الكواكب وكمية الطاقة المنتجة في الشمس وقطر المجرات الخ.. اي تغيير – ولو طفيف – لهذه الثوابت يؤدي الى تغيير كبير في المحيط، الشيء الذي يجعل وجود الانسان فيه مستحيلاً. لنعرض امثلة لذلك.

– نعتبر مثلا ثابت الجاذبية G: اذا جعلنا قيمته اصغر مما هي عليه في الكون، فإن النجوم، التي تكونت بفعل التقلص الجاذبي للغازات في المناطق المختلفة للمجرة، لا تتمكن من الظهور لأن الحركة العشوائية لذرات الغاز تفوق الضغط الجاذبي، وعدم تكوين النجوم يعني ببساطة عدم تركيب العناصر الضرورية للحياة من كربون وأوكسجين ومثل ذلك. وبرهن العلم اليوم ان كل ما في الكون من عناصر كيميائية اثقل من الكربون (Fe, Si, Mg, NE, O, N, C الخ...) قد تكون داخل النجوم وألقي في المجالات الفضائية عند انفجار النجوم التي تم فيها التكوين.

وفي الحالة المعاكسة، اي اذا اعتبرنا قيمة لـG اكبر مما هي عليه، فإن هذا يؤدي الى تكوين للنجوم وتقلص سريع لها يجعلها تعيش مدة قصيرة (من التكوين الى الانفجار او الانهيار)، وذلك لا يسمح للحياة ان تظهر لأن هذه العملية تتطلب ملايين السنوات وظروفا جد ملائمة (كما حدث بالنسبة الى الأرض والشمس).

وتظهر البحوث من القيمة الحرجة منذ البداية، وكان الكون مسطح الهندسة للغاية، وكانت درجة الحرارة فيه موزعة بتجانس جد كبير، وخلاصة القول ان الانفجار العظيم عرض ان يكون فوضوياً (كما يحدث في الانفجارات عادة) وان ينتج ثقوباً سوداء عديدة ومتناثرة، كان بالعكس مميزا بدقة مذهلة.

ثم هناك نتيجة اخرى جد هامة ورائعة تدعم فكرة الصنع المتقن للكون وملاءمته الدقيقة للانسان، تتمثل في عدد الابعاد الفضائية لهذا الكون لماذا يحتو يكوننا على ٣ أبعاد بالضبط، الى جانب البعد الزمني طبعاً؟ لماذا لم يتضمن بعدين فقط او اربعة او غير ذلك؟ لقد طرح العلماء هذه المسألة على أنفسهم منذ مدة، ولما غابت عنهم الفكرة الانثروبية لم يتمكنوا من الاجابة عنها حتى الأزمنة المؤخرة.

كان كانط، الفيلسوف الالماني الشهري، قد لاحظ ان ثمة علاقة مباشرة بين عددة الابعاد الثلاثة للفضاء وقانون نيوتن للجاذبية الذي يقضي بأن قوة التجاذب تتناسب عكساً مع مربع المسافة الفاصلة بين الجسمين المتفاعلين، ولكنه ظن ان صيغة قانون نيوتن هي المبدأ الجوهري وان عدد الابعاد (الثلاثة) هو الناتج ع ن ذلك....

ثم قام العالم الالماني «هرنفاست» (p. etrenfast) بدراسة المسألة بالتفصيل وتطرق الى جوانبها المختلفة فتوصل الى عدد من النتائج الهامة نذكر منها:

ان وجود المدارات الكوكبية المستقرة لا يحدث الا اذا كان الكون ذا بعد يساوي ١ أو ٢ أو ٣...

ان مبرهنة «غاوص» (GAUSS'S HEOREM) (المعروفة في الفيزياء والمتعلقة بالقوى التي تتناسب عكسا مع مربع المسافة، كالقوة الجاذبية والقوة الكهربائية) لا تصح الا في كون ذي ثلاثة ابعاد فضائية.

ان الذرات والجزئيات الكيميائية لا تكون مستقرة الا في كون ذي ابعاد ثلاثة او اقل...

ان الامواج الكروية، مثل الامواج الضوئية، لا يكون انتقالها في الفضاء بسرعة موحدة (اي سرعة الضوء) إلا في كون ذي ثلاثة ابعاد...

ان الاشارات الموجبة تحافظ على انسجامها (لا يحدث لها اعوجاج)، اي تنقل المعلومات كلها سالمة في حالتين فقط: كون احادي البعد، او كون ثلاثي الابعاد.

ان معادلات «ماكسوال» (J.C. MAXWELL) (التي تصف الظواهر الكهرومغناطيسية) تبقى لا متغيرة عند تغيير المعلم (او المشاهد) – وهو الامر الذي الح عليه اينشتاين وادى به الى وضع نظرية جديدة (النسبية) للفضاء والزمن – في حالة واحدة: فضاء ذي ثلاثة ابعاد...

فمن هذا تتضح اهمية الابعاد الثلاثة في كوننا ويتأكد مدى تلاؤم الوجود كله بفضائه وقوانينه ومحتواه مع وجود الانسان وتمكنه من العيش بسلام وبتقدم تدريجي.

واخيراً نود الاشارة الى التناغم المذهل الذي يتجلى للانسان عند دراسته الدقيقة والمتمعنة في الحياة كظاهرة بيولوجية وفي قوانينها.

ان الحياة كظاهرة بيوفيزيائية هي حساسة جدا للمعطيات الكونية، حتى ان اغلبية البيولوجيين يعتبرون احتمال وجود الحياة في مكان ثان من مجرتنا ضئيلا جداً وان التصميم الدقيق لعناصر الحياة يبدو واضحا في البيولوجيا. اذ نجد عناصر عدة ذات خاصيات فيزيائية وكيميائية خارقة للعادة تقوم عليها الحياة.

ان الاعتقاد بجوهرية الانسان في الكون وبضرورة وجود خالق مصمم للكون ومصور للانسان ادى بمعظم الحضارات القديمة الى تبني افكار مشابهة للمبدأ الانثروبي، رغم ان تلك لم توضع على شكل مبادئ او نظريات مؤطرة ولم تدرس نتائجها الفكرية والعلمية، وانما بقيت آراء فلسفية مبهمة.

وبدأ هذا التوجه الفلسفي يتخذ طريقا منهجيا علمياً مع نيوتن، الذي ادى به ايمانه العميق في خالق لهذا الكون المضبوط الى الاقتناع ان ثمة – لا شك – قانوناً جوهريا بسيطاً تسير الاجرام السماوية وفقا له وبالفعل تمكن نيوتن من استنباط قانون التجاذب العام وصياغته صياغة رياضية من ابسط واروع ما يكون ولكن هذا التقدم النوعي الهام– الذي نلح على صلته بالاقتناع بحجة الصنع واتقان الخالق لما اوجد – لم يصل الى مستوى تقديم تفسير ما للدقة الكونية او لجوهرية الانسان.

ووجب انتظار النصف الثاني من القرن العشرين، وبالضبط سنة ١٩٦١ ليبدأ التطرق الى تلك المسألة الفلسفية – العلمية بمنهجية علمية اي بمبدأ الملاحظة ثم وضع تفسير ثم اخضاعه للتجربة.

وكانت البداية الفعلية لدراسة هذا الموضوع مع روبرت ديكي ROBERT DICKDE)) سنة ١٩٦١ حين لاحظ انه لا يمكن للفيزيائيين (او للبشر) دراسة الكون والتساؤل حوله الا في فترة معينة من حياة هذا الكون، بالضبط بين"[٣١٧].

إذن يرى المختصون بالفيزياء أن الحجة الانثروبية تدعم نظرية التصميم الذكي والتي تتعلق بوجود الخالق سبحانه وتعالى.

نعود الى كلام دوكنز حول المبدأ الانثروبي حيث نجده يعمد الى ربط الحجة الانثروبية بالاحتمالية ليبتعد بها عن التصميم الذكي، فيقول:

"البديل الانثروبي للتصميم هو فرضية احصائية. والعلماء يلجأون للارقام الكبيرة. وعدد الكواكب في مجرتنا بين مليار وثلاثين مليار كوكب، ويوجد حوالي ١٠٠ مليار مجرة في الكون. لنرفع عدداً من الاصفار جانباً لمجرد التعقل العادي، فنحصل على مليار مليار كرقم مُتحفظ لعدد الكواكب في كوننا. والآن لنفرض أن ظهور الحياة التلقائي أو ما يشابه الـ DNA هو ظاهرة بلا احتمالية مدهشة. لدرجة انها تظهر مرة في كل مليار كوكب. سيضحك بعض اصحاب المِنح للابحاث الكيميائية لو قال لهم الكيميائي طالب المنحة بأن احتمال نجاح البحث واحد بالمائة. ولكننا هنا نتكلم عن احتمال واحد في المليار. ومع ذلك .. ورغم ضآلة الاحتمالات فإن هُناك احتمال أن توجد الحياة على مليار كوكب – ومنهم بالطبع كوكب الارض. هذه النتيجة مفاجئة جداً وسأكررها هنا. لو كان أحتمال ظهور الحياة التلقائي على كوكب ما واحد في المليار، وعلى الرغم من اللاأحتمالية الكبيرة، فسيكون هناك حياة على أحد هذا المليار من الكواكب. فرصة إيجاد أحد تلك الكواكب المليار يُذكر بالمثل ابرة في كومة قش"[٣١٨].

يا له من منهج علمي راقي !! دوكنز يتحدث عن انه اذا كان هناك احتمالية حياة اخرى في احد الكواكب من بين مليار كوكب فكيف سنجدها فنحن كمن يبحث عن ابرة في كومة قش !! فأين المنهج العلمي في كل ذلك ؟!! ربما هناك حياة ولن تجدوها !!!

---

[٣١٧] مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

[٣١٨] وهم الإله / دوكنز – ص١٣٩ و١٤٠.

دوكنز الذي يحاول التمظهر بمظهر رجل العلم ورجل البايولوجيا ورجل المنهج العلمي التجريبي يضمحل فجأة ليقول انه ربما هناك حياة في كوكب آخر من بين مليارات الكواكب ولن نتمكن من العثور عليها!! ولذلك يجب ان نؤمن بوجودها رجماً بالغيب !!!

المبدأ الانثروبي النسخة الفلكية:

تحت هذا العنوان يتحدث دوكنز كثيراً ولكنت من المؤسف انه ليس في كلامه شيء ذا فائدة علمية، فكل ما اتى به مجرد خيال في خيال، وآراء وظنون، وربما ولعل، وليس في كل ما ذكره شيء يفيد العلم والحجة والبرهان.

يتطرق دوكنز الى الفيزيائي البريطاني د. مارتن ريس Martin Rees والذي له مؤلف مشهور اسمه (Just Six Numbers)، وترجمته: (فقط سنة ارقام)، كتبه سنة ١٩٩٩م، وقد تمت ترجمته الى العربية، وقدّم له د. محمد العوضي.

كتب عبدالله الشهري[٣١٩]:

" يقول تيم رادفورد Tim Radford الكاتب في صحيفة الجارديان عن هذا الكتاب الذي أُلِف في ١٩٩٩م: "تكمن قوة هذا الكتاب في كونه يعالج اللغز الكوني الأوحد والأعمق: كيف أتينا إلى هنا لنسأل هذه الأسئلة؟". والكتاب يفعل ذلك بالحديث عن (ستة أرقام) أساسية لوجود الكون، من الذرة إلى المجرة إلى ما وراءها. ستة أرقام لو أن قيمها كانت أقل أو أكثر مما ينبغي لما كنتُ الآن هنا لأتحدث عن كتاب مارتين ريس"[٣٢٠].

نأتي الان لدوكنز وهو يتحدث عن هذا الكتاب، يقول:

"مارتن ريس، في كتابه ستة ثوابت فقط، يعرض لائحة بست ثوابت أساسية، والتي يُعتقد بثبات قيمتها في كل الكون. وكل من هذه الثوابت له قيمة دقيقة بمعيار معين بمعنى أنه

[٣١٩] هو رئيس مجلس إدارة مركز (براهين) لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية.

[٣٢٠] تعريف بكتاب (فقط ستة ارقام) في الموقع الرسمي لمركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، منشور تحت عنوان (فقط ستة أرقام: القوى العظمى التي تُشكِل الكون). وهو المركز الذي قام بترجمة الكتاب المذكور الى اللغة العربية.

لو تغير بشكل ضئيل فإن الكون سيكون غير ما نعرفه الآن بشكل شامل ومن المحتمل انه لن يكون ملائماً للحياة". ... "لن اتطرق لكل ثوابت ريس الستة. النتيجة لكل منها تبقى نفسها. كل ثابت له قيمة تقع ضمن (النطاق الذهبي) والحياة لن تكون ممكنة خارجهُ. كيف يمكننا الرد على ذلك؟ مرة أخرى، لدينا رد المؤمنين من طرف، والمبدأ الانثروبي في الطرف الآخر"[٣٢١].

وهذا تدليس من دوكنز، فالمبدأ الانثروبي يتناغم مع الثوابت الكونية، وهذه تدل على ذاك، كما ذكرنا آنفاً في فقرة سابقة. بينما يريد دوكنز ان يصوّر وكأن المبدأ الانثروبي في جهة والثوابت الكونية في جهة اخرى ! فالمبدأ الانثروبي يقول بأن كل ما في الكون مهيّا بدقة لظهور الحياة على الارض، والثوابت الكونية تقول بأن هناك عدد من الثوابت (بعض علماء الفيزياء قالوا انها تصل الى حوالي٥١ ثابت كوني وآخرون قالوا ان منها ستة أساسية) هي التي جعلت الكون، والارض جزء منه، على ما هو عليه الآن. "والثوابت الستة التي ينطبق عليها التوافق الدقيق للكون وهي:

١. N: النسبة بين القوى الجاذبية إلى القوة الكهرومغناطيسية.
٢. إبسيلون (ε): القوة التي تربط النوكليون مع نواة الذرة.
٣. أوميغا (ω): الأهمية النسبية للجاذبية وتوسع الطاقة في الكون.
٤. امدا (λ): الثابت الكوني.
٥. Q : نسبة قوة الجاذبية اللازمة لسحب مجرة كبيرة إلى الطاقة المكافئة لكتلتها.
٦. D: عدد من الأبعاد المكانية في الزمكان"[٣٢٢].

فالثوابت الكونية هي جزء من النظام الذي تقول الحجة الانثروبية انه مهيّأ لظهور الحياة والانسان على كوكب الارض بصورة حصرية.

فكيف رد دوكنز على حجة المؤمنين بأن وجود الخالق سبحانه وتعالى هو التفسير الوحيد لظهور الثوابت الكونية والحجة الانثروبية، قال التالي:

---

[٣٢١] وهم الإله / دوكنز - ص١٤٥.

[٣٢٢] الموقع الالكتروني تحت عنوان (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، تحت عنوان (التوافق الدقيق للكون).

"المؤمن يقول بأن الله عندما صمم الكون فإنه وضع هذه القيم لهذه الثوابت الاساسية بحيث أن كلا منها يقع داخل نطاقه الذهبي لأنتاج الحياة. وكأن الله عنده ستة أزرار يديرها لضبط المقدار الخاص بكل ثبات ليقع في نطاقه الذهبي. وكالعادة، فإن جواب المؤمن ليس مقنعاً لأنه يترك موضوع وجود الله بدون شرح"[٣٢٣].

إذن مشكلة دوكنز الاساسية في كيفية تفسير وجود الله تبارك وتعالى، لأن رفضه لوجوده (عزَّ وجل) بدون ان يكون هناك شرح معقول له يدل على هذا الوجود وكيفيته وسببه هو الذي يجعله في ساحة الالحاد ! فدوكنز يمكن ان يقبل بالمبدأ الانثروبي والثوابت الكونية انها جميعاً من خلق إله عظيم وقدير، لو توفر له ذلك الشرح ! فهو يتعامل مع قضية وجود الإله كما يتعامل مع اية قضية ماديّة. ومن الملفت أنَّ هذا الخيال الخصب الذي استعمله دوكنز في تغليف أفكاره في كتابه الذي ننقده (وهم الإله) والظنون التي اسبغها على المواضيع والاحتمالات والاحاسيس التي بذلها من اجل تفسير الظواهر الكونية بعيداً عن وجود الإله كان يمكنه استخدام البعض منها لتفسير وجود الإله لو اراد ذلك. ولكن الحق هو ان مشكلة دوكنز مع وجود الإله ليست مشكلة علمية حقيقية بل هي مشكلة نفسية، فهناك دوافع نفسية في شخصية دوكنز تدفعه لرفض وجود الإله. واتصور ان حادثة الاعتداء الجنسي الذي تعرض له في طفولته، والتي يذكرها دوكنز نفسه دون شعور بالخجل او الخطيئة، كان لها اثر بالغ في ارتمائه في احضان الخطيئة لتقبلها نفسياً بحيث تكون صبغة لحياته من أجل التعايش معها دون شعور بالنقص، ومن تكون صبغة حياته الخطيئة وابعادها وعالمها لن يكون عنده استعداد لقبول نفسي بوجود إله يزرع في نفسه ألم اقتراف الخطيئة وألم التنصل عنها إذا كانت مقبولة في شخصيته منذ طفولته ومتعايش معها !

والظاهر ان غالبية الملحدين لا يبحثون عن ادلة حقيقية او براهين فعلية، بل ينطلقون من افكار مسبقة بصحة الالحاد، فعلى سبيل المثال يقول الملحد البروفيسور فيكتور ستينغر عندما سُئِلَ: (هل قمت بأيّة نقاشات مع المسلمين، وما تعليقك بخصوصهم؟ وما الفرق بينها وبين النقاشات مع المسيحيين؟) فأجاب:

"في الواقع، لا، لم أقم بأيّ نقاشٍ مع المسلمين ولست مهتمًا بذلك، إنّها مضيعةٌ للوقت!

---

[٣٢٣] وهم الإله / دوكنز – ص١٤٥.

بالنسبة للنقاشات مع المسيحيين؛ لقد ناقشت البعض، لم يكن أيٌّ منهم مهتمًا بنقاشٍ عقلانيٍّ جادّ، لقد كانوا يعلمون الجواب وفقط يبحثون عن نقاطٍ للمجادلة الفارغة"[٣٢٤].

فما ادراه ان النقاش مع المسلمين مضيعة للوقت لولا انه ينطلق من دوافع نفسية وافكار مسبقة، فهو لم يقم بحوارات مع المسلمين ولا يهتم لذلك لأنه ينطلق من عقدة نفسية بنتها الديانة المسيحية في دواخل شخصيته. فلا يكترث لحوار حقيقي وجاد مع اية جهة اسلامية. وربما لانه في قرارة نفسه باعتباره مسيحي المولد والنشأة يعتبر كل ما هو غير المسيحية باطل فلماذا يصرف الوقت في نقاش عقائد باطلة، مادامت المسيحية التي نشأ وهو يرى صوابها قد صبَّ عليها جام غضبه الالحادي ! فالمهم عنده هو تدمير الاسطورة والمكانة المسيحية التي يرى صوابها على بقية الاديان، اما باقي الاديان فهو تلقائياً يعتبرها باطلة !!

ولا يفوتنا أن نذكر إنَّ تقبل وجود الإله في حياة الانسان لا تحتاج الى خيالات واحاسيس وظنون، بل تحتاج الى تفكر وتدبر في كيفية ظهور المادة ومصدرها، وفيما اذا كانت المادة ازلية كما يروّج لذلك بعض الملحدين، فما الضير من تقبل وجود إله أزلي فيما إذا كانت فكرة الازلية بحد ذاتها مقبولة عندهم ! وإذا قيل بأن المادة ظهرت بعد العدم فيتحتم قبول وجود قوة غير مادية اظهرتها بعد العدم، وتلك القوة هي الإله (تبارك وتعالى). اما ما يروّج له بعض الملحدون من ان الكون ظهر نتيجة نظرية الاكوان المتعددة او المتوازية فلا يخرج بنا عن التساؤل عن كيفية ظهور مادة تلك الاكوان المتعددة او المتوازية ! وسنتطرق الى هذا الموضوع بصورة تفصيلية بعض الشيء في الفصل الاخير من كتابنا هذا إن شاء الله.

ويضيف دوكنز في إطار تفسيره لوجود الثوابت الكونية من وجهة نظر إلحادية:

"نجيب على الفرضية تلك بمقترح يدعمنا فيه مارتن ريس نفسه، بأن هناك العديد من الاكوان، متواجدة تماماً كفقاعات الرغوة، في العالم المتعدد الاكوان (أو الكون العظيم، كما يحب ليونارد سوسكيند تسميته). القوانين في أحد الاكوان كالذي في نطاق ملاحظاتنا، هي قوانين محلية. والعالم المتعدد الاكوان لديه الكثير من القوانين المحلية المتبادلة. والمبدأ الانثروبي يأتي هنا ليشرح

[٣٢٤] مقال بعنوان (في حوار مع: البروفيسور فيكتور ستينغر) منشور في الموقع الالكتروني الملحدين بالعربي.

بأنه من الواجب أن نكون في احد تلك الاكوان (على الغالب انها أقلية) ذات القوانين المحلية الموآتية في النهاية لتطورنا وتأملنا في المسألة ذاتها"[٣٢٥].

مارتن ريس الذي يزعم دوكنز انه يدعم مقترحه، هو نفسه صاحب كتاب (فقط ستة ارقام) والذي تحدث فيه عن الثوابت الكونية الستة الاساسية، وهو الذي نقل عنه الموقع الاخباري "روسيا اليوم" قوله: (بحوثي أثبتت أن الله خلق الكون)، وقال الخبر في الموقع الالكتروني المذكور:

"خلص عالم الفيزياء الفلكية البريطاني مارتن جون ريس بعد سلسلة من البحوث التي أجراها، إلى أن الكون لم يأت من عدم وأنه من صنع الخالق فعلا. وأكد ريس أنه وبعد أن كان يعتبر نفسه في السابق غير متدين رغم ارتياده الكنيسة، فلم يؤمن بالله إلا بعد بحوثه والفتوح العلمية التي توصل إليها، ودعا في هذه المناسبة العلم والكنيسة إلى التعايش عوضا عن المواجهة.

أناتولي أكيموف مدير معهد الفيزياء النظرية والتطبيقية الروسي ذكّر في هذا الصدد، بأن الكثير من العلماء البارزين على مر التاريخ، خلصوا إلى أن الكون قد كان بقدرة خالق، معيدا إلى الأذهان التعاون الوثيق الذي قام في عهد اسحق نيوتن بين العلم والكنيسة، وأن الكثير من الاكتشافات العلمية استندت إلى مسلمات دينية"[٣٢٦].

وبذلك نستبعد ان يتفق مارتن ريس مع دوكنز في اية قضية إلحادية.

اما ما تحدث دوكنز عنه من وجود اكوان متعددة فهو شيء خيالي ليس له نصيب من الواقع، لا دليل ولا قرينة ولا حتى احتمال ! مجرد قضية افضل ما يمكن ان يقال عنها انها قضية غيبية، فمتى كان الملحدون يؤمنون بالغيب وعالم الميتافيزيقيا ؟!! وكما يقول احمد كمال قاسم:

"افتراضهم لوجود أكوان مهجورة ليس لنا بها أية صلة هي فرضية تضع هذه الأكوان ضمن حيز الميتافيزيقا (ما ليس محسوساً بالحواس الخمس أو تعميماً هي التي لا يمكن قياسها)، ومن المعلوم أن الميتافيزيقا منبوذة لدى الملحدين، وإلا لما رفضوا وجود الخالق

---

[٣٢٥] وهم الإله / دوكنز – ص١٤٧.

[٣٢٦] خبر بعنوان (عالم فيزياء بريطاني: بحوثي أثبتت أن الله خلق الكون)، منشور في الموقع الالكتروني الرسمي لوكالة انباء روسيا اليوم، بتاريخ ١ / ٥ / ٢٠١٧.

من حيث المبدأ، إذًا فقد ورطوا أنفسهم في الاعتراف بما وراء الطبيعة لكي ينبذوا وجود خلق للكون وللإنسان، وهذا منتهى العبث أن ينكروا ماوراء الطبيعة –وجود الله– ثم يعترفوا به –بالنسبة لأكوان ليس باستطاعتهم رصدها– لنفيه.. لقد وقعوا في هراء ليس له مثيل"[٣٢٧].

ويقول د. محمد العوضي:

"ومن المهم لفت الأنظار إلى أن العلماء المستدلين بهذا الدليل ليسوا غافلين عن الاعتراض الذي يوجهه الملاحدة بفرض عوالم متعددة، يكون عالمنا هو الوحيد المتقن فيها، فإن معتنق هذا الرأي وإن شكك في يقينية هذا الدليل إلا أنه لا يمكنه أن يلغي الظن القوي جدا الحاصل به، إذ أن احتمال مصادفة هذه الصفات في هذا الكون، أو احتمال وجود عدد كبير جدا من الأكوان يكون ضئيلًا جدا وبصورة لا تذكر، وعلى هذا فلا يجوز ترك العمل بالظن القوي الأقرب إلى القطعية بسبب احتمال ضعيف واهن. ولو أن أحد المعارضين الموضوعيين واجهها في حياته لبلورة آرائه، فإنه لن يلتفت لهذه النسبة الضئيلة انقيادا لمنطق العقل في تغليب الظن الأقرب للصواب.

لكن السؤال الذي ينبغي ألا يغيب عن الأذهان هو: لماذا يُضحي الملاحدة بالدليل القوي الراجح المتسق مع التفكير المنطقي، ويختارون بديلا احتماليا هزيلا يعضون عليه بالنواجذ؟!

هل نحن أمام من يناقشنا بحجج عقلية برهانية؟ أم أننا نواجه قوما مسكونين بالدوافع النفسية المسبقة التي سرعان ما تنكشف تحيزاتها عند إلزامها بالاحتكام إلى البراهين ومنطق العقل المبين؟".

[٣٢٧] مقال بعنوان (المبدأ الإنساني وإحراج الإلحاد)، بقلم احمد كمال قاسم ، منشور في الموقع الالكتروني طريق الاسلام، بتاريخ ٢٠١٤/٩/٦م.

ويقول دوكنز رجماً بالغيب:

"بعض الفيزيايين المتزمتين يقولون بأن الازرار الستة لم تكن لها الحرية في أي وقت من الاوقات لتتغير، وعندما نصل للنظرية الجامعة التي طالما أملنا بمعرفتها، سنجد ان الثوابت الستة تعتمد كلياً على بعضها، او على شيء آخر ليس معروفاً بعد، وبطرق لا نستطيع تخيلها في ايامنا هذه. ربما تكون الثوابت الستة عديمة الحرية في التغير تماماً كما في محيط الدائرة بالنسبة لمساحتها. وسنعرف حينها بأن هناك طريقة واحدة لوجود الكون. كون لا يحتاج أساساً لإله ليضبط أزراره الستة. ليس هناك أزرار أساساً"[٣٢٨].

كلام دوكنز هذا ذكرني بكلام آخر للملحد دوغلاس آدمز:

"من الخطأ أن تظن أن بإمكانك حل مشكلة جوهرية بأساليب تافهة" !!

فلا يليق وصف كلام دوكنز هذا الا بكونه تافهاً لانه يلجأ فيه الى افتراضات خيالية وامنيات ليس لها نصيب من العلم او الواقع أو الفلسفة، فكله هراء في هراء. وصدق الملحد مايكل روز M. Ruse حين قال عن كتاب دوكنز هذا (وهم الإله):

"جعلني اخجل من كوني ملحداً"[٣٢٩] !

فدوكنز يبني كلامه على نفي الثوابت الكونية الستة على امل ان تظهر في يوم من الايام النظرية الجامعة، وهي حلم من احلام بعض العلماء ان يتوصلوا في يوم من الايام الى نظرية تجمع القوى الرئيسة الاربعة والتي تقترض نظرية الانفجار العظين انها كانت متحدة فيما بينها لحظة بدء الانفجاء ثم انفصلة الواحدة تلو الاخرى تدريجياً وهي: قوة الجاذبية والقوة النووية القوية، والقوة النووية الضعيفة والقوة الكهرومغناطيسية. وعن هذه القوى وأمل ظهور نظرية تجمعها جميعاً يقول ستيفن هوكينغ هوكينغ:

---

[٣٢٨] وهم الإله / دوكنز – ص١٤٦.

[٣٢٩] لقاء مع مايكل روز منشور في موقع اليوتيوب تحت عنوان: (ملحد يقول كتاب دوكنز جعلني أخجل من كوني ملحدا Atheist M. Ruse says Dawkins' book is an embarrassment).

"الهدف النهائي للعلم هو ان يمد بنظرية وحيدة تصف الكون كله"[٣٣٠].

ويقول أيضاً:

"فإنَّ معظم الفيزيائيين يأملون في العثور على نظرية موحَّدة تفسِّر كل القوى الاربع على انها أوجه مختلفة لقوة وحيدة. والحقيقة أن الكثيرين سيقولون إنَّ هذا هو الهدف الرئيسي للفيزياء اليوم"[٣٣١].

والواقع العلمي اليوم يقول بأنه تم النجاح بتوحيد القوى النووية الضعيفة والقوى الكهرومغناطيسية فقط، بنظرية (واينبرج– سلام) وبسببها مُنِحَ العالم الفيزيائي الباكستاني محمد عبد السلام وعالم الفيزياء الامريكي ستيفن واينبرج Steven Weinberg في عام ١٩٧٩ جائزة نوبل للفيزياء. اما توحيد جميع القوى الاربعة في قوة واحدة فهو ما زال مجرد حلم وامنيات، فيأتي دوكنز ويستثمر هذا الحلم والامنية ليقول انها هي التي ستبين بطلان نظرية الثوابت الكونية الستة !! وهكذا يمكنه ان يتجاوز حقيقة وجود الثوابت الكونية الستة التي تدل على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

وما ادرى دوكنز انه وفقاً لامنيته في ظهور النظرية الجامعة التي توحد القوى الاربعة لن يصل العلماء الى ان ظروف توحيد القوى الاربعة ستدل هي الاخرى على وجود الخالق سبحانه وتعالى كما دلت على ذلك الثوابت الكونية الستة !

ويقول دوكنز:

"التطور نحو التعقيد لا يأتي كنتيجة لِسمة متأصلة نحو التعقيد المتزايد، وليس بسبب التحيّز في الطفرات الوراثية. بل أنها تأتي من الانتخاب الطبيعي، تلك العملية التي كما نعرفها حتى الان تُعتبر الوحيدة القادرة على تفسير نشوء الانظمة المعقدة من الابسط. نظرية الانتخاب الطبيعي بسيطة وصريحة. وكذلك الاصل الذي بدأت منه. ومن ناحية

---

[٣٣٠] تاريخ موجز للزمان / ستيفن هوكينج – ص٣٦.

[٣٣١] المصدر السابق – ص١٢٥.

أخرى فإن التفسير الذي تقدمه لنا عن التعقيد اللامتناهي: أكثر من أي شيء نطمح في تخيله، وبدون إله يحتاج لتصميمها"[٣٣٢].

ورغم ان الانتخاب الطبيعي هو فرضية لم يثبت وجودها لحد الآن بصورة علمية تجريبية. الا ان دوكنز يعوّل عليها كثيراً فألّف كتاباً عنها اطلق عليه عنوان (صانع الساعات الاعمى)! وهناك مؤلفات عديدة تبين تهافت الانتخاب الطبيعي كطريقة لتطور البسيط الى معقد! وسبق ان ذكرنا ان مفهوم الانتخاب الطبيعي عند دوكنز يختلف عنه عند داروين الذي يقول عنه ان يراكم التمايزات فقط وليس له دور في انتاج التمايزات نفسها، بينما يذهب دوكنز الى ان الانتخاب الطبيعي هو الذي يسبب التمايزات بدون ان يقصد ذلك بحيث شبهه بصانع ساعات اعمى!!

وموضوع الخلق يحاول دوكنز تبسيطه واختصاره في الانتخاب الطبيعي، مع ان مووضع خلق الكون فيه تفاصيل اعمق بكثير من السطحية التي يحاول دوكنز التعامل بها.

فهناك سؤال عن كيفية ظهور المادة التي يتألف منها الكون؟

وسؤال عن كيفية ظهور الفراغ الذي تدور فيه الكواكب والنجوم وسائر المجرات؟

وسؤال عن كيفية ظهور الحياة في كوكب الارض بصورة حصرية؟

الفيزياء المعاصرة تمخضت عن النظرية الاشهر وهي نظرية الانفجار العظيم التي ربما تجيب عن جانب بسيط من موضوع اتساع عالم المادة، ولكنها لا تجيب عن اي شيء من الاسئلة الثلاثة السابقة ! فكيف ظهرت المادة التي انفجرت؟ ومن خلق المكان الذي حدث فيه الانفجار؟ وما هو سبب الانفجار؟ ومن الذي اوعز ببداية الانفجار؟ ثم يأتي بعد ذلك السؤال عن كيفية ظهور الحياة على الارض، وهو موضوع مختلف تماماً ويحتاج لإجابة علمية مقبولة.

فالانتخاب الطبيعي – بفرض صحته، وفرض المحال ليس بمحال – لا يمكنه تفسير ظهور المادة، بل اقصى ما يمكنه هو تفسير سلوك المادة من البساطة الى التعقيد من خلال قيامه بتراكم التمايزات بحسب فرضية داروين! اما مصدرها وكيف ظهرت فلا يمكن للانتخاب الطبيعي الاجابة عنه! كما لا يمكنه الاجابة عن مصدر ظهور المكان الذي حدث فيه الانفجار العظيم، ولا الاجابة

[٣٣٢] وهم الاله / دوكنز – ص١٥٣.

عن كيفية ظهور الحياة في الخلية الاولى المفترضة من قبل الملحدين! فالانتخاب الطبيعي لا يمكنه الاجابة عن الاسئلة الجوهرية في الموضوع، وإنما يستخدمه دوكنز لذر الرماد في العيون!

استراحة في كامبردج:

قبل الدخول في تفاصيل هذه الفقرة اثارتني جملة كتبها دوكنز عرفت من خلالها عظمة مذهب الشيعة الامامية فوق ما اعرفه من عظمه. كتب دوكنز:

"لو ان الله فعلاً تكلم مع اشخاص فإن هذا بحد ذاته يؤكد بأن الموضوع لا يقع خارج نطاق العلم. الله يأتي زاعقاً من عالم يقع في مجال آخر حيث يسكن عادة ويقتحم عالمنا حيث يكون بالمستطاع فهم رسالته من خلال الدماغ البشري، أتلك ظاهرة ليس لها علاقة بالعلم؟"[٣٣٣].

يتصور دوكنز انه ما دام الاله يتصل بعالمنا ويتكلم مع البشر فهو اذن يدخل في عالمنا المادي ليبصح جزءا منه وحينئذ من حق الملحد ان يسأل عن الطبيعة المادية للإله التي يتكون منها والتي مكنته من الظهور في علمنا بصوته وصورته احينا اخرى وفق الفكر المسيحي، وبذلك يتصور دوكنز ان من حقه ان يقول بأن الاله يجب ان يكون اكثر تعقيداً من مخلوقاته ليتمكن من انتاجها، وان الاله يجب ان يكون اكثر لا احتمالية من طائرة البوينغ ٧٤٧، وبالتالي اذا كنا نستبعد ظهور طائرة البوينغ ٧٤٧ بصورة تلقائية ذاتية وفقاً للاحتمالية فكذلك يجب على المؤمنين تفسير ظهور الاله ووجوده بصورة علمية ! وهذا كل ما يريد دوكنز قوله في كلامه عن طائرة البوينغ ٧٤٧ في هذا الفصل وقد ناقشناه في فقرات سابقة. ولكن يبدو ان دوكنز لا يعرف ان الشيعة الامامية يقولون بأن الإله تبارك وتعالى يخلق كلامه، ويخلق الصوت المنسوب اليه. بخلاف باقي مذاهب المسلمين. وشاركهم في ذلك المعتزلة المرتبط اسمهم بما يعرف في التاريخ الاسلامي بمحنة خلق القرآن، وملخَّصها ان المعتزلة (الذين أخذوا عقيدتهم في خلق كلام الله عن الشيعة الامامية الذين يملكون نصوصاً صريحة عن الائمة الاطهار (عليهم السلام) في ان الله تبارك وتعالى يخلق كلامه) يقولون بان القرآن مخلوق وليس قديم، اي بمعنى انه محدث، وهو

[٣٣٣] وهم الاله / دوكنز – ص١٥٦.

قول الشيعة الامامية. إذن تبطل حجة دوكنز لأن الاله عز وجل حينما يتكلم مع انسان (يكون نبياً عادةً) فإنه لا ينتقل الى عالمنا المادي او يظهر او يتجسد فيه بل هو سبحانه وتعالى يخلق كلامه في عالمنا كما يخلقنا.

نعود الى دوكنز الذي نجده في هذه الفقرة يركز على موضوع أنَّ الإله إذا كان موجوداً فيجب ان يكون معقداً بحسب ظنه ! لأنه مثلما من غير المحتمل ان طائرة البوينغ المعقدة التركيب ان تظهر الى عالم الوجود بصورة تلقائية وفق نظرية الاحتمالات، ويقول المؤمنون بان ظهورها التلقائي لا احتمالي، فكذلك يقارن بين ظهور طائرة البوينع ٧٤٧ على حد تعبيره وبين وجود الإله الذي يفترض بحقه أمرين الاول ان الاله ايضا يجب ان يكون معقداً في تركيبه ليتمكن من انتاج مخلوقات معقدة التركيب ! والثاني انه مادامت طائرة البوينغ ٧٤٧ لااحتمالية في ظهورها التلقائي فكذلك يجب ان يكون الاله لااحتمالي في ظهوره ووجوده الذاتي، فعلى المؤمنين تفسير كيفية وجود الإله! هذه ملخص فكرته في هذه الفقرة !

يقول دوكنز بخصوص الامر الاول:

> "الله القادر على ارسال الملايين من الاشارات المنفردة في نفس الوقت واستقبال رسائل منهم في نفس الوقت أيضاً لا يُمكن ان يكون بأي شكل من الاشكال بسيطاً مهما كان. قدرة هائلة لأستقبال هذا الكم من الموجات الكبيرة، ربما انه لا يملك دماغاً من النيوترونات أو ذاكرة من الرصاص ولكن القوة التي تعزى له تجعله ممتلكاً لأشياء مدبرة مبهرة وليست عشوائية أبداً وأعظم كثيراً من أكبر الحواسيب التي نعرفها"[٣٣٤].

صدق الله العليّ العظيم القائل: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)).

ان دوكنز ينطلق في رؤيته للإله من خلفية ثقافية مسيحية لا يتمكن ان ينفك عنها، او هو لا يريد ان ينفك عنها لانها تصب في صالح منهجه الالحادي! فهو يصور الاله كرجل ذو لحية بيضاء – كما ذكر هو نفسه في موضوع آخر من كتابه هذا – او يتصوره يتجسد إلخ ... ، ولذلك فهو لا يتمكن ان يفهم وجود إله بسيط قادر عظيم لأنه يتصوره كتجسد بشري او هيئة بشرية، وقال

[٣٣٤] وهم الاله / دوكنز – ص١٥٧.

تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))، فلا يمكن للذهن الانساني ان يتخيل او يتصور الاله على صورة بذاتها لان كل ما يتصوره او يتخيله عن الإله هو غير الله تبارك وتعالى.

عندما يقول المسلم ان الله تبارك وتعالى بسيط فهذا يعني انه عزَّ وجل غير مركب فلا يحتاج لأجزائه، فهو الغني تبارك وتعالى. والبساطة الإلهية هي البساطة العظيمة والحكيمة والعليمة والقديرة على كل شيء. فلا تعارض بين بساطة الله تبارك وتعالى وبين قدرته على الاحاطة بجميع مخلوقاته وكافة تفاصيل الحياة وجزئياتها.

قال تعالى: ((أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ))،

وقال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)).

وامّا بخصوص فكرة دوكنز عن لا احتمالية ظهور الإله وبالتالي يجب على المؤمن تفسير كيفية ظهوره ووجوده، فالظاهر ان دوكنز لا يتمكن ان يرتقي بتفكيره ليستوعب حقيقة ان الله سبحانه وتعالى دائم الوجود. لا يتمكن ان يستوعب ان المخلوقات هي التي لم تكن ثم كانت، هي التي يصح عليها العدم قبل وجودها وبعد فنائها. اما الله تبارك وتعالى فلا يمكن ان يطرأ عليه العدم او الفناء وإلا لما كان هو الإله.

كل ما يمكن ان يلحق به عدم او فناء لا يمكن ان يكون إلهاً، فهل يمكن لدوكنز ان يستوعب هذه الحقيقة؟

الله تبارك وتعالى دائم الوجود والبقاء، وهو الذي اوجد الوجود بعد العدم لمخلوقاته والفناء بعد الوجود لها، فلا يصح ان نطالب بأن نخضع الإله في تفكيرنا للامور التي اوجدها هو نفسه! الإله اوجد المادة بعد العدم، فيأتي الملحد ويقول ان الإله ايضا ظهر بعد العدم ! لو كان الإله يوجد بعد العدم لما كان إلهاً أصلاً لأنه في هذه الحالة يحتاج لمن يوجده ومن يوجده ايضا لمن يوجده فتتسلسل المسالة الى ما لا نهاية !! وتسلسلها مرفوض عقلاً لأنه لا يوصلنا للنتيجة الصحيحة وهي وجود إله واحد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ثم يتحدث دوكنز محاولاً اضفاء الصبغة العلمية على كلامه دون جدوى فما تحدث به هي امور بعيدة عن البحث العلمي وبعيدة حتى عن الفلسفة، تحدث بأمنيت وتوقعات ورؤى خيالية، فقال:

"انا لا اقترح هنا نوعاً من التضييق على التفكير العلمي. ولكن على الاقل بعض الامانة في السعي للحقيقة والتي يجب وضعها كقاعدة في شرحنا للامور العظيمة اللااحتمالية كغابات الامازون وشقوق المُرجان أو الكون، والقاعدة هي العمل كرافعة من الاسفل الى الاعلى وليس العكس كخطاف سماوي. والرافعة ليست الانتخاب الطبيعي بالضرورة. مع الاعتراف بأن لا أحد جاء بطريقة أفضل. ولكن من الممكن أن تكون هناك نظريات اخرى تنتظر الاكتشاف. وربما ان "التضخم" الذي ينادي به الفيزيائيين والذي حصل في الجزء من الميكروثانية في وجود الكون، ستصبح حين فهمها بشكل أفضل، الرافعة الغامضة التي يبحث عنها الفلكيون ستكون نوعاً شبيهاً للفكرة الدروينية نفسها: نموذج سمولين أو ما شابه أو ربما سيكون تعدد الاكوان مقترناً بالمبدأ الانثروبي كما في حالة ريس وآخرون. ربما يكون هناك مصمم خارق ولكن في هذا[٣٣٥] الحالة لن يكون مصمماً أتى من العدم بالتأكيد. ولو كان كوننا مصمماً (وإنْ كنت لا أصدق هذا حتى الآن)، ومن باب أولى لمصمم يقرأ أفكارنا ويعرف الغيب ويسامح ويصحح فإن المصمم نفسه يجب أن يكون نتيجة لتراكم العديد من اعمال الروافع والمصاعد، ربما نسخة داروينية في كون آخر"[٣٣٦].

لا شيء من كلامه فيه رائحة العلم والمنطق، اللهم سوى قوله بأن المصمم الخارق لن يكون اتى من العدم، وهذا ما نقوله فالإله لم يأتِ من العدم لأنه دائم الوجود دائم الحياة دائم البقاء لم يسبقه عدم ولا ينتهي الى فناء، هو ازلي ابدي. أما بقية كلام دوكنز فمجرد افكار شخصية على غير اسس علمية ولا فلسفية ولا منطقية. وكلنا يعلم ان موضوع وجود اكوان اخرى هو مجرد آراء شخصية يطلقها بعض الأشخاص ليس لها رصيد علمي ولا اساس واقعي بل ولا محتملة لأنها أفكار مبنية على فراغ ولهو وعبث، فهي مجرد آراء يذكرها البعض للابتعاد بفكر الانسان عن ساحة الاعتراف بالخالق وتوحيده الى ساحة الالحاد.

---

[٣٣٥] الاصح ان يقول المترجم: (هذه الحالة).

[٣٣٦] وهم الاله / دوكنز – ص ١٥٧- ١٥٨.

ثم نجد دوكنز يقول بكل وقاحة كاشفة عن اسلوبه في تغيير الحقائق:

"القرن التاسع عشر هو آخر وقت كان يستطيع فيه الشخص المتعلم أن يعترف بأيمانه بالمعجزاتن مثل الحمل العذري بدون احراج. وعندما يُحرجون فإن الكثيرين من المثقفين المسيحيين مخلصين لدرجة انهم لا يستطيعون نفي الحمل العذري او القيامة. ولكن ذلك يحرجهم لأن المنطق العقلي يعرف بأن ذلك غير معقول، ولذلك فإنهم يُفضلون بأن لا يُسألوا"[٣٣٧].

نحن الآن في القرن الواحد والعشرين الميلادي وهناك المئات من المتعلمين والمثقفين والعلماء ومن مختلف الجنسيات والاديان السماوية يؤمنون بحدوث المعجزات. وإذا كان دوكنز يتصور بأن المعجزات لا يتحملها المنطق العقلي وانها غير معقولة فهذا صحيح وهذا سبب كونها معجزات. فلو كانت المعجزات يمكن تفسيرها بصورة علمية لما اصبحت معجزات، ولذلك تبقى المعجزة أمراً خارقاً للعادة وخارقاً للعلوم في كل العصور، ولذلك هي معجزات تثبت وجود قوة غيبية خارقة ورائها هي القوة الإلهية التي اوجدتها.

ثم يلخّص دوكنز افكاره في هذا الفصل في ست نقاط، الاولى:

"اعظم التحديات للذكاء الانساني، وعبر القرون، كان شرح التعقيد الكبير واللااحتمالية العظيمة التي تظهر في الكون"[٣٣٨].

نعم، تحدي ذكاء الانسان عبر القرون كان من اهم المناهج التي تقوّم حياة الانسان، وفي إتجاهين:

---

[٣٣٧] وهم الإله / دوكنز – ص١٥٩.

[٣٣٨] المصدر السابق – ص١٦٠.

الاول: ساهم في تطور العلوم، فكلما تطورت العلوم وتوصل العلماء الى تفسير الظواهر الحياتية بصورة علمية، كلما ساهم ذلك في سيطرة الانسان على مجريات حياته وتطويرها وتحسينها، والمكتشفات العلمية من حولنا في كل مكان تغنينا عن الاشارة الى بعضها. وفي بعض الاحيان يحدث اساءة لاستخدام العلوم فيما يضر الحياة من قبيل التلوث البيئي والاسلحة النووية والذرية والكيمياوية والجرثومية وغيرهان والافلام الاباحية والاغاني وغيرها.

الثاني: هناك امور علمية يرى العلماء انهم لا يمكنهم ان يصنعوها او ياتوا بمثلها. من قبيل انهم لا يمكنهم ان يصنعون نجماً في مجرتنا، ولا ان يصنعوا كوكباً يدور حول اي من كواكب مجموعتنا الشمسية او حول الشمس. ولا يمكنهم ان يصلوا لسرعة اسرع من الضوء. ولا يمكنهم ان يجدوا بديلاص عن الهواء يتنفسه الانسان في حياته. ولا يمكنهم ان يصنعوا غلافاً جوياً حول احد الكواكب المفتقرة له لكي يتمكن الانسان من العيش فيه. هذه القضايا ومثيلاتها تجعل العلماء يقفون عاجزين امامها وتكشف لهم عن التعقيد الهائل الذي يحيط بالكون وتكوينه ونشأتهن وتبين لهم بما لا يقبل الشك ان هناك قوة عظيمة وحكيمة وراء تكوينه بهذا الشكل. بينما يحاول بعض الملحدين تغافل هذا التعقيد الهائل في الكون بما يحويه من مليارات النجوم والمجرات، ليضعوا نظريات سخيفة عن كيفية نشوء الكون تلقائياً بدون وجود تلك القوة العظيمة والحكيمة خلف نشوءه ! وصدق الله العليّ العظيم القائل: ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ)).

ومن النظريات السخيفة وغير المجدية التي يتحدث بها الملحدون عن نشوء الكون ما يُسمّى بنظرية الاكوان المتعددة، المتتالية او المتوازية، ورغم ان هذه النظرية الموهومة لا دليل عليها من علم او فلسفة او منطق، بل هي مجرد هلوسات بدون مخدرات، فد فات الملحدون انهم عاجزون عن تفسير ظهور كون واحد هو كوننا فكيف سيفسرون العشرات او المئات او آلاف الاكوان المتعددة !

ويعتمد بعض الملحدين الى الاتكاء على نظرية داروين لأثبات ان الانسان ظهر بصورة تطورية وليس من خالق قد خلقه! ورغم المشاكل العلمية التي تكتنف نظرية دارون والفجوات والحلقات

المفقودة في السجل الاحفوري، ما جعل العلماء الرصينون يعرضون عنها، ما ليس محل تفصيله هنا. فقد فات اولئك الملحدون ان حدود نظرية داروين لا تقترب من فرضية نشوء الحياة من خلية واحدة، فهذا ما لا تتطرق اليه نظرية داروين. فكيف ظهرت تلك الخلية التي يفترض الملحدون ان الحياة تطورت منها وكيف حصلت على الحياة، هذا ما لا تتناوله نظرية داروين، وليس هو من اختصاصها، فهي نظرية بعيدة عن تفسير كيفية ظهور الحياة في الانسان والحيوان والنباتات. والعلم اليوم عاجز تماماً عن صنع خلية حيّة واحدة، حيوانية او نباتية.

ويحاول دوكنز ان يأتي بنظرية قد تكون الاكثر سخافة، وهي انه يفترض ان الانتخاب الطبيعي هو الذي انتج الكون وهو الذي يفسر التعقيد الهائل فيه ! وبغض النظر عن سرابية مفهوم الانتخاب الطبيعي وسرابية وجوده، فالانتخاب الطبيعي بحسب داروين يجب ان يتلو ظهور التمايزات في المادة ولا يمكنه ان يسبق ظهورها، وكذلك مفهومه عند دوكنز بأنه ينتج التطورات فهذا يعني ضرورة وجود المادة الحيّة اولاً لكي تتطوّر. فيما مشكلة الملحدين انهم عاجزون عن تفسير كيفية ظهور المادة اولاً وكيفية ظهور الحياة ثانياً. فلا يمكن من حيث العقل والمنطق ان يقال ان التالي هو المتسبب في ظهور السابق! لا يمكن ان يكون الانتخاب الطبيعي الذي يفترض انه يظهر بعد ظهور المادة سبباً في ظهور المادة نفسها !!

والنقطة الثانية من نقاط دوكنز الست:

> "الاغراء الطبيعي هو أن نعزي كل ما يبدو مصمماً الى أن يكون مصمماً بالفعل. وفي حالة المصنوعات الانسانية الدقيقة كالساعة مثلاً، فإن المصمم كان بدون شك مهندساً ذكياً. ومن المغري تطبيق نفس المنطق على العين والجناح والعنكبوت والانسان"[٣٣٩].

! يريدنا دوكنز عندما نرى الساعة ان نقول ان مهندساً ذكياً هو من صنعها، ولكن حينما نرى عين الانسان ان نقول ان قوة عمياء وجاهلة صنعتها لتخرج بهذه الروعة والاتقان !! ولذلك ألّفَ كتابه (صانع الساعات الاعمى) الذي يلخص هذه الفكرة التافهة !! والذي يقول فيه ان الانتخاب الطبيعي هو الذي صنع عين الانسان !! متجاوزاً المنطق العقلي القائل بأن فاقد الشيء لا يعطيه.

---

[٣٣٩] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٠.

فالانتخاب الطبيعي، صانع الساعات الاعمى، هو الذي يعطي الاتقان والعبقرية رغم انه اعمى وجاهل !

والنقطة الثالثة من نقاط دوكنز الست، يقول:

"فرضية المصمم تثير فوراً السؤال الكبر عن مصدر المصمم نفسه. كل المسألة بدأت من محاولة شرح لا احتمالية منطقية. وهذا بوضوح ليس حلاً لأنه يطرح شيئاً لا احتماليته أكبر. ونحن هنا بحاجة لـ "رافعة" وليس لـ "خطاف سماوي"، لأن الرافعة لوحدها تستطيع العمل بتدرج معقول التصديق من بداية بسيطة لنهاية معقدة عظيمة اللااحتمالية"[٣٤٠].

إذن يرى دوكنز بما ان كوننا معقد لدرجة كبيرة بحيث لا احتمالية ان يكون قد ظهر تلقائياً فيجب ان يكون الإله الذي خلقه ايضاص معقد لدرجة اكبر بحيث لا احتمالية ان يكون قد ظهر تلقائياً !!! ولذلك يجب على المؤمنون تفسير كيفية ظهور الاله الشديد التعقيد الذي انتج هذا الكون المعقد والمصمم بذكاء واتقان !!! ولكن قد فات دوكنز ان المؤمنون بوجود الخالق لا يقولون ان الإله ظهر وان لااحتمالية ظهوره تلقائياً اكبر من احتمالية ظهور الكون، بل المؤمنون يقولون ان الإله دائم الوجود. ولو كان قد ظهر بعد ان لم يكون لما اصبح إلهاً لأنه سيكون محدث بعد العدم !! هذا ليس من دين المؤمنين ولا عقيدتهم ولا رؤيتهم الدينية. تلك الرؤية يريد دوكنز اشاعتها ولكنها ليس الرؤية الدينية المقصودة من المؤمنين. لو كانت لااحتمالية الإله اكبر من لا احتمالية الكون فهذا يعني ان الذي اظهر الإله كان يمكنه اظهار الكون الاقل لا احتمالية بدلا من اظهار إله اكبر لا احتمالية !! وسيكون من اظهر الإله هو الإله المقصود وهكذا تتسلسل المسالة الى ما لا نهاية ! إذن إشكال دوكنز فضلاً عن انه لا يبين وجهة نظر المؤمنين فهو اشكال متسلسل ولا يصلح لفكرة ظهور إله اصلاً.

بصور اكثر وضوح:

الكون لا احتمالي الظهور التلقائي.

الإله (أ) اكبر لا احتمال ظهور تلقائي من الكون.

---

[٣٤٠] وهم الاله / دوكنز – ص١٦٠.

السبب (ب) هو الذي انتج الإله (أ)، ولذلك هو أكبر لا احتمالية منه، ويحتاج لسبب آخر لظهوره.

السبب (جـ) هو الذي انتج السبب (ب)، ولذلك هو أكبر لا احتمالية منه، ويحتاج لسبب آخر لظهوره.

السبب (د) هو الذي انتج السبب (جـ)، ولذلك هو أكبر لا احتمالية منه، ويحتاج لسبب آخر لظهوره.

فتتسلسل المسألة الى ما لا نهاية !!

وبالتالي فإنه لا الإله (أ) ولا الاسباب (ب) و(جـ) و(د) و(هـ) إلخ هي تصلح لأن تكون آلهة، لأن الإله يجب ان لا يسبقه العدم. لأنه لو كان مسبوقاً بالعدم لكان محدثاً مصنوعاً مخلوقاً فيحتاج الى صانع او خالق، فتتسلسل المسألة.

اما كيف يمكن لعقل الانسان ان يتعقل وجود إله عظيم وحكيم ودائم الوجود، لم يسبقه عدم ولا يلحقه فناء، فهو انه ليس هناك امام الانسان خيار سوى الاذعان لهذه الحقيقة شاء ام ابى، لأن نور حقيقة وجود الإله تفرض نفسها. وفي حياة الانسان هناك قضايا كثيرة يؤمن بوجودها وإن عجز عن تفسيرها. مثلاً وجود الجاذبية الارضية فليس امام الانسان سوى ان يؤمن بوجود الجاذبية لانها حقيقة واقعة، ولكن ماهي الجاذبية لا احد يعرف على وجه الدقة ما هي ولا كيفية عملها ولا اسباب ظهورها، رغم وجود عدة نظريات ظنية تتناول الموضوع الا ان العلماء لم يتوصلوا لتأييدها بشكل قاطع. وأيضاً وجود هذا الكون الدقيق والكائنات الحية على الكرة الارضية تبرز بوضوح انه لا يمكن ان يكون كل شيء قد حصل بصورة عبثية او تلقائية عمياء او جاهلة !

ومن هنا جاءت المعجزات الإلهية التي تخرج القوانين التي يسير الكون عليها لتكشف بما لا يقبل الشك وجود الإله الذي قنن قوانين الكون وخرقها بمعجزاته التي لا يمكن للعقل البشري الا ان يخضع امام عظمتها. ويمكن ان يكون في قصة السحرة الذين ارادوا مقاومة معجزة النبي موسى (عليه السلام) ثم اذعنوا لها وآمنوا بنبوته، خير مثال على خضوع العلماء لعظمة المعجزات الإلهية. فالسحرة قد وصلوا القمة في سحرهم لدرجة انهم يسحرون اعين الناس ويحولون العصا الى افعى ، ولكن حينما اصطدموا بالمعجزة الالهية التي فاقت مقدرتهم وجعلت الافعى المتحولة

عن عصا موسى (عيه السلام) تاكل افعاهم، عرفوا ان هناك قوة اعظم من قمة ما يعلمونه من سحر، فأذعنوا لمعجزة الاله التي خرقت علومهم وسحرهم.

والنقطة الرابعة من نقاط دوكنز الست، يقول:

"الرافعة الابدع والاقوى حتى الان هي التطور الداروينى بالانتخاب الطبيعي. داروين ومن خلفهُ شرحوا لنا كيف أن الاحياء بالرغم من لااحتماليتهم الكبيرة والانطباع الذي يُعطونه عن التصميم الا أنهم تطوروا ببطء وبشكل تدريجي من بدايات بسيطة. وبإمكاننا القول بدون مخاطرة بأن وهم التصميم في الكائنات الحية هو مجرّد وهم"[٣٤١].

رغم ان الانتخاب الطبيعي قضية لم تثبت بصورة علمية تجريبية، ومع ذلك وكما ذكرنا آنفاً ان قضيتنا ليست في هل ان تطور الاحياء هو نتيجة الانتخاب الطبيعي ام لا؟! وهل ان الله تبارك وتعالى هو الذي اعطى الكائنات القابلية على الانتخاب الطبيعي ام لا؟ – في حالة افتراض ان الانتخاب الطبيعي امر حقيقي وعلمي وثابت، وفرض المحال ليس بمحال – بل قضيتنا هي في كيفية ظهور الخلية الحية الاولى التي يدّعي الملحدون ان الكائنات تطورت عنها. وكذلك قضيتنا في كيفية ظهور المادة التي تشكل منها الكون. إذن القضيتان الرئيسيتان (المادة والخلية الحية) لا يتم حل اشكالية وجودها وظهورها الى الواقع من قبل فرضية الانتخاب الطبيعي.

والنقطة الخامسة من نقاط دوكنز الست، يقول:

"حتى الان ليس لدينا رافعة مُماثلة للفيزياء. وشيء ما كنظرية الأكوان المتعددة يمكنها من حيث المبدأ ان تعمل ما عملته الداروينية في علم الاحياء. شرح من هذا النوع بشكل سطحي أقل إرضاء من قرينه الداروينى الطبيعي، لأنه يتطلب كمية أكبر من الخظ.

[٣٤١] وهم الاله / دوكنز – ص١٦٠.

ولكن المبدأ الانثروبي يؤهلنا لحظ أكبر بكثير مما يمكن لحدسنا الانساني أن يتقبله بإرتياح"[٣٤٢].

بعد ان حاول دوكنز دون جدوى الربط بين المبدأ الانثروبي وبين الانتخاب الطبيعي بمفهومه الجديد الذي اقترحه، يحاول هنا ان يربط بين وجود المبدأ الانثروبي وبين نظرية اخرى قائمة على الخيال والتصور الذهني بعيداً عن العلم والادلة او القرائن او حتى المرجحات العلمية او الفلسفية، وهي نظرية تعدد الاكوان ! وطبعاً فإن ربطه المبدأ الانثروبي بتعدد الاكوان يعني اتكائه على الاحتمالية. والظاهر ان مقصده هو انه من بين ملايين الاكوان المتعددة المتتالية او المتوازية هناك احتمالية وان كانت ضئيلة جداً جداً لظهور كوكب في نطاق يمكّنه من نشوء الحياة، اطلق عليه اسم النطاق الذهبي! وصادف ان ذلك الكوكب هو كوكب الارض! ورغم معرفتنا ان احتمالية ظهرو المصادفة هي احتمالية قريبة للمستحيل، وتاكيدنا على ما بيناه آنفاً من ان الموضوع الانثروبي لا يرتبط فقط بمكان او نطاق ظهر فيه كوكب الارض، بل يتعلق بحوالي ٥١ ثابت كوني، وهذا يعني ان لكل ثابت من الثوابت الكونية يجب ان يخضع لنظرية الاحتمالات! وهذا يعني ان ظهور تلك الاحتمالات الـ ٥١ مجتمعة هو امر في حقيقته مستحيل. ونضيف لذلك ان دوكنز اذا كان يريد حل معضلة المبدا الانثروبي من خلال نظريته الذهنية حول تعدد الاكوان فإنه بذلك قد ادخل نفسه بمأزق كبير جداص وهو انه يتوجب عليه ان يفسر للبشرية كيفية ظهور تلك الاكوان المتعددة والتي يفترض انها بملايين ملايين الكوان لتصح معها الاحتماليات المزعومة ! ان دوكنز عاجز عن تفسير ظهور المادة وعاجز عن تفسير ظهور كون واحد فقط هو كوننا فكيف سيمكنه من تفسير ظهور ملايين ملايين الاكوان او حتى لو كانت فقط ملايين او حتى آلاف الاكوان فقط؟!!

والنقطة السادسة من نقاط دوكنز الست، يقول:

"لا يجب ان نفقد الامل في ايجاد رافعة أفضل للفيزياء، شيء ما بقوة الداروينية الطبيعية. ولكن حتى في غياب الرافعة فأن وجود الروافع الضعيفة الحالية، بدعمها من النظرية

[٣٤٢] وهم الاله / دوكنز – ص١٦٠.

الانثروبية، فانها بوضوح افضل بكثير من التفسير السماوي الذي يناقض نفسه حول موضوع التصميم الذكي"[٣٤٣].

نفس التدليس والخداع يمارسه دوكنز مرّة اخرى في هذا الفصل! حيث يحاول ان يوهم القاريء ان النظرية الانثروبية تدعم الفكر الالحادي! وربما هو الملحد الوحيد الذي يتجرّأ لممارسة هذا التدليس والخداع المكشوف ! وربما قد يكون هذا احد الاسباب الاخرى التي من أجلها قال الملحد مايكل روز M. Ruse عن كتاب دوكنز هذا (وهم الإله): "جعلني اخجل من كوني ملحداً"[٣٤٤] !

ايضاً دوكنز يدعو لعدم فقدان الامل في ايجاد "رافعة افضل" على حد تعبيره ويقصد به نظرية جديدة أفضل لتفسير ظهور الكون والحياة تلقائياً من شكلها البسيط الى شكلها المعقد! وهذا يعني انه اعتراف صريح بأنه لا يملك لحد الآن "رافعة" مقنعة يمكن ان يتّكأ عليها لدعم إلحاده! فكلامه هذا يعني انه يبحث عن ادلة تدعم إلحاده بدلاً من ان يكون الدليل هو ما يقوده الى الالحاد او الايمان! وهذا يكشف عن حقيقة ان هناك دوافع مسبقة تتعلق بشخصية دوكنز ونفسيته هي التي قررت الإلحاد في داخله ثم بدأ يبحث عن ادلة تدعم الحاده!!

وليس هذا فحسب بل هو يعترف ايضاً ان النظريات التي يتبناها اليوم هي نظريات ضعيفة وغير مقنعة، ولكنه يراها افضل من نظرية الايمان بوجود إله! كل شيء عنده مقبول إلا الايمان بوجود إله !! هل هناك من يشك ولو للحظة ان دوكنز لا ينطلق من دوافع شخصية وعقد نفسية تكبّله وتقبع به في سجن الإلحاد ؟!!

---

[٣٤٣] وهم الاله / دوكنز – ص١٦٠.

[٣٤٤] لقاء مع مايكل روز منشور في موقع اليوتيوب تحت عنوان: (ملحد يقول كتاب دوكنز جعلني أخجل من كوني ملحدا Atheist M. Ruse says Dawkins' book is an embarrassment).

الفصل الخامس

عنون دوكنز هذا الفصل بعنوان (جذور الدين)، وهذا المطلب يختلف عن موضوع الكتاب الذي ينفي وجود الإله! وشتان بين نفي الإله ونفي الدين. ولكن دوكنز يعرف ان المدافع الاول عن فكرة وجود الإله وسدها الحصين هي الاديان السماوية، ولذلك ابتداءاً من هذا الفصل الى نهاية الكتاب بتوجيه سهامه الى الاديان لكي يهدم السد الحصين الذي يحمي فكرة وجود الإله.

ورغم ان خطتنا في هذا الكتاب هو الرد على جحود دوكنز لوجود الإله في كتابه (وهم الإله) دون الالتفات الى بقية الفصول التي تهاجم الدين وتحاول الانتقاص منه – حيث ان كتاب دوكنز بتألف من عشرة فصول الاربعة الاولى مخصصة لجحود الإله والستة الاخيرة لجحود الدين – الا اننا فضلنا الرد على هذا الفصل الخامس فقط والخاص بمناقشة دوكنز لجذور الدين لنبين تهافت افكاره حول هذ الموضوع، فإذا بان فساد رأيه في جذور الدين سيتضح فسادها في بقية مناقشاته الدينية.

ابتدأ دوكنز هذا الفصل بعبارة لمارك كوهين Marek Kohn يتحدث فيها عن ان الاديان قابلة للتكيّف ! ولا أجد مبرراً لذكر دوكنز لهذه العبارة في إطار حديثه عن (جذور الدين) الذي وضعه عنواناً لهذا الفصل. فإذا كان الدين قابلاً للتكيف مع جميع المجتمعات والازمنة فهذه ميزة لصالحه تدفع عنه صفة التحجّر. والاسلام في تراثه ومروياته يخبر البشرية انه دين يصلح لكل العصور، وهذا يعني مطاطيته التطبيقية الى جانب عقيدته الراسخة التي لا تقبل التغيير لإنها عقيدة إلهية.

الاولوية الداروينية:

يتحدث دوكنز عن ان الانتخاب الطبيعي يقوم "كل يوم وكل ساعة وفي العالم كله بمراقبة كل التغيرات حتى ادقها كما يشرح داروين"[٣٤٥]. وفي الحقيقة فليس الانتخاب الطبيعي من يقوم بذلك، فالانتخاب الطبيعي بحسب داروين يقوم بالحفاظ على التمايزات وتراكمها، وليس له دور في ظهر تلك التمايزات. إذن الانتخاب الطبيعي وفقاً لداروين هو سلوك يرافق تطور الكائن الحي وفق آلية معينة مجهولة تعتمد مفهوم البقاء للاصلح! اما دوكنز فجعل الانتخاب الطبيعي من مسببات التطور ! ثم يحاول ان ينقل فكرة التطور من الكائنات الحيّة الى الكون كلّه ليزعم انه يمكن فهم ظهور الكون عبر الانتخاب الطبيعي!!

بإختصار دوكنز شعر بحاجة لصنع إله وفق معاييره الخاصة فاطلق عليه اسم (الانتخاب الطبيعي)، ولم يستطع دوكنز رغم إلحاده الظاهري ان ينفك عن ضرورة وجود قوة تصنع الكون وتخلق الحياة، غاية ما في الامر ان تلك القوة التي نسميها (إله) اطلق عليها دوكنز تسمية (الانتخاب الطبيعي) والنتيجة واحدة، ان هناك قوة تصنع الكون، نحن نقول عنها انها قوة حكيمة وعليمة وقادرة، ودوكنز يصفها بانها قوة عمياء وجاهلة تصنع الكون من حيث لا تعلم !! وشبهها بانها كصانع ساعات اعمى !! فأي النظريتين هي الاكثر معقولية ؟! إله ازلي لم يسبقه عدم ولا يلحقه فناء، خلق الوجود، والمادة والحياة. وجوده سرمدي، وهو الذي خلق وجود المادة ووجود الحياة، ومن هذا الوجود تعلم الانسان ان هناك موجودات تظهر بعد عدمها وتفنى بعد وجودها، وان هناك سببا لوجودها هو الإله الذي خلقها. فتطاول على إلهه ليقول عنه انه هو ايضاً يجب ان يكون هناك سبب وبداية لوجوده ! ولم يستوعب ان الوجود بعد العدم هو من اختراع الإله وصنعه وايجاده ولم يكون قبل خلق الكائنات شيء موجود بعد عدم ، بل كان هناك في عالم الإلوهية وجود مطلق باقٍ دائمٌ ازلي هو وجود الإله، فليس وجود الإله كوجود المخلوقات، فالإله "ليس كمثله شيء"، وحتى في وجوده ليس كمثل وجوده شيء آخر. ولو لم يكن الإله سرمدي الوجود لما كان إلهاً.

---

[٣٤٥] وهم الاله / دوكنز – ص١٦٣.

بينما إله دوكنز الذي يسميه الانتخاب الطبيعي يصفه بالعمى والجهل، ويحاول ان يستقوي بداروين لتمرير فكرته عن إلهه الجديد (الانتخاب الطبيعي)، بينما ذكرنا في الفصل الثالث نصوصاً تبين فكرة داروين عن الانتخاب الطبيعي نعيد ذكرها هنا، حيث كتب في كتابه (اصل الانواع) ما يلي:

"(الكفاح من اجل البقاء) فيما بين جميع الكائنات العضوية في جميع أنحاء العالم والذي لا مناص من أنه تابع للمتوالية الهندسية العالية لتزايد أعدادهم. وهذا هو مبدأ (مالثوس) Malthus المطبق على كل الممالك الحيوانية والنباتية. وبما ان عدد الذين يولدون من كل نوع هو أكبر من ان يعيش ، وبما انه بالتالي ، هناك صراع يتكرر كثيراً من أجل البقاء ، فالذي يحدث بعد ذلك هو: لو أن أي كائن تمايز بأي قدر بسيط ، وبأي وسيلة مفيدة له ، تحت تأثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير ، فسوف تكون له فرصة أفضل للأستمرار في الحياة ، وبالتالي سوف يتم انتقاؤه طبيعياً ، وبناءاً على المبدأ القوي للوراثة ، فإن أي ضرب منتقى سيميل الى الاكثار من شكله الجديد والمعدل"[٣٤٦].

"إن الانتقاء الطبيعي يسبب بصورة لا مناص منها تقريباً الكثير من الاندثار لأشكال الحياة الاقل تحسناً ، ويؤدي الى ما قد اطلقت عليه (تشعب الطابع)"[٣٤٧].

"انا مقتنع بأن الانتقاء الطبيعي قد كان الوسيلة الاكثر اهمية ، ولكنه ليس الوسيلة الوحيدة للتعديل"[٣٤٨].

"يؤثر الكفاح من اجل البقاء على الانتقاء الطبيعي"[٣٤٩].

"هل نستطيع ان نرتاب (مع تذكر أن عدد الافراد الذين يولدون أكبر بكثير من العدد الذي يمكن ان يعيش) في أن الافراد التي لديها أي ميزة ، مهما تكن بسيطة ، عن الاخرى ، سوف يكون لديها أحسن فرصة للبقاء على قيد الحياة وعلى زيادة أنسال صنفها؟ – وعلى الجانب الآخر ، فقد نشعر بالثقة في أن أي تمايز مضر بأي درجة قليلة سوف يتم تدميره بصرامة. وهذا الحفاظ على الاختلافات والتمايزات الفردية المواتية ، والتدمير للاختلافات والتمايزات الفردية الضارة ، قد اطلق عليه مصطلح (الانتقاء

---

[٣٤٦] أصل الانواع / تشارلس داروين – ص٦٨.

[٣٤٧] المصدر السابق – ص٦٩.

[٣٤٨] المصدر السابق – ص٧٠.

[٣٤٩] المصدر السابق – ص١٤٦.

الطبيعي) أو (البقاء للأصلح). والتمايزات التي ليست مفيدة أو ضارة لن تتأثر بالانتقاء الطبيعي ، وسوف يتم إهمالها إما كعامل متقلب ، كما هو من المحتمل أن نراه في بعض الانواع المتعددة الاشكال ، أو سوف تصبح في النهاية ثابتة ، وذلك يعتمد على طبيعة الكائن وطبيعة الظروف"[٣٥٠].

"العديد من الكتاب قد اخطأوا الفهم أو اعترضوا على مصطلح (الانتقاء الطبيعي) وبعضهم وصل الى انه تخيل ان الانتقاء الطبيعي يسبب التمايز[٣٥١] ، مع انه لا يتضمن الا الحفاظ فقط على مثل هذه التمايزات كما تظهر"[٣٥٢].

"وقد اعترض آخرون على ان المصطلح (انتقاء) يلمح الى الاختيار المتعمد للحيوانات التي تصبح معدلة ، وحتى ان الجدال قد تطرق الى أنه بما ان النباتات ليس لها ارادة فإن الانتقاء الطبيعي غير قابل للتطبيق عليها ! – ولا شك في أن الانتقاء الطبيعي مصطلح زائف ، ولكن على الاطلاق قد أعترض على الكيميائيين عندما يتكلمون عن القابليات الاختيارية للعناصر المختلفة – ومع ذلك فإنه من غير المستطاع ان يقال إن احد الاحماض قد اختار القاعدة التي يفضل أن يتحد بها. وقد سبق ان قيل اني اتحدث عن الانتقاء الطبيعي وكأنه قوة فعالة أو (إله) ، ولكن من الذي يقوم بالاعتراض على مؤلف يتحدث عن التقارب بالجاذبية على أساس انه المسيطر على حركات الكواكب؟ – كل إنسان يعلم ما الذي يعنيه أو ما الذي ينطوي عليه استخدام مثل هذه التعبيرات المجازية ، وهذه التعبيرات غالباً ما تكون ضرورية بغرض الايجاز. وهكذا للمرة الثانية فإنه من الصعب تجنب تجسيد كلمة (طبيعة) ، ولكني أعني فقط بكلمة (طبيعة) المفعول الاجمالي والنتيجة للكثير من القوانين الطبيعية ، واعني بكلمة (قوانين) تعاقب الاحداث كما تم التحقق منها بواسطتنا. ومع القليل من الالفة والاعتياد فإن مثل هذه الاعتراضات السطحية سوف تجد طريقها للنسيان"[٣٥٣].

"انا مقتنع تماماً بأن الانتقاء الطبيعي يعمل عادة ببطء شديد. وهو يستطيع أن يعمل فقط عندما يكون هناك أماكن في التشكيل الطبيعي لإحدى المناطق من الممكن أن تشغل بشكل أفضل بواسطة التعديل لبعض من القاطنين الموجودين فيها. والتواجد لمثل

---

[٣٥٠] أصل الانواع / تشارلس داروين – ص١٧٠ و١٧١.

[٣٥١] والظاهر من عبارات دوكنز في كتابه انه احد الذين افتهموا "الانتقاء الطبيعي" بصورة خاطئة بنفس الطريقة التي نبه داروين على خطأها !

[٣٥٢] اصل الانواع / داروين – ص١٧١.

[٣٥٣] المصدر السابق – ص١٧١.

هذه الاماكن سوف يكون في الغالب معتمداً على التغييرات المادية ، التي تحدث في العادة ببطء شديد ، وعلى المنع لهجرة الاشكال المتكيفة بشكل أفضل. وبما ان البعض القليل من القاطنين القدامى قد أصبح معدلاً ، فإن العلاقات المتبادلة للآخرين سوف تضطرب غالباً ، وهذا من شأنه أن يخلق أماكن جديدة ن مستعدة لأن تمتليء بواسطة أشكال متكيفة بشكل أفضل ، ولكن كل هذا سوف يحدث بمنتهى البطء"[٣٥٤].

بينما تحدث دوكنز في كتابه (صانع الساعات الاعمى) عن الانتخاب الطبيعي فوصفه بقوله:

"الانتخاب الطبيعي ، تلك العملية الاتوماتيكية العمياء غير الواعية التي اكتشفها داروين والتي نعرف الآن أنها تفسر بيولوجيا الحياة ، فليس له عقل فيه هدف. إنّه بلا عقل ، وبلا عين لعقل ، وهو لا يخطط للمستقبل ، وليس له رؤية ، ولا بصيرة للأمام ، ولا بصر على الاطلاق ، وإذا كان من الممكن أن يقال عنه أنه يلعب دور صانع الساعات في الطبيعة فهو صانع ساعات (أعمى)"[٣٥٥].

وسبق ان ذكرنا في الفصل الرابع ان داروين حذّر ممن يعطي للانتخاب الطبيعي دوراً أكبر مما يقترحه له، حيث يقول:

"العديد من الكتّاب قد اخطأوا الفهم أو اعترضوا على مصطلح (الانتخاب الطبيعي) وبعضهم وصل الى أنه تخيّل أن الانتقاء الطبيعي يسبب التمايز، مع انه لا يتضمن إلا الحفاظ فقط على مثل هذه التمايزات كما تظهر، وكانت مفيدة للكائن تحت تأثير ظروف حياته"[٣٥٦].

إذن الانتخاب الطبيعي لا يسبب التمايز بل يحافظ على التمايز بحسب داروين! وكل ما يحاول دوكنز ان يعطيه للانتخاب الطبيعي من مهام خيالية لن تجد لها محط قدم لا في ارض الواقع ولا في مفهوم التطور الذي وضعه داروين.

وفي مناظرته مع جون لينكس، يقول دوكنز:

---

[٣٥٤] اصل الانواع / داروين – ص٢٠٥.

[٣٥٥] صانع الساعات الاعمى / دوكنز – ص٢٦.

[٣٥٦] اصل الانواع / تشارلز داروين – ص١٧١.

"ان الغاية الكلية للانتخاب الطبيعي الدراويني هو انها تعمل بدون تصميم وبدون بصيرة وبدون ارشاد ... الانتخاب الطبيعي هو قوة عمياء، فما يبقى حياً يبقى، ويمكننا بالادراك المتأخر ان نلاحظ ان الحيوانات الباقية هي القادرة على البقاء، فلديها الجينات التي تجعلها تبقى، ... الانتخاب الطبيعي هو قوة آليّة عمياء تلقائية، لا استطيع ان اقول غير مُرشَدة، ولكنها لا تحتاج الارشاد، النقطة الجوهرية هو انها تعمل بلا ارشاد"[٣٥٧].

ولنا ملاحظة على رؤية دوكنز للانتخاب الطبيعي، فإذا كان الانتخاب الطبيعي له وجود في الواقع بحسب ما وصفه به في عباراته هذه، أفلا يتوجب ان نسأل عمّن اعطى هذه الصفات للمادة الحيّة في إطار ما يسمى بالانتخاب الطبيعي؟ هل المادة الحيّة اكتسبت صفة الانتخاب الطبيعي تلقائياً؟! ولا ننسى ان وظيفة الانتخاب الطبيعي هي الحفاظ على التمايز بعد ظهوره بحسب داروين وليس استحداث التمايز بحسب دوكنز.

اذا كان الانتخاب الطبيعي يعمل بدون تصميم وبدون ارشاد وهو اعمى وجاهل إلخ ، فما هي الآلية التي يستخدمها للحفاظ على التمايز؟ وما زالت آلية الانتخاب الطبيعي مجهولة ومع ذلك يتقبلها داروين ودوكنز ولا يجدون بينها وبين العلم تعارض ! وإذا كانت الآلية التي يستخدمها الانتخاب الطبيعي مجهولة فكيف يصفه دوكنز بأنه بسيط ؟! ربما يقول قائل بأن دوكنز يعتبر الانتخاب الطبيعي بسيط لكونه حافظ على التمايز منذ الخلية الاولى التي ربما قد يفترض احدهم انها كانت بسيطة، ولكن هل كانت الخلية الاولى بسيطة فعلاً؟ وهل كانت الظروف التي يرى بعض الملحدين ضرورة توفرها لانتاج ونشوء الخلية الاولى هي ظروف بسيطة؟ الظاهر انه لا الخلية الاولى من حيث تركيبها تتمتع بالبساطة ولا من حيث الظروف المحيطة بها تتمتع بالبساطة ! ونقتبس من مقال منشور في مجلة الملحدين العرب ما يبين تركيب الخلية من جهة ومستوى التعقيد الموجود فيها، وكذلك وجهة نظر او فرضية الملحدين في كيفية نشوء الخلية الاولى والظروف المعقدة التي احاطت بها. جاء في المقال:

"قبل التعمق حول تشكيل الخليّة الاولى يجب ان يكون مفهوماً أولاً ما هي الخلايا. تتكون كل أشكال الحياة من الخلايا. الذي يجعل الكائنات الحية مختلفة هو عدد الخلايا، وما هو نوع الخلايا، وكيف يتم تنظيم هذه الخلايا. العديد من الكائنات الحيّة الدقيقة تتكون

[٣٥٧] مناظرة جون لينكس وريتشارد دوكنز، بعنوان (هل دفن العلم الله؟) مترجمة ومنشورة في موقع اليوتيوب.

من خليّة واحدة فقط، والتي تنفّذ جميع الوظائف المطلوبة من أجل البقاء. الكائنات الحيّة الاخرى تتكون من خلايا أكثر، مثل البشر، الذين يحتوون على أكثر من تريليون خلية معظمها متخصص لوظيفة معينة. كل الخلايا تتكون من العديد من اجزاء أصغر. هناك نواة موجودة في معظم الخلايا، التي تحتوي على الحمض النووي (الحمض النووي الريبي منقوص الاكسجين)، الذي يخزن برنامج الخلية. هناك الميتوكوندريا التي تحطم المركبات وتنتج الطاقة. هناك أجزاء أخرى كثيرة في الخليّة، لكل منها وظيفة محددة. هذه الاجزاء من الخلية تتكون من البروتينات، والتي تتكون من سلاسل طويلة من الاحماض الامينية، والتي تتكون من مجموعات مختلفة من العناصر الاساسية من الكربون (C)، والهيدروجين (H) والنيتروجين (N)، والاوكسجين (O). من جميع أنواع التركيبات الممكنة لتشكيل الاحماض الامينية، تستخدم ٢٠ فقط في البروتينات. ومع ذلك يمكن لهذه الاحماض الامينية الـ ٢٠ ان تشكل تقريباً أعداد لا نهائيّة من التركيبات لإنشاء عدد لا نهائي تقريباً من البروتينات.

ولكن كيف تم إنشاء الخليّة الاولى؟ اقترح تشارلز داروين أن البروتينات الاولى تطورت من مادة غير حيّة. ولكن كيف حدث هذا؟ أولاً، الارض لم تكن كما هي اليوم منذ ٣ الى ٤ مليارات سنة مضت عندما المركبات العضوية الاولى يجري تشكيلها. الغلاف الجوي في وقت مبكر كان حار جداً للأكسجين (O) والنيتروجين (N)، وغيرها من العناصر ان توجد وحدها كم هي اليوم. هذه العناصر اجتمعت لتشكيل غاز الميثان (CH_4) والأمونيا (NH_3)، وبخار الماء (H_2O)، كبريتيد الهيدروجين، جزيئات الهيدروجين (H_2)، إلخ. هذه كان كل شيء، وبالتالي كان يسمى الغلاف الجوي المبكر (الغلاف الجوي المختزل). كذلك لم يكن هناك اكسجين متوفر لتشكيل طبقة اوزون (O_3) لحماية الارض من الاشعة فوق البنفسجية القاسية من الشمس. أيضاً كان هناك عواصف كهربائية عنيفة، وكانت أكثر عنفاً من أي من التي تحدث اليوم. في عام ١٩٢٤ الكسندر اوبارين افترض أن المركبات العضوية تشكلت في الارض مبكراً عندما كانت الطاقة العالية التي تقدمها الاشعة فوق البنفسجية والعواصف، تسببت بتفاعل الجزيئات المختلفة، وانشاء مركبات عضوية جديدة، مثل الاحماض، RNA ، DNA"[٣٥٨].

[٣٥٨] مجلة الملحدين العرب، العدد (٢)، مقال بعنوان (الخلية الاولى)، ص٣٤.

هذا جزء من المقال نقلناه ليبين وجهة نظر إلحادية عن ظروف الارض وقت ظهور الخلية الاولى بحسب فرضيتهم الالحادية، وكذلك استعرضنا من نفس المصدر التعقيد الذي تشتمل عليه الخلية، ليتبين للقاريء ان تركيب الخلية بظهورها الاول والظروف التي احاطت بظهورها في الكرة الارضية بحسب فرضيتهم هم انفسهم كان تركيباص معقداً وظروفاً معقدة بعيدة عن البساطة التي يفترض دوكنز ان الانتخاب الطبيعي قد ظهر به حينما يشير الى انه يبحث عن رافعة ترفع الكائنات الحية وتطورها من الخلية الاولى البسيطة الى الكائنات المعقدة. فالموضوع منذ بدايته كان معقداً. ومن الجدير بالذكر ان الملحدين لحد يومنا هذا لم يتمكنوا ان يثبتوا نشوء خلية حية واحدة بصورة تلقائية، وعجزوا عن ان يهبوا الحياة ولو لخلية واحدة. وهذا متوقع فالحياة لا يهبها سوى الله تبارك وتعالى. والموضوع ليس كما يصوره دوكنز بتعبيره (إله الفراغات) والذي يقصد به ان المؤمنين يتذرعون بكل ما يجهلونه وبكل ما لا يتوصل اليه العلم بانه من صنع الإله وكلما تطور العلم قلت المساحة التي يشغلها الإله او التي ينسبونها للإله! كلا فالامر ليس على هذا النحور. فجميع المكتشفات العلمية انما توصلت الى طبيعة الموجودات او كيفية عملها، مثل اكتشافهم وجود الجاذبية، واكتشافهم تركيب الدم، واكتشافهم وجود النجوم والمجرات، غير ان العلم لم يتمكن ان يصنع دماً طبيعياً او نجماً او جاذبية ارضية! فالعلم يكتشف ما خلقه الإله ولكنه يعجز عن الاتيان بمثله. فلا يوجد (إله فراغات) في الواقع، إنما ما يفعله الإله وما يقدر عليه لا يقدر عليه اي من مخلوقاته.

ويقول دوكنز:

"بمعرفتنا إننا نتاج إنتخاب طبيعي دارويني، يجب ان نسأل عن الضغوطات التي ارسها الانتخاب الطبيعي والتي خدمت النزعة الدينية. سؤال تبرز اهميته الفائقة بمجرد نظراً للمطلب الاساسي في الداروينية وهو الاقتصاد بالمصادر"[٣٥٩].

[٣٥٩] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٣.

والترجمة العربية للجملة الاخيرة غير واضحة المعنى، مما الجأنا للنص الانكليزي الاصلي وهي قول دوكنز:

"The question gains urgency from standard Darwinian considerations of economy".

ومعناها: "السؤال يكتسب الإحاح من الاعتبارات الداروينية القياسية للاقتصاد".

ويستمر دوكنز قائلاً:

"الدين مبذر، بل تبذير هائل، والانتخاب الداروني بطبيعته يستهدف ويُلغي التبذير. الطبيعة كالمحاسب البخيل الممسك بقوة بقروشه ويراقب الساعة ويُعاقب أقل تبذير بدون رحمة وبدون إجازة (يقوم الانتخاب الطبيعي كل يوم وكل ساعة وفي العالم كله بمراقبة كل التغيرات حتى ادقها) كما يشرح داروين (يرفض ما هو سيء ويحافظ ويزيد ما هو جيد، يعمل بصمت وبدون اكتراث وكلما سنحت الفرصة لتحسين كل نظام حي). لو مارس حيوان ما نشاطاً معيناً بدون فائدة فإن الانتخاب الطبيعي سيخدم منافسيه الذين يخصصون وقتهم وجهدهم لأجل البقاء والتكاثر. الطبيعة لا تملك مساحة لـ (بهجة روحانية) طائشة. النفعية العديمة الرحمة تنتصر، حتى ولو بدا لنا ذلك مختلفاً في بعض الاحيان"[٣٦٠].

ولكن كيف يكون الدين مبذراً؟! انظروا لاستنتاج دوكنز! يقول:

"من النظرة الاولى لذيل الطاووس نرى بأنه مثال فريد للتبذير. حيث يبدو مستحيلاً أن يكون ذات منفعة بقائية لصاحبه. ولكنه يفيد المورثات التي تجعلهُ مُميزاً عن منافسيه الأقل جمالية. الذيل أشبه بحملة دعائية تضمن لصاحبه مكانهُ في سوق الطبيعة من خلال جذب الاناث"[٣٦١].

---

[٣٦٠] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٣.

[٣٦١] المصدر السابق – ص١٦٣.

... الى ان يقول:

"بالنسبة لأي تطوري، تبدو الطقوس الدينية كذيل الطاووس في ساحة مشمسة (التعبير مأخوذ من دانييل دينيت). السلوك الديني بشكل عام هو النظير الانساني للتنميل أو بناء الكوخ للطيور. تحتاج لوقت وطاقة وغالباً بذخ تبذيري كما في حالة ريش الطيور الجنة"[٣٦٢].

هل لاحظتم التناقض في افكار دوكنز ! فأولاً يقول الدين مبذّر بينما الانتخاب الطبيعي مقتصد، ثم يقول ان ذيل الطاووس مثال للتبذير ثم يجد له فائدة من خلال جذب الاناث، ثم يقول ان الطقوس الدينية كذيل الطاووس ! ثم يتهم الدين بانه مبذّر ويتناسى انه يعتقد بأن الانتخاب الطبيعي هو الذي صنع ذيل الطاووس بينما يجب عليه ان يكون مقتصداً لا مبذراً ! وهذا يعني ان الدين اذا كان كذيل الطاووس فهو مقتصد وليس مبذر !!

... دوكنز لا يعرف ما يقول !!!

نعم الدين كذيل الطاووس، وهناك من الطقوس الدينية ما فائدتها لا تدركها العقول البشرية، وانا بذلك الدين السماوي الحق، وطقوسه الحقة، وليست الطقوس الموضوعة من قبل البشر ولا سيما في الاديان المحرّفة حتى لو كانت سماوية المنبع. فالدين كذيل الطاووس يتهمه دوكنز وآخرون بأنه ليس فيه فائدة ولا لطقوسه غرض معقول، وذلك بسبب جهلهم للفوائد المغروسة في الدين والتي قد لا تدركها عقول البشر. كذيل الطاووس الذي كانوا ينتقدونه بأنه مجرد الوان ليس فيها فائدة الى ان مرّت سنوات واكتشفوا فائدة جذبه للاناث.

ويتسائل دوكنز عن فائدة الدين!

"ما فائدة الدين؟ (الفائدة) هنا تعني داروينياً بعض زيادة قدرة الفرد على البقاء جينياً".

ثم يكتب سطور كثيرة مليئة بالترهات عن الانتخاب الجمعي والجين الاناني وحيوانات تتصرف تبعا لطفيليات بداخلها ! والنظرية المركزية !!

---

[٣٦٢] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٤.

ولا يخفى علينا أن تأثّر دوكنز ببيئة الديانة المسيحية كان له الاثر في تكوين افكاره عن الدين، ونحن نعلم ان المسيحية ليست هي الدين الحق السماوي النقي، بل إنَّ لها جذور في الديانة السماوية الاصلية الى أن ادخل بولس عليها تحريفاته القائمة الى يومنا هذا. ولذلك عندما ينتقد دوكنز الدين او عندما يتعرض للسخرية من الدين فإنما يقصد هذا الدين المنحرف المشوّه، وبوجود دوافعه النفسية المسبقة نحو الإلحاد لم يعد بإمكانه التمييز بين الدين السماوي الحق النقي الذي هو الاسلام المحمدي الاصيل وبين الاديان السماوية المحرّفة كالمسيحية واليهودية او الاديان الوضعية كالبوذية والهندوسية والصابئية وغيرها.

لقد خلق الله تبارك وتعالى الكون وسن له قوانين لا ينفك عنها ولا تنفك عنه إلا بإذنه. وتلك القوانين هي التي جعلت أينشتاين يقول بحتمية الطبيعية وحتمية الحياة، فكل شيء يخضع للقوانين التي خلقها الله سبحانه وتعالى. وخلق الله تبارك وتعالى الانسان، وجعل له إرادة حرّة في اختياراته الحياتية، كما قال تعالى في سورة البلد: ((أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)). وقال تعالى في سورة الدهر: ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)).

فعلى الانسان لكي يكون منسجماً مع الكون الحتمي القوانين ان يخضع لقوانين إلهية تسيّر حياته ولكن بإرادته هو. وهذه هي عظمة الانسان والقيمة الكبيرة التي اعطاها الله عزَّ وجل له. فالدين هو الذي يجعل الانسان ينسجم مع محيطه الطبيعي ويتناغم مع حتميته من خلال عمله بالقوانين الدينية التي وضعها الله تبارك وتعالى له والتي تصب في مصلحة حياته ومعيشته. إذن يمكن ان نلخص فائدة الدين بأنه يجعل الانسان متناغماً مع محيطه الطبيعي الحتمي. وهو ما يصب في مصلحته المعيشية. إذن يمكن تلخيص فائدة الدين في أنَّ الانسان من خلال الدين يمكنه الاندماج في محيطه الطبيعي الحتمي، وهو ما يوفر له حياة رغيدة عنوانها طاعة الله.

ويقول دوكنز:

"مع ان التفاصيل تختلف عبر العالم ولكن ليس هناك حضارة معروفة لم يكن فيها نسخة من الطقوس المستهلكة للوقت والصحة ومثيرة للعداوة والتخيلات المخالفة للواقع. ربما أن بعض المثقفين أهملوا الدين ولكن الجميع تربى في حضارة دينية وكان عليهم في وقت

ما أن يتخذوا قراراً لتركه. والنكتة الايرلندية: (هل انت ملحد كاثوليكي أم ملحد بروتستانتي؟) تصرخ بمرارة الحقيقة"[٣٦٣].

فلماذا لا يفسر لنا دوكنز كيف ان الانتخاب الطبيعي لم يغير تفكير الانسان لكي لا يتجه للتفكير بالدين والطقوس ؟! بل لماذا زرع الانتخاب الطبيعي فكرة الدين والطقوس في الذهن البشري ولم يغيرها عبر مراحل التطور التي استغرقت ملايين السنين بحسب فرضيات الملحدين !!

الفوائد المباشرة للدين:

يقول دوكنز:

"هناك القليل من الادلة بأن الايمان الديني يؤمن بعض الحماية من الضغط النفسي والامراض الناتجة عنه. الادلة ليست قوية وصدقها ليس مفاجأة لي وذلك لنفس السبب الذي يؤدي لفعالية التداوي من خلال التبرك في بعض الحالات. اتمنى انه ليس من الضروري اضافة بأن حدوث فوائد كهذه لا يعني بأن هناك قيمة حقيقية وراء الزعم الديني. وبكلمات برناردشو: (الواقع بأن المتدين هو أسعد من المتشكك لا يتعدى كونه أكثر نسبية من أن السكران أسعد من الصاحي)"[٣٦٤].

ان التحدث عن فوائد الدين لا يمكن ان تتم بصورة متكاملة بهذه الطريقة السطحية التي يتناول بها دوكنز الموضوع! ففوائد الدين لها ابعاد عديدة، فمنها البعد الاجمالي لفوائد الدين، ومنها البعد التفصيلي للعبادات الدينية ، وومنها فوائد الشعائر الدينية. كما يجب ان يبحث الموضوع في اتجاه الفوائد النفسية للدين، والفوائد الجسدية له. كما ان للدين فوائد على البعدين الاجتماعي والاقتصادي. كالعبادات الجماعية، في صلاة الجمعة والحج. وفي تحريم الربا وتنظيم المعاملات التجارية بحيث يكون لها مردود مالي ونفسي سليم في الوقت نفسه. اما فوائد الصلاة والصيام

---

[٣٦٣] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٦.

[٣٦٤] المصدر السابق – ص١٦٧.

على ناحية الصحة الجسدية للانسان والصحة النفسية له، فمعروفة، وهناك العديد من المؤلفات والمقالات التي تناولت هذه الامور ولا نحب تكرار ما ورد فيها.

غير ان الفائدة العامة الكليّة التي نراها للدين هو انه يجعل الانسان في تناغم مع محيطه وفي تناغم مع الكون. وإذا تناغم الانسان مع محيطه الطبيعي والكون فهذه أسمى غاية يمكن ان يدركها الانسان. وهناك عدم فلسفات تحاول ان تدّعي انها تؤدي الى تناغم الانسان مع الطبيعة والكون، غير ان التناغم الحقيقي لا يحدث الا من خلال الدين الذي انزله خالق الانسان، فهو الاعرف بالانسان واحتياجاته.

وسبق ان ذكرنا ان الكون كلّه قد خلق وهو خاضع لقوانين فيزيائية حتمية لا يمكنه الخروج عنها او التملّص عنها، وهذا الامر قد لاحظه العلماء واثبتوه، ولذلك ترى العديد منهم ذهب الى حتمية الكون والطبيعة. إلا الانسان، فقد خلقه الاله حراً في اختياراته، ولكن الإله يريد منه ان يخضع لقوانين دينية ترتقي به وترتفع به الى مستوى التناغم مع الطبيعة والكون، فيكون خاضعاً لقوانين إلهية بإرادته كما ان بقية الكائنات تكون خاضعة للقوانين الإلهية الفيزياوية بصورة حتمية. فيحدث التناغم بين الانسان والطبيعة لكونهما ينقادان لقوانين حتّم الإله الخضوع لها، مرة بصورة إجبارية فيما يخص الطبيعة ومرة بصورة طوعية فيما يخص الانسان.

ان الدين ليس قضية نفسية معنوية ايحائية فحسب بحيث يكون لأي دين سماوي او وضعي نفس الاثر على نفس الانسان وجسده وعلاقته بمحيطه، كما يظن الملحدون، بل هو قضية لها اثر واقعي، سواء على نفس الانسان او على جسده وعلى علاقته مع محيطه.

وحيث ان الدين هو امر يتلو وجود الإله. إذ لا دين بلا إله، كما هو معلوم. فمن الواضح ان الحديث عن فوائد للدين، المباشرة وغير المباشرة، لا فائدة فيه ما لم يتم بدون الانتهاء اولاً من قضية الايمان بوجود الإله. إذ بدون هذا الايمان ستكون قضية فوائد الدين جدلية، ويكون التحدث عنها عبثياً. فلا بد من التدرج في مناقشة القضايا والانتهاء منها تدريجياً، لأنه من غير الصائب مناقشة قضية واساسها غير متفق عليه!

فببساطة شديدة، إذا كان الإله موجود فدينه حق وذو فائدة مؤكدة للبشر، لأن الإله لا يفعل العبث. وإذا لم يكن موجوداً كما يتوهم الملحدون، فما هناك فائدة في اثبات ألف فائدة للدين امامهم!

وتحدث دوكنز حول عجز نظرية التطور عن تفسير سبب الجاذبية الدينية، فقال:

"الداروينى يريد ان يعرف ما سبب ضعف الانسان اما الجاذبية الدينية، وعليه فهو معرض للاستغلال من قبل الحكام ورجال الدين والملوك"[٣٦٥].

وهذا الاشكال قد يشكل نقطة ضعف على مفهوم التطور لدراوين، فإذا كان التطور هو نتيجة التمايزات التي يسيّرها مفهوم البقاء للاصلح، فلماذا لم يقوم التطور بغنهاء التفكير البشري بوجود الإله والحاجة اليه ؟! بل لماذا لم يقضِ التطور على الجاذبية الدينية، وقد اعترف دوكنز بوجود تلك الجاذبية فيه؟!

ألا يكشف ذلك للملحد ان الفكر الديني عند الانسان ليس مصدره التطور الدراويني، وان هناك حقيقة خالدة وراء هذا الفكر الخالد!

الانتخاب الجماعي:

يقول دوكنز انه ليس من مؤيدي "نظرية الانتخاب الجماعي"[٣٦٦]، ولم يتبين لي سبب ذكرها في هذا الكتاب اذا كان هو نفسه لا يؤيدها !! حيث ان هذه النظرية لا علاقة لها بموضوع الكتاب، لا تاييداً ولا نفياً! وليس في هذه الفقرة ما يستأهل المناقسشة ضمن إطار إثبات وجود صانِعٍ للكون.

---

[٣٦٥] وهم الإله / دوكنز – ص١٦٩.

[٣٦٦] وهم الإله / دوكنز – ص١٧١.

الدين كناتج عرضي لشيء آخر:

ربما يكون هذا الفصل من اكثر فصول الكتاب التي تكلّف دوكنز فيها لاثبات فكرة بعيداص عن الادلة والقرائن المقنعة!

في هذا لفصل نكتشف ان دوكنز في ورطة حقيقية سببها انه عاجز عن الجمع بين فكرة الانتخاب الطبيعي الذي يعمل وفق آلية البقاء للاصلح، وبين سماح الانتخاب الطبيعي بوجود فكرة الدين في العقل البشري! فإذا كان البقاء للاصلح فإن سماح الانتخاب الطبيعي للدين للبقاء في عقل الانسان مع كل هذه المراحل التطورية التي رافقت ظهور الانسان معناه ان الدين هو الاصلح للانسان، وهذه النتيجة هي بخلاف مراد الملحد. ولذلك يحاول دوكنز بلا جدوى التذرع لشرح سبب قيام الانتخاب الطبيعي بإنتخايب الدين في عقل الانسان بذهابه الى ان الانتخاب الطبيعي لم يقصد الدين بما هو دين بل قصد امراً آخر وكان الدين ناتج عرضي له!! طبعاً هذه الفكرة التي حاول دوكنز اثباتها بسفسطة كبيرة لم تفلح في مسعاه لانه وقع في النهاية بتناقضات عديدة كما وقع في ضعف الربط بين افكاره التي يحاول جمعها لاثبات فرضيته التي اثبت هو نفسه بعدم تمكنه من ايجاد القناعة المطلوبة لها بأنها فرضية متهالكة بل وهو نفسه رسّخ الشبهة التي حاول تفنيدها، ففعلا لو كان الانتخاب الطبيعي يعمل وفق آلية البقاء للأصلح فلماذا أبقى الدين وأهميته في العقل البشري.

والظاهر ان دوكنز اخذ فكرة ان الدين كناتج عرضي من روبرت هيند في كتابه (لماذا تستمر الآلهة) وباسكال بوير في كتابه (تفسير الدين) وسكوت آتران في كتابه (في الإله نحن نثق)[٣٦٧] حيث قال دوكنز ان هؤلاء الثلاثة ذكر كل منهم على حدة "فكرة الاديان كناتج عرضي لعوامل نفسية طبيعية"[٣٦٨]! وبلا شك فإن هؤلاء يعبرون عن آرائهم وفقاً لدوافعهم النفسية.

يستخدم دوكنز لتقريب فكرته مثال حشرة العث التي تستخدم ضوء القمر والنجوم للاستدلال على طريقها ولكنها حينما تلاقي ضوء الشمعة فإنها تتجه نحوها بحركة لولبية تظهرها وكانها تسلك

[٣٦٧] اسم الكتاب (In Gods We Trust) بينما ترجم العبارة مترجم الكتاب بسام البغدادي بصورة رديئة حيث كتبه: (في الله نحن مؤمنون)! انظر وهم الإله / دوكنز – ص١٧٨.

[٣٦٨] وهم الإله / دوكنز – ص١٧٨.

سلوكاً انتحارياً. فهذا السلوك الانتحاري ليس في حقيقته انتحار من قبل حشرة العث. وهكذا يريد دوكنز ان يقول ان الانسان يؤمن بالدين كناتج عرضي، وان الانتخاب الطبيعي لم يقصد ترسيخ فكرة الدين في العقل البشري بل قصد شيئاً آخر وكان ترسيخ الدين في عقل الانسان كناتج عرضي! يقول دوكنز:

"ربما كان السلوك الديني مجرد حادث، مجرد ناتج عرضي لنزعة نفسية خفية، والتي في احوال اخرى قد تكون أو كانت مفيدة. وبوجهة النظر تلك، فإن النزعة التي انتخبت طبيعياً في اسلافنا لك تكن ديناً بحد ذاته، بل كان لها منافع أخرى، وبلورت نفسها كدين مصادفة. سنفهم السلوك الديني أولاً عندما نعطيه أسماً ثانياً. فإذا كان الدين اذن ناتجاً عرضياً لشيء آخر، فما هو هذا الشيء؟"[٣٦٩].

ويذكر دوكنز فكرته فيقول:

"الانتخاب الطبيعي بنى كخ الطفل مع ميل لتصديق ما يقوله الاهل والكبار في السن من أهل العشيرة لهم. وطاعة الثقة تلك مهمة للبقاء: بطريقة مشابهة للتوجه بالقمر بالنسبة لحشرة العث. ولكن الوجه الآخر للطاعة والثقة هو السذاجة الخانعة. كناتج عرضي لا مناص منه يسبب الضعف تجاه عدوى الفايروسات الفكرية. ولسبب ممتاز مرتبط بالبقاء الدارويني يحتاج دماغ الطفل للثقة بالابوين والاخرين الاكبر سناً والذين قيل لهم من قبل الابوين أن يثقوا بهم. والنتائج الآلية هي أن الطفل ليس لديه أي طريقة يميز بها النصيحة الجيدة من السيئة. ليس بإمكان الطفل معرفة أن (لا تسبح في النهر الذي تنتشر فيه التماسيح) هي نصيحة جيدة بينما (يجب أن تضحي بخروف عندما يكتمل القمر والا فلن ينزل المطر)، هي في أفضل حالاتها مضيعة للوقت والخراف. التحذيران أتيا من مصدر محترم وبلهجة جدية تستوجب الاحترام والطاعة. والشيء نفسه ينطبق على المقترحات عن الكون والعالم، والاخلاق والطبيعة الانسانية. عندما يكبر الطفل ويصبح لديه أو لديها اطفالهما الخاصين غالباً ما يتم تمرير هذه الخبرات كلها للاطفال، المهم والغير مهم أيضاً، وذلك باستعمال نفس الاسلوب في اللهجة المعدية. وبهذا النموذج المذكور علينا ان نتوقع أنه في مناطق جغرافية مختلفة يجب أن توجد أنواع مختلفة

[٣٦٩] المصدر السابق – ص١٧٤و١٧٥.

وأعتباطية من المعتقدات، ولا احد منها يملك أي قاعدة واقعية وسيتوارث ويصدق من قبل المجموعة بنفس الطريقة على انه جزء من التراث الحكيم كما يصدق المفيد منها مثل بأن السماد مفيد للمحصول. وعلينا أن نتوقع أيضاً أن الغيبيات والامور الاخرى الغير واقعية ستتطور محلياً وتتغير عبر الاجيال بشكل عشوائي أو بشكل يتبع نوعاً من الانتخاب الدراويني، حتى نرى ظهور أشكال جديدة من المعتقدات المستحدثة التي تختلف كلياً عن الاصل. تبتعد عن أصلها المشترك لو اعطيت وقتاً كافياً في مناطق جغرافية متباعدة، ... ، ويبدو أن الشيء نفسه صحيح فيما يتعلق بأنواع الايمان الاعتباطية والمحقزنة عبر الاجيال، معتقدات ساعدتها أدمغة الاطفال القابلة للبرمجة بالاستمرار"[٣٧٠].

ان الانتحار في مثال حشرة العث يكون ناتجاً عرضياً لأنه غير مقصود في سلوكها، اما في مثال طاعة الابن لأبيه فهو يطيعه في كل اوامره، وما ينتج عن ذلك من دين ليس امراً غير مقصوداً كما في حالة حشرة العث، بل هو دين مقصود وطاعة مقصودة تمت تربية الطفل عليها، وسواء تحولت بعض الاوامر التي يطيعها الطفل الى دين ولم يتحول البعض الاخر اليه، كما في المثالين اللذين ذكرهما دوكنز، فإن ما يتحول الى دين انما يتحول عن قصد وليس عن ناتج عرضي. بمعنى انك لو اتيح لك ان تسأل حشرة العث هل تقصدين الانتحار باقترابك من الضوء ثم الاحتراق لنفت ذلك ولبينت لك انها انما تتجه نحو الضوء وفق نظام الاتجاهات الذي تملكه. اما اذا اتيح لك ان تسأل الطفل هل تقصد ان تتعبد وتتدين بكلام ابوك من خلال طاعته، لاجابك بالايجاب انه يعتبر كلام ابوه بمثابة اوامر مقدسة يجب اطاعتها وانه يتدين بها.

اما اذا كان دوكنز يقصد ان الافكار التي يتعلم الطفل طاعتها بصرامة تتحول بمرور الوقت الى دين دون ان يكون المقصود انه دين، فليست العبرة بوجود الاصطلاح (الدين) او عدمه، وإنما العبرة بوجود القصد بطاعة ذلك الكلام والاوامر الابوية التي تصدر، فما دامت هناك طاعة للاوامر من قبل الاطفال فهم معتنقون للدين من حيث مفهومه، أي معتنقون لمفهوم الدين. فليس هناك ناتج عرضي يمثله ظهور الدين ما دام هناك قصد مسبث من قبل الطفل والاب.

ومن جهة اخرى، يمكننا ان نتسائل: ما هو موقف فكرة دوكنز: (الدين كناتج عرضي) من الاخلاق؟ هل يريد دوكنز ان يتم الغاء الاخلاق من الدين؟! مثلا هل يقبل دوكنز بأن يسير الناس

[٣٧٠] وهم الاله / دوكنز – ص١٧٧ و١٧٨.

عراة في الشوارع باعتبار ان "لا دين" حقيقي موجود و"لا إله" ! ام يقبل بان يتزوج الاخ اخته والاب ابنته والام ابنها بالإعتبار نفسه؟؟؟ ام يريد ان يسود عقوق الوالدين ونكران فضلهما في تربية ابنائهما، وهجران الاقارب، ام ان يسود مفهوم ان المنتصر في الدنيا بالظلم لن تناله عدالة حيث لا آخرة، فلا يكون هناك رادع معنوي امام الظالم المتسلط بقوة؟!!

اذا كان الدين ناتج عرضي فالاخلاق ايضاً هي ناتج عرضي!! واذا كانت الاخلاق ناتج عرضي فهي اذن شيء لم يسع الانتخاب الطبيعي الى ايجاده! واذا كانت كذلك فان الاخلاق لا تدخل ضمن الامور التي هي اصلح لبقاء الانسان، وبذلك يكون العري وزنى المحارم والظلم من الامور التي يريد الانتخاب الطبيعي ان تسود في الحياة وانها اصلح في بقاء الانسان، حيث ان داروين يعترف بان الانتخاب الطبيعي يعمل وفق آلية البقاء للاصلح. مع ان العلم يكذّب هذا الامر، وعلى اقل تقدير فالعلم يكذب ان يكون زنى المحارم اصلح لبقاء الانسان لانه ينتج مواليد في غالبيتها تكون مشوّهة ولا تعيش طويلاً. وهنا يبرز التناقض الرهيب الذي يفرزه منطق دوكنز بكون الدين ناتج عرضي!!!

وهكذا يتضح تهافت حجة دوكنز بأن الدين ناتج عرضي، فهو يتصور ان تربية الطفل على معتقدات دينية معينة هي السبب في كون الدين ناتج عرضي! ان الدين ليس مجرد افكار تم تلقينها للاطفال، بل هو حاجة مرتبطة بفطرة الانسان.

واذا كانت فكرة ان الدين ناتج عرضي قد اقتبسها دوكنز من الكتب الثلاثة التي ذكرها لمؤلفيها (روبرت هيند وباسكال بوير وسكوت آتران)، فهذا يعني تهافت هذه الفكرة عند هؤلاء ايضاً!

الاعداد النفسي للدين:

تكشف هذه الفقرة والفقرة التي سبقتها عن الورطة الكبيرة التي يجد دوكنز نفسه واقعاً بها بسبب تعارض مفهوم الانتخاب الطبيعي مع وجود الدين!! ولذلك لجأ الى اسلوب اللف والدوران والتحدث في مواضيع لا طائل من ورائها ولا علم تستند اليه، من اجل التغطية على الاشكالية الكبرى التي يعيشها انصار التطور: لماذا سمح التطور بوجود الدين في العقل البشري رغم انه يعمل وفق آلية البقاء للاصلح وهو ما يعني ان الدين هو الاصلح!

ولم ينجح دوكنز في هذه الفقرة، ولا في الفقرة السابقة، بإقناعنا بأن الدين يمكن ان يكون ناتجاً عرضياً، كما لم ينجح في حديثه هنا عن الاعداد النفسير للدين!!

يقول دوكنز:

"عالم النفس باول بلوم، محام آخر عن موضوع (الدين ما هو الا ناتج عرضي) يشير الى ان الاطفال لديهم الميل الطبيعي للفكر المثنوي في عقولهم، والدين بالنسبة له هو نتيجة هذه المثنوية الغريزية. نحن البشر وخصوصاً الاطفال مثنويون من الطبيعة، حسب قوله. المثنوي يعترف بالفرق الاساسي بين الروح والمادة. الوحدوي على العكس من ذلك، يؤمن بأن الروح هي شكل من أشكال المادة"[٣٧١].

وما دام دوكنز قد اقتبس من كلام باول بلوم Paul Bloom فعلى نفسها جنت براقش كما في المثل! وفيما يلي نقتبس من كلام له في مقاله المنشور في صحيفة ذاتلانتك The Atlantic بعنوان: هل الإله حادث؟ (Is God an Accident?) بعددها في ديسمبر/ كانون الاول ٢٠٠٥م، نقتبس منه بعض العبارات ذات الصلة بالرد على كتاب دوكنز الذي نكتبه، ونتجاوز عما فيه مما قد نعارضه او لا نتفق معه بخصوصه اذ ليس مرادنا الرد على المقال المذكور. ثم نعود الى مناقشة كلامه الذي اقتبسه دوكنز.

سبق ان ناقشنا في الفصل الخاص بالمقدمة في كتابنا هذا كلام دوكنز في مقدمة كتابه عن عدد الملحدين ومزاعمه انهم الاغلبية، فنجد في مقال بلوم تفنيد لفكرة اغلبية الملحدين، حيث يقول:

"الولايات المتحدة هي طفل ملتصق بالاعتقاد الخارق للطبيعة، فقط حوالي كل شخص في هذا البلد –٩٦% في استطلاع واحد – يؤمن بالله، وأكثر من نصف الأمريكيين يعتقدون بالمعجزات والشيطان والملائكة، ويعتقد معظمهم في الحياة الآخرة – وليس فقط بالمعنى الغامض الذي سنعيشه في ذكريات الناس الآخرين، أو في أعمالنا الصالحة، وعندما يسألنا عن التفاصيل، يقول معظم الأمريكيين أنهم يعتقدون أنه بعد الموت سيجتمعون بالفعل مع الأقارب ويجتمعون مع الإله. وُودي ألن Woody Allen قال ذات

[٣٧١] وهم الاله / دوكنز – ص١٨١.

مرة: "أنا لا أريد تحقيق الخلود من خلال عملي. أريد تحقيقه من خلال عدم الموت ". معظم الأمريكيين لديهم هذا التوقع على وجه التحديد.

ولكن حالة أمريكا شاذّة، أليس كذلك؟ وقد أخذت هذه الإحصاءات في بعض الأحيان مؤشراً آخر على مدى اختلاف هذا البلد عن فرنسا وألمانيا، حيث تتمتع العلمانية بقدر أكبر من التأثير. الأميركيون من الأصوليين، وتوجههم هذا معزول عن التقدم الفكري الذي أحرزه بقية العالم.

هناك أمران خاطئان في هذا الاستنتاج. أولا، حتى لو وجدت فجوة بين أمريكا وأوروبا، ليست الولايات المتحدة هي المتميزة، بعد كل شيء. وبقية العالم – آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط – ليست مليئة تماما الملحدين المتشددين. إذا كان على المرء أن يتحدث عن الاستثنائية، فإنها تنطبق على أوروبا، وليس الولايات المتحدة.

ثانيا، قد تكون الفجوة الدينية بين الأميركيين والأوروبيين أقل مما نعتقد، حيث يرى علماء الاجتماع رودني ستارك، من جامعة بايلور، وروجر فينك، من جامعة ولاية بنسلفانيا، أن الفرق الكبير يتعلق بحضور الكنيسة، وهو في الحقيقة أقل بكثير في أوروبا"...

... "تظهر معظم استطلاعات الرأي من الدول الأوروبية أن غالبية شعوبها مؤمنون. لو نظرنا الى أيسلندا، فوفقاً لمعدلات تشورشينغ Rates of churchgoing، أيسلندا هي الدولة الأكثر علمانية على وجه الأرض، مع نسبة مثيرة للشفقة هي ٢% للحضور الأسبوعي، لكن أربعة من أصل خمسة آيسلنديين يقولون أنهم يصلّون، ونفس النسبة تؤمن بالحياة بعد الموت"[٣٧٢].

---

[٣٧٢] مقال بعنوان (Is God an Accident?)، بقلم (PAUL BLOOM)، منشور في الموقع الالكتروني لمجلة (The Atlantic)، عدد ديسمبر ٢٠٠٥. الترجمة ذاتية، والنص الانجليزي الاصلي الذي ترجمناه هو:

"The United States is a poster child for supernatural belief. Just about everyone in this country—96 percent in one poll—believes in God. Well over half of Americans believe in miracles, the devil, and angels. Most believe in an afterlife—and not just in the mushy sense that we will live on in the memories of other people, or in our good deeds; when asked for details, most Americans say they believe that after death they will actually reunite with relatives and get to meet God. Woody Allen once said, "I don't want to achieve immortality through my work. I want to achieve it through not dying." Most Americans have precisely this expectation.

But America is an anomaly, isn't it? These statistics are sometimes taken as yet another indication of how much this country differs from, for instance, France and Germany,=

ثم يتحدث بلوم عن الالحاد بين العلماء فيقول:

" وقد سأل استطلاع رأي عام ١٩٩٦ العلماء عما إذا كانوا يؤمنون بالله، وأن استطلاعات الرأي لم يستعملوا اسألة عامة او مطاطية من قبيل "أؤمن بكل ما هو موجود" أو "ما هو جميل وغير معروف"؛ بدلا من ذلك، أصروا على إله الكتاب المقدس الحقيقي، يمكن للمؤمنين أن يصلي إلى و في الواقع الحصول على إجابة من. وقال حوالي ٤٠ في المئة من العلماء نعم إلى الاعتقاد في هذا النوع من الله عن نفس النسبة وجدت في استطلاع مماثل في عام ١٩١٦. فقط عندما ننظر إلى معظم العلماء النخبة – أعضاء الأكاديمية الوطنية للعلوم – نجد الغالبية العظمى من الملحدين والعلماء"[٣٧٣].

=where secularism holds greater sway. Americans are fundamentalists, the claim goes, isolated from the intellectual progress made by the rest of the world.

There are two things wrong with this conclusion. First, even if a gap between America and Europe exists, it is not the United States that is idiosyncratic. After all, the rest of the world—Asia, Africa, the Middle East—is not exactly filled with hard-core atheists. If one is to talk about exceptionalism, it applies to Europe, not the United States.

Second, the religious divide between Americans and Europeans may be smaller than we think. The sociologists Rodney Stark, of Baylor University, and Roger Finke, of Pennsylvania State University, write that the big difference has to do with church attendance, which really is much lower in Europe"….

… "Most polls from European countries show that a majority of their people are believers. Consider Iceland. To judge by rates of churchgoing, Iceland is the most= =secular country on earth, with a pathetic two percent weekly attendance. But four out of five Icelanders say that they pray, and the same proportion believe in life after death.

[٣٧٣] مقال بعنوان (Is God an Accident?)، بقلم (PAUL BLOOM)، منشور في الموقع الالكتروني لمجلة (The Atlantic)، عدد ديسمبر ٢٠٠٥. الترجمة ذاتية، والنص يحتاج الى ترجمة اكثر احترافية، والنص الانجليزي الاصلي الذي ترجمناه هو:

" A 1996 poll asked scientists whether they believed in God, and the pollsters set the bar high—no mealy-mouthed evasions such as "I believe in the totality of all that exists" or "in what is beautiful and unknown"; rather, they insisted on a real biblical God, one believers could pray to and actually get an answer from. About 40 percent of scientists said yes to a belief in this kind of God—about the same percentage found in a similar poll in 1916. Only when we look at the most elite scientists—members of the National Academy of Sciences—do we find a strong majority of atheists and agnostics.".

ومن المفارقات ان هناك احتمال ان اعضاء "الاكاديمية الوطنية للعلوم" ربما لا يسمحون بالانضمام اليهم الا للعلماء الذين يكونون ملحدين، مما يؤدي الى ان غالبية اعضاء هذه الاكاديمية هم من الملحدين!! وهو نفس الامر الذي كان يجري في "الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق" الذي كان غالبية اعضاءه في فترة ما من الشيوعيين، حيث تأسس في ٧ آيار سنة ١٩٥٩م، أيام المد الشيوعي في العراق ومطالبتهم عبد الكريم قاسم بتولي السلطة معه! فكانوا لا يسمحون لغيرهم بالانضمام اليهم، ثم يظهرون للآخرين ان الشيوعيين هم الادباء والكتاب والمثقفون!!

ويميز بلوم بين نوعين من التعاليم الدينية، فيقول:

"ولكن هذا السيناريو يفترض حساب خاطئ من حيث تأتي أفكار خارقة للطبيعة. التعاليم الدينية بالتأكيد تشكيل العديد من المعتقدات المحددة التي نحملها؛ لا أحد ولد مع فكرة أن مهد البشرية هي حديقة عدن، أو أن الروح يدخل أو أن الشهداء سوف يكافأون بالاعتداء الجنسي على العشرات من العذارى، إلا أن هذه الأفكار يتم تعليمها، إلا أن المواضيع العالمية للدين لا يتم تعليمها، فهي تظهر كمنتجات ثانوية عرضية لأنظمتنا العقلية، جزء من الطبيعة البشرية "[٣٧٤].

فيرى ان تعاليم وجود الروح ودخولها الجسد اثناء الحمل والحساب في اليوم الآخر وان الشهداء يحصلون على الحور العين هي تعاليم يتم تعلمها من قبل الانسان، اما (ولكن المواضيع العالمية للدين لم يتم تعلمها. فهي تظهر كمنتجات ثانوية عرضية لأنظمتنا العقلية. فهي جزء من الطبيعة البشرية.) على حد قوله! فهو يرى ان الدين الذي هو فكرة وجود خالق للكون وانبياء يبعثهم، هي فكرة تتكون كناتج عرضي، اما تعاليم الانبياء فهي قضايا يتعلمها الناس منهم!! هل مرّت عليكم اسخف من هذه الفكرة!؟ فإذا

[٣٧٤] مقال بعنوان (Is God an Accident?)، بقلم (PAUL BLOOM)، منشور في الموقع الالكتروني لمجلة (The Atlantic)، عدد ديسمبر ٢٠٠٥. الترجمة ذاتية، والنص الانجليزي الاصلي الذي ترجمناه هو:

"But this scenario assumes the wrong account of where supernatural ideas come from. Religious teachings certainly shape many of the specific beliefs we hold; nobody is born with the idea that the birthplace of humanity was the Garden of Eden, or that the soul enters the body at the moment of conception, or that martyrs will be rewarded with sexual access to scores of virgins. These ideas are learned. But the universal themes of religion are not learned. They emerge as accidental by-products of our mental systems. They are part of human nature."

كان الانسان منذ طفولته يظهر الدين عنده كناتج عرضي فهو ناتج عرضي لأي شيء ؟ يقول لأنظمتنا العقلية!! والانبياء كيف نزل عليهم الوحي، وكيف تحققت المعجزات على يديهم؟!! فهو بدلاً من ان يعترف بأن تفكير الانسان بضرورة وجود إله وضرورة الدين هو قضية فطرية خلقها الإله تبارك وتعالى في العقل البشري منذ طفولته، وهو الذي نسميه الفطرة، أي ان الانسان يولد وهو مجبول على فكرة وجود إله خالق وان هذا الخلق ليس عبثاً ولذلك يجب ان يرسل وسطاء بين البشر والإله يبينون لنا مقاصده وينقلون لنا ما يريده منّا بصورة واضحة لا تقبل الخطأ ولذلك فالانبياء يكونون معصومين من الاخطاء. هذه الفطرة يسميها بلوم ناتج عرضي للعقل، ولكن اذا كان الدين ناتج عرضي فهما هو الناتج الرئيسي! هل ان للتفكير البشري ناتج عرضي؟ ولماذا ليس لتفكير الملحدين ناتج عرضي !! من الواضح ان مزاعم ان الدين هو ناتج عرضي للعقل البشري هي محض هراء!!

نعم يولد الطفل على الفطرة، حيث يولد وفي عقله قضايا فطرية اساسية لا تحتاج الى اثبات نسميها البديهيات، وهي التي يحكم عليها الوجدان بلا حاجة الى دليل ولا برهان، من قبيل ان الضدين لا يجتمعان وأنَّ الاثنين اكثر من الواحد، وان لكل معلول علّة، وهكذا. فلذلك يكون الدين جزء من الفطرة التي يولد الطفل عليها، فما دام لكل معلول علة فلابد من خالق للكون، والا فمن غير المعقول ان يظهر الكون بدون خالق له. طبعا نحن نقول من غير المعقول من الناحية الفطرية الانسانية، والا فإنَّ الملحدين خالفوا كل معقول، وخالفوا فطرتهم، بزعمهم امكانية ظهور الكون بدون خالق له. من هذا يتبين ان الدين له اسس فطرية في العقل البشري وان تعاليم الدين هي قضايا يتعلمها الانسان من خلال الانبياء (عليهم السلام). اما فكرة بلوم بأن الدين هو ناتج عرضي فمعناه ان الدين ليس هو المقصود بالظهور! معناه ان الفطرة الانسانية لا تقول بأن لكل معلول علّة! وبهذا يتم تحطيم اصل وأساس العلوم التجريبية وليس الدين فقط!!

يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه "فلسفتنا" عن المذهب العقلي:

"تنقسم المعارف البشرية في رأي العقليين الى طائفتين: احداهما معارف ضرورية أو بديهية. ونقصد بالضرورة هنا أن النفس تضطر إلى الاذعان بقضية معينة من دون أن تطالب بدليل أو تبرهن على صحتها، بل تجد من طبيعتها ضرورة الايمان بها ايمانا غنيا عن كل بينة واثبات، كايمانها ومعرفتها بالقضايا الآتية: (النفي والاثبات لا يصدقان معا

في شيء واحد) (الحادث لا يوجد من دون سبب)، (الصفات المتضادة لا تنسجم في موضوع واحد)، (الكل أكبر من الجزء)، (الواحد نصف الاثنين). والطائفة الأخرى معارف ومعلومات نظرية. فان عدة من القضايا لا تؤمن النفس بصحتها إلا على ضوء معارف ومعلومات سابقة فيتوقف صدور الحكم منها في تلك القضايا على عملية تفكير واستنباط للحقيقة من حقائق أسبق وأوضح منها كما في القضايا الآتية: (الأرض الكروية) (الحركة سبب الحرارة)، (التسلسل ممتنع)،(الفلزات تتمدد بالحرارة)، (زوايا المثلث تساوي قائمتين)، (المادة تتحول إلى طاقة) وما الى ذلك من قضايا الفلسفة والعلوم. فإن هذه القضايا حين تعرض على النفس لا تحصل على حكم في شأنها إلا بعد مراجعة للمعلومات الأخرى. ولأجل ذلك فالمعارف النظرية مستندة الى المعارف الأولية الضرورية، فلو سلبت تلك المعارف الأولية من الذهن البشري لم يستطع التوصل الى معرفة نظرية مطلقا . كما سنوضح ذلك فيما بعد إن شاء الله. فالمذهب العقلي يوضح. أن الحجر الأساسي للعلم هو المعلومات العقلية الأولية، وعلى ذلك الأساس تقوم البنيات الفوقية للفكر الانساني التي تسمى بالمعلومات الثانوية. والعملية التي تستنبط بها معرفة نظرية من معارف سابقة هي العملية التي نطلق عليه اسم الفكر والتفكير. فالتفكير جهد يبذله العقل في سبيل اكتساب تصديق وعلم جديد من معارفه السابقة. "[٣٧٥].

... "ويؤمن المذهب العقلي لأجل ذلك بقيام علاقة السببية في المعرفة البشرية بين بعض المعلومات وبعض، فإن كل معرفة إنما تتولد عن معرفة سابقة وهكذا تلك المعرفة حتى ينتهي التسلسل الصاعد إلى المعارف العقلية الأولية التي لم تنشأ عن معارف سابقة، وتعتبر لهذا السبب العلل الأولى للمعرفة."[٣٧٦].

ثم يتحدث السيد محمد باقر الصدر عن المذهب التجريبي الذي تقوم عليه العلوم الحديثة:

"إن نفس هذه القاعدة (التجربة هي المقياس الأساسي لتمييز الحقيقة) هل هي معرفة أولية حصل عليها الانسان من دون تجربة سابقة؟ أو أنها بدورها أيضا كسائر المعارف

[٣٧٥] فلسفتنا / السيد محمد باقر الصدر - ص٦٣ وما بعدها.

[٣٧٦] المصدر السابق - ص٦٥.

البشرية ليست فطرية ولا ضرورية؟ فإذا كانت معرفة أولية سابقة على التجربة بطل المذهب التجريبي الذي لا يؤمن بالمعارف الأولية، وثبت وجود معلومات إنسانية ضرورية بصورة مستقلة عن التجربة، وإذا كانت هذه المعرفة محتاجة الى تجربة سابقة فمعنى ذلك أنَّا لا ندرك في بداية الأمر أن التجربة مقياس منطقي مضمون الصدق، فكيف يمكن البرهنة على صحته واعتباره مقياسا بتجربة ما دمت غير مضمونة الصدق بعد؟!.

وبكلمة أخرى، إن القاعدة المذكورة التي هي ركيزة المذهب التجريبي إن كانت خطأ سقط المذهب التجريبي بانهيار قاعدته الرئيسية، وإن كانت صوابا صح لنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل التجريبيين يؤمنون بصواب هذه القاعدة، فان كانوا قد تأكدوا من صوابها بلا تجربة فهذا يعني أنها قضية بديهية وأن الانسان يملك حقائق وراء عالم التجربة، وإن كانوا تاكدوا من صوابها بتجربة سابقة فهو أمر مستحيل لأن التجربة لا تؤكد قيمة نفسها"[٣٧٧].

الى ان يقول:

"إن مبدأ العلية لا يمكن إثباته عن طريق المذهب التجريبي فكما أن النظرية الحسية كانت عاجزة عن إعطاء تعليل صحيح للعلية كفكرة تصويرية كذلك المذهب التجريبي يعجز عن البرهنة عليها بصفتها مبدأ وفكرة تصديقية. فإن التجربة لا يمكنها أن توضح لنا إلا التعاقب بين ظواهر معينة، فنعرف عن طريقها أن الماء يغلي إذا صار حاراً بدرجة مائة، وأنه يتجمد حين تنخفض درجة حرارته الى الصفر، واما سببية أحدى الظاهرتين للأخرى والضرورة القائمة بينهما فهي مما لا تكشفها وسائل التجربة مهما كانت دقيقة ومهما كررنا استعمالها. وإذا انهار مبدأ العلية انهارت جميع العلوم الطبيعية كما ستعرف.

وقد اعترف بعض التجريبيين كـ (دافيد هيوم) و(جون ستيورات ميل) بهذه الحقيقة، ولذلك فسر (هيوم) عنصر الضرورة في قانون العلة والمعلول بأنه راجع الى طبيعة العملية العقلية التي تستخدم في الوصول الى هذا القانون)[٣٧٨] ...

---

[٣٧٧] فلسفتنا / السيد محمد باقر الصدر - ص٦٨ وما بعدها.

[٣٧٨] المصدر السابق – ص٧٠ وما بعدها.

... "ونخلص من ذلك الى أن المذهب التجريبي يؤدي حتماً الى إسقاط مبدأ العلية، والعجز عن إثبات علاقات ضرورية بين الأشياء، وإذا سقط مبدأ العلية انهارت جميع العلوم الطبيعية باعتبار ارتكازها عليه كما ستعرف.

إن العلوم الطبيعية التي تريد التجريبيون إقامتها على أساس التجربة الخالصة هي بنفسها تحتاج الى اصول عقلية اولية سابقة على التجارب، ذلك أن التجربة انما يقوم العالم بها في مختبره على جزئيات موضوعية محددة، فيضع نظرية لتفسير الظواهر التي كشفتها التجربة في المختبر وتعليلها بسبب واحد مشترك، كالنظرية القائلة بأن سبب الحرارة هو الحركة استنادا الى عدة تجارب فسرت بذلك، ومن حقنا على العالم الطبيعي أن نسأله عن كيفية إعطائه للنظرية بصفة قانون كلي ينطبق على جميع الظروف المماثلة لظروف التجربة، مع أن التجربة لم تقع إلا على عدة أشياء خاصة، أفليس هذا التعميم يستند الى قاعدة وهي أن الظروف المتماثلة والأشياء المتشابهة في النوع والحقيقة يجب أن تشترك في القوانين والنواميس؟ وهنا نتساءل مرة أخرى عن هذه القاعدة، كيف توصل اليها العقل؟ ولا يمكن للتجريبين هنا أن يزعموا أنها قاعدة تجريبية بل يجب أن تكون من المعارف العقلية السابقة على التجربة، لأنها لو كانت مستندة الى تجربة فهذه التجربة التي ترتكز عليها القاعدة هي أيضا لا تتناول بدورها إلا موارد خاصة، فكيف ركزت على أساسها قاعدة عامة؟!

فبناء قاعدة عامة وقانون كلي على ضوء تجربة واحدة أو عدة تجارب لا يمكن أن يتم إلا بعد التسليم بمعارف عقلية سابقة.

وبهذا يتضح أن جميع النظريات التجريبية في العلوم الطبيعية ترتكز على عدة معارف عقلية لا تخضع للتجربة، بل يؤمن العقل بها إيمانا مباشرا وهي:

أولا: مبدأ العلية بمعنى امتناع الصدفة، ذلك أن الصدفة لو كانت جائزة لما أمكن للعالم الطبيعي أن يصل الى تعليل مشترك للظواهر المتعددة التي ظهرت في تجاربه.

ثانيا: مبدأ الانسجام بين العلة والمعلول الذي يقرر أن الأمور المتماثلة في الحقيقة لا بد أن تكون مستندة الى علة مشتركة.

ثالثا: مبدأ عدم التناقض الحاكم باستحالة صدق النفي والاثبات معاً.

فاذا آمن العالم بهذه المعارف السابقة على التجربة ثم أجرى تجاربه المختلفة على أنواع الحرارة وأقسامها، استطاع أن يقرر نهاية المطاف نظرية في تعليل الحرارة بمختلف أنواعها بعلة واحدة . مثلا . وهذه النظرية لا يمكن في الغالب تقريرها بشكل حاسم وصورة قطعية، لأنها إنما تكون كذلك إذا أمكن التأكد من عدم إمكان وجود تفسير آخر لتلك الظواهر وعدم صحة تعليلها بعلة أخرى. وهذا ما لا تحققه التجربة في أغلب الأحيان، ولهذا تكون نتائج العلوم الطبيعية ظنية في أكثر الأحايين، لأجل نقص في التجربة وعدم استكمال الشرائط التي تجعل منها تجربة حاسمة.

ويتضح لنا على ضوء ما سبق أن استنتاج نتيجة علمية من التجربة يتوقف دائما على الاستدلال القياسي، الذي يسير فيه الذهن البشري من العام الى الخاص، ومن الكلي الى الجزئي كما يرى المذهب العقلي تماما فان العالم تم له استنتاج النتيجة في المثال الذي ذكرناه بالسير من المبادئ الأولية الثلاثة التي عرضنا (مبدأ العلية) (مبدأ الانسجام) (مبدأ عدم التناقض)، الى تلك النتيجة الخاصة على طريقة القياس"[٣٧٩].

ويتحدث السيد الصدر عن نظرية الانتزاع فيقول:

"فالتصورات الأولية هي الأساس التصوري للذهن البشري، وتتولد هذه التصورات من الاحساس بمحتوياتها بصورة مباشرة. فنحن نتصور الحرارة لأننا أدركناها باللمس، ونتصور اللون لأننا أدركناه بالبصر، ونتصور الحلاوة لأننا أدركناها بالذوق، ونتصور الرائحة لأننا أدركناها بالشم. وهكذا جميع المعاني التي ندركها بحواسنا فإن الاحساس بكل واحد منها هو السبب في تصوره ووجود فكرة عنه في الذهن البشري. وتتشكل من هذه المعاني القاعدة الأولية للتصور وينشئ الذهن بناء على هذه القاعدة التصورات الثانوية، فيبدأ بذلك دور الابتكار والانشاء، وهو الذي تصطلح عليه هذه النظرية بلفظ (الانتزاع) فيولد الذهن مفاهيم جديدة من تلك المعاني الأولية، وهذه المعاني الجديدة خارجة عن طاقة الحس وإن كانت مستنبطة ومستخرجة من المعاني التي يقدمها الحس إلى الذهن والفكر.وهذه النظرية تتسق مع البرهان والتجربة ويمكنها أن تفسر جميع المفردات التصورية تفسيرا متماسكا.فعلى ضوء هذه النظرية نستطيع أن نفهم كيف انبثقت مفاهيم العلة والمعلول، والجوهر والعرض، والوجود والوحدة، في الذهن البشري. أنها كلها

[٣٧٩] فلسفتنا / السيد محمد باقر الصدر – ص٧٣ وما بعدها.

مفاهيم انتزاعية يبتكرها الذهن على ضوء المعاني المحسوسة، فنحن نحس مثلاً بغليان الماء حين تبلغ درجة حرارته مائة، وقد يتكرر احساسنا بهاتين الظاهرتين . ظاهرتي الغليان والحرارة . آلاف المرات ولا نحس بعلية الحرارة للغليان مطلقا، وإنما الذهن هو الذي ينتزع مفهوم العلية من الظاهرتين اللتين يقدمهما الحس إلى مجال التصور.ولا نتسطيع في مجالنا المحدود أن نعرض لكيفية الانتزاع الذهني وألوانه وأقسامه لأننا لا نتناول في دراستنا الخاطفة هذه إلا الاشارة الى خطوط العريضة"[٣٨٠].

وبذلك يكون مفهوم العلة والمعلول منبثق عن القواعد الاولية المخلوقة في العقل البشري، ومن خلال هذا المفهوم، وغيره، تنبثق اهمية فكرة الدين في العقل الانساني من خلال حتمية وجود خالق يكون علة لوجود المخلوقات. ونحن هنا لا نتحدث عن العلة والمعلول من الناحية الفلسفية، بل من الناحية الاولية الدلالية البسيطة.

وبذلك اثبت ان القواعد الفطرية الراسخة في العقل الانساني هي اساس المذهب التجريبي الذي قامت عليه العلوم الحديثة. وهذا يعني ان العقل لا ينتج الدين كناتج عرضي بل ينتجه من صميم وظيفته الفكرية حيث ينطلق من الاسس الراسخة فيه.

ولذلك ليس من الصواب ان يقال ان الدين ناتج عرضي للعقل بل هو من صميم انتاج العقل الفكري، فإذا قلنا ان الإله هو خالق هذه القواعد الفكرية الاصلية البديهية في العقل كما هو الحق، ام ان الانتخاب الطبيعي كما يزعم داروين هم الذي يحفظ التمايزات ويركمها فيظهر التطور، او سواء كما يقول دوكنز بأن الانتخاب الطبيعي هو كصانع ساعات اعمى ينتج التطور ويصنعه بدون قصد مسبق للتصميم! فكل هذا يؤدي الى ان البديهيات العقلية هي نتيجة للتطور وفق فرضية التطور، وليست ناتجاً ثانوياً، ولذلك فإن الدين الذي يتشكل، اقل تقدير، من القواعد العقلية البديهية، هو هدف للتطور وليس ناتجاً ثانوياً له.

[٣٨٠] فلسفتنا / السيد محمد باقر الصدر - ص٦١ و٦٢.

نعود الى كلام بلوم الذي اقتبسه دوكنز، فهو يميز البشر الى نوعين مثنوي ووحدوي! حيث يُلاحظ ان هذا التقسيم لم يراعي تطور الانسان والانتخاب الطبيعي، إذ كان يفترض بالانتخاب الطبيعي ان يحسم قضية هل ان الانسان مثنوي في تفكيره ام وحدوي، مثلما حسم كل قضايا التطور ليظهر الانسان على ما هو عليه الآن من الناحية الجسدية، بحسب مزاعمهم! فإذا كان دوكنز ومن قبله بلوم يريان ان الانسان وحدوي وان الروح هي مادية في حقيقتها، بينما يولد الاطفال ولديهم القابلية على ان يكون فكرهما مثنوي! ونحن نرى انه من السهولة ان يتم الانتقال في تفكير الانسان بين هذين الطريقين، أي ان البعض يكون تفكيره مثنوياً مؤمناً بوجود الروح في عالم الارواح والجسد في عالم المادة، وهم المؤمنون بوجود الإله، بينما هناك الوحدويون الذين يقولون بأن الروح الذي هو الوعي والمادة هما شيء واحد ينتمي الى عالم المادة، وهم الملحدون. فبعض البشر ينتقلون في تفكيرهم من الايمان المثنوي الى الالحاد الوحدوي، مثل دوكنز على سبيل المثال، والبعض ينتقل من الالحاد الوحدوي الى الايمان المثنوي، مثل انتوني فلو على سبيل المثال. فالقضية لا ترتبط بطبيعة الانسان ولا بتطوره عبر الانتخاب الطبيعي، بل هي قضية عقلية فلسفية، ولذلك تناقش غالباً ضمن القضايا الفلسفية منذ زمن افلاطون وارسطو والى الان، مروراً بديكارت وليبنتز وماليبنراخ وبافلوف Pvalov وغيرهم، وتسمى فلسفة العقل. فالموضوع لا يمكن تناوله بهذه الطريقة السطحية بمجرد القول ان للاطفال القابلية على المثنوية، وكأن الطفل حينما يكبر يتحول الى وحدوي! او ان الطفولة هي سبب نشوء المثنوية عند الكبار!! فلماذا تحول بعضهم الى وحدويين؟!! بل وحتى الوحدوية قد اختلفت بينها وتفرعت الى عدة مدارس منها: السلوكية (Behaviourism) والجسمانية (Physicalism) والوظيفية (Functionalism)، ولكل منها فلسفتها ونظرتها الخاصة.

وصدق الدكتور عدنان ابراهيم حينما يقول:

"وهذه هي مشكلة التطوريين حيث انهم تركوا العلم والبيولوجي Biology وجاءوا يتكلّمون في الفلسفات وفي اللاهوت وفي السوسيولوجي Sociology وحتى في علم النفس وفي الاخلاقيات، وهذا شيء غريب، ومن ثم أحدثوا مغالطات وخلطوا الاوراق كلها، ومن

يتأثر بهم سيكون حاله الشيء نفسه، فالمسكين سيصبح مشوشاً لا يعرف له سبيلاً ولا يهتدي طريقاً"[٣٨١].

تقدم بهدوء انك تدوس على ميماتي:

هذا الموضوع مثال جيد ينبغي دراسته بعناية حول كيفية "صناعة الوهم" في عالَم الالحاد، وهو مرتبط بشكل ما بالمقولة الشهيرة لوزير الدعاية السياسية في عهد هتلر، الالماني غوبلز (Paul Joseph Goebbels) والتي اصبحت مبدأً اعلامياً مهماً وهو: "اكذب اكذب حتى يصدقك الناس"! وصناعة الوهم هذه المرّة يرتبط بفكرة ابتدعها دوكنز بواجهة علمية مكذوبة، وابتدأ نشرها ووجد لها مناصرون، وانتشرت حتى يجد المتلقي العادي ان هذه الفكرة تناولها بعض الباحثين من ذوي الالقاب والوظائف العلمية ولكن ما ان يتم الدخول في تفاصيل الفكرة واسسها وادلتها يصطدم بأن لا شيء هناك وان كل شيء هو مجرد خيال ووهم، وقد نرتقي به لنسميه خيال علمي يصلح لبعض الافلام! هذه الفكرة اطلق عليها اسم (الميم) !

إذن نظرية الميمات نموذج لصناعة الوهم لأنه لا يوجد أي شيء في العلم النظري او التجريبي اسمه (ميمات)، فدوكنز داعية الالحاد اخترع هذا المصطلح ليبرر وجود فطرة الانسان التي تؤمن بوجود إله خالق للكون عبر الاجيال الانسانية منذ آلاف السنين. وفي مناظرة دوكنز مع ديباك شوبرا وحينما ناقشا موضوع وعي الانسان وكيف يتشكل لم يتجرأ دوكنز على ذكر نظرية الميمات لانه كان سيفتضح اذ انها قضية ليس لها علاقة بالعلم. وعندما تحدث ريتشارد سيمون عن الذاكرة ووضع نظرية الاثر، فهو لم يتحدث عن توريث الذاكرة. بينما جاء دوكنز والظاهر انه استغل فكرة سيمون وطورها في ذهنه وصنع منها وهم توريث الميمات وانها كالجينات، وهذا يعني بشكل ما توريث للذاكرة من جيل الى جيل وإن لم يتطرق دوكنز في كلامه عن توريثها لانه يعرف انها من اسخف الافكار! بل اكتفى بإدعاء توريث "المعلومة" أو "الفكرة" من شخص لآخر كما تورث الجينات !! ومن قبله وقع داروين بنفس الخطأ من جهة اخرى عندما ظن ان الصفات المكتسبة

[٣٨١] خطبة للدكتور عدنان ابراهيم بعنوان (في سبيل اخوين او ٨ ابناء عم)، منشورة في موقعه الرسمي، بتاريخ ١٣ فبراير/ شباط ٢٠١٦م.

تورث الى ان اثبت العلم الحديث ان الصفات المكتسبة لا تورث. وقد اعجبني مثال طريف ذكره احدهم، نذكره للتفكّه، وهو ان اليهود الشرقيين واجدادهم بنو اسرائيل اي منذ ما قبل حوالي ٤٠٠٠ سنة يختتنون فلماذا لم ينشأ جيل مختون!

نعود الى موضوع الميمات، حيث يقول موقع الويكيبيديا:

"علم التطور الثقافي أو علم الميميات Memetics هو أحد طرق النمذجة التطورية لانتقال المعلومات الثقافية بين أفراد المجتمع. أول من رسخ هذه المحاولة كان العالم ريتشارد داوكنز عام ١٩٧٦، لكن تسجل محاولة سابقة عام ١٩٠٤ على يد ريتشارد سيمون البيولوجي التطوري الذي ألف كتابا أسماه: Die Mnemische Empfindungen in ihren Beziehungen zu den Originalenempfindungen تمت ترجمته للإنكليزية باسم The Mneme وهو تحوير لكلمة إغريقية الأصل. عام ١٩٧٦ استخدم ريتشارد داوكنز مصطلح قريب دعي ميم أو "ميمي" Meme ليصف الوحدة الأساسية للتطور الثقافي الإنساني معتبراً إياها المناظرة للجينات في الوراثة، معتبرا ان الانتساخ والانتقال يحدث بطريقة مشابهة وإن كانت غير متماثلة تماما. يناقش داوكنز في كتابه أن الميمي هي وحدة المعلومات في العقل البشري وهو المنسوخ الطافر خلال عملية التطور الثقافي. فهي النمط الأساسي القادر على التأثير على محيطه والقادر على الانتشار من فرد لآخر. كتاب داوكنز حمل اسم "الجينة الأنانية" The Selfish Gene وكان كتابا يركز أساسا على علم الوراثة ولم يشرح فيه كيف تؤثر الوحدة الأساسية للمعلومات في الدماغ على سلوك الإنسان وكيف تنتقل لتؤثر على الثقافة، وسرعان ما أطلقت هذه الأفكار جدالا ونقاشا عميقا بين أوساط علماء الاجتماع. مصطلح "ميمي" نفسه طرحه داوكنز عرضا ولم يقصد تقديم نظرية وافية حوله لذلك لم يتحدد المفهوم أو التعريف الدقيق للميمي أو "الوحدة الأساسية للمعلومات" بشكل دقيق وظلت تأخذ معان مختلفة حسب عالم الاجتماع الذي يستخدمها.

الحركة الميماتية الجديدة انطلقت من جديد في منتصف الثمانيات على يد دوغلاس هوفشتادر الذي كان يكتب حينها عمود "مواضيع فوق–سحرية" في مجلة ساينتفيك أمريكان، كان من أهم مميزات هذه الحركة الجديدة انها مختلفة عن النظرية التطورية الاجتماعية التقليدية وأن معظم ناشطيها كانوا من خارج إطار علم الاجتماع وعلم الإنسان

بلإنهم حتى من غير الأكاديميين. كانت لشعبية كتاب داوكنز "الجينة الأنانية" دورا كبيرا في اجتذاب الكثير من المهتمين بهذه المواضيع لهذه الساحة الإبداعية الجدية وغير المستكشفة، في عام ١٩٩٢ ظهر كتاب جديد حقق رواجا "الوعي مفسرا" لفيلسوف جامعة تينت دانيال دينيت الذي استخدم الميمي ضمن إطار نظرية مستفيضة حول الوعي والدماغ والعقل. في عام ١٩٩٣ عاد ريتشارد داوكنز ليستخدم مصطلح "الميميات" Memetics في مقالته "فيروسات العقل" ليشرح ظاهرة المعتقدات الدينية وخواص الديانات المنظمة."[٣٨٢].

وفي موضع آخر نقرأ:

"الميم (meme بالإنجليزية وتلفظ [mi:m] مثل العربية، واللفظ مذكر كما في الفرنسية) لفظ أحدثه عام ١٩٧٦ البيولوجي ريتشارد داوكنز، يشير هذا المصطلح إلى "وحدة المعلومات الثقافية" التي يمكن نقلها من عقل لآخر بطريقة مشابهة لانتقال الجينات من فرد لآخر خلال عملية التكاثر حيث تعتبر الجينات وحدة المعلومات الوراثية، سرعان ما ظهر لاحقا علم خاص يدعى علم الميميات يعنى بدراسة هذه الفكرة وتطبيقاتها.

أعطى داوكنز أمثلة عن الميمات: "النغمات، العبارات الملتقطة في الشارع، المعتقدات، الموضة وأنماط اللباس، طرق البناء، وصناعة الأقواس في البناء ".

الميم كما يقول تنتشر وتمتد لوحدها كوحدة للتطور الثقافي والانتشار – بطريقة مماثلة بعدة طرق لسلوك الجينات. تنتشر الميمات كمجموعات أو زمر متكاملة تعمل معا يشار لها بمعقد الميميات.

فكرة الميمات نفسها كانت برهانا على فكرة "الميم" بانتشارها السريع مما جعلها تحقق درجة من الاختراق في الأوساط الثقافية وفي الثقافة الشعبية قلما حققتها نظريات علمية حديثة.

[٣٨٢] الموقع الالكتروني ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تحت عنوان (علم التطور الثقافي).

بعض النظريات والأفكار تقترح أن الميمات تتطور من خلال اصطفاء طبيعي بطريقة مشابهة لأفكار تشارلز داروين فيما يخص التطور البيولوجي. باعتماد أفكار مثل التنوع، الطفرة، التنافس وأخيرا الوراثة ويمكن تفسير وتوقع نجاح تكرارية هذه الأفكار وانتشارها وتطورها. يمكن لفكرة أن تنقرض في حين أن أفكارا أخرى يمكن لها أن تنجو وتحيا وتنتشر وتطفر نحو الأفضل أو نحو الأسوء من خلال ما يطرأ عليها من تعديلات."[٣٨٣].

إذن كل شي من البداية هو من اجل اختراع فكرة يتم الاتكاء عليها لتفسير اسباب انجذاب الفطرة الانسانية الى حقيقة وجود إله للكون وتناقل هذه الفطرة عبر الاجيال منذ آلاف السنين. فيراد من فكرة الميمات الوهمية مقاومة حقيقة الفطرة الانسانية التي تؤمن بوجود إله، حيث يزعمون ان الميمات تتطور وتنتقل من انسان الى آخر كما هو حال الجينات الوراثية، ولذلك تنتقل فكرة الدين ووجود الإله عبر الاجيال، ليتجنبوا حقيقة شعور الانسان من خلال فطرته بحتمية وجود الإله. هذا هو مختصر صناعة الوهم الذي انتجه دوكنز من خلال مصطلح الميمات.

ومن الجدير بالذكر ان ريتشارد سيمون (Richard Wolfgang Semon)، الواردة الاشارة اليه في النص السابق، هو "عالم حيوان وأحياء ألماني اعتقد في توارث الصفات المكتسبة وطبق ذلك على التطور (الثقافي– الاجتماعي)"[٣٨٤]...

"في بداية القرن العشرين ظهرت أعمال ريتشارد سيمون Richard Semon خاصة كتابه: Di Mneme وفيه يعرف الذاكرة بأنها الأثر الذي تتركه خبرة ما في الدماغ. وقد كان "ريتشارد سيمون" أول من وضع الأساس لما يعرف "بنظرية الأثر"؛التي تقوم على فكرة مفادها أن التمثلات العقلية والبيولوجية للمثيرات مطابقة للأحداث الحقيقية"[٣٨٥].

ويبدو انه هو الذي قدح فكرة الميمات التي اخذها دوكنز منه فيما بعد! وحيث ان العلم اثبت خطأ فكرة توارث الصفات المكتسبة وشكّل ذلك احد المرتكزات العلمية في نقض نظرية داروين، فجاء

---

[٣٨٣] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تحت عنوان (ميم (وحدة)).

[٣٨٤] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تحت عنوان (ريتشارد سيمون).

[٣٨٥] مقال بعنوان (الذاكرة: وظائفها وأثرها في القراءة)، منشور في الموقع الالكتروني (Le blog d'education et de formation)، عبر الرابط: http://cfijdida.over-blog.com/article-54404982.html

هؤلاء للالتفاف على الموضوع من الناحية التطورية البايولوجية فأحدثوا فكرة الميمات التي تعمل في الحيّز (الثقافي– الاجتماعي)!

ومن الواضح ان دوكنز نفسه غير مقتنع تماماً بصواب ما يكتبه لذلك تجده تارةً يتحدث عن الدين كنتاتج عرضي وتارة عن الاعداد النفسي للدين ثم يعود ليتحدث عما ذكره في كتابه (الجينة الانانية The Selfish Gene) سنة ١٩٧٦ عن اختراعه لمصطلح وهمي هو الميمات! واذا كان دوكنز مختص في البايولوجي ويروّج لنظرية التطور من خلال اختصاصه هذا، فلماذا يقفز فجأة لقضايا إلحادية ويخترع مصطلحات ثقافية كمصطلحه (الميمات)! اليس هذا دجل بأسم العلم حينما يتلبس بلباس العلم ثم يتطرق الى مواضيع غير علمية بأسم العلم!! اليس من المضحك قوله:

(فما أرمي إليه تحديداً هو دراسة بيولوجيا الانانية وبيولوجيا الايثار. لابد من الاشارة الى ان الاهمية الانسانية لهذا الموضوع تبقى جلية، بمعزل عن منفعته الاكاديمية، فهو يلامس مختلف جوانب حياتنا الاجتماعية، وضمناً حبّنا وكرهنا، شجارنا وتعاوننا، اعطياتنا وسرقاتنا، جشعنا وكرمنا)[٣٨٦]!!

ويقول دوكنز:

(الواقع انه يمكن اختصار معظم ما يُعتبر غير اعتيادي في ما يتعلق بالانسان، بكلمة واحدة هي "الثقافة". وأشير الى انني لا استخدم هذه الكلمة بمعناها الصلف وإنما بالمعنى الذي يعتمده رجل علم. والجدير ذكره في هذا الاطار ان الانتقال الثقافي يشبه الانتقال الجيني من حيث أنه قد ينشأ كشكل من أشكل التطور، وإن كان مقاوماً للتغيير في الاساس)[٣٨٧].

ويقول:

"ويبدو أننا بحاجة الى اسم نطلقه على المتضاعف الجديد، اسم يجسده فكرة الوحدة القائمة على الانتقال الثقافي أو الوحدة القائمة على التقليد. وصحيح أن المصطلح (ميميم)

[٣٨٦] الجينة الانانية / ريتشارد دوكنز - ص١٠.

[٣٨٧] المصدر السابق – ص٣٠٩.

Mimeme مشتق من جذر اغريقي ملائم، إلا أنني أود استخدام كلمة أحادية المقطع على قياس (الجينة). واتمنى ان يغفر لي أصدقائي الكلاسيكيون اختصار كلمة ميميم الى (ميم)"....

... "وأذكر من الامثلة عن الميمات الالحان والافكار والشعارات والأزياء وطريق صنع الاواني أو بناء القناطر. وتماماً كما تنتشر الجينات في الجمعية الجينية عبر القفز من جسد الى آخر بواسطة الحوينات المنوية أو البيوض، تنتشر الميمات في الجمعية الميمية عبر القفز من دماغ الى آخر بواسطة مسار يمكن تسميته بالمعنى الواسع (التقليد). فعلى سبيل المثال، ان قرأ عالم أو سمع عن فكرة جيدة، يعمد الى نقلها الى زملائه وطلابهن ويذكرها في مقالاته ومحاضراته. وإن لقيت الفكرة النجاح، أمكن القول انها تنتشر وتنتقل من دماغ الى آخر. وكما أوضح زميلي (أن. كاي. هامفري) N.K. Humphrey بإيجاز في مسودة سابقة لهذا الفصل، (ينبغي النظر الى الميمات باعتبارها بُنى حيّة ليس على مستوى التشبيه فحسب، إنما أيضاً من الناحية التقنية. فعندما تزرع ميماً خصباً في عقلي، تتطفل على دماغي وتحوله الى وسيلة لنقل الميم تماماً كما تتطفل جرثومة على الآلية الجينية للخلية المضيفة. وهذه ليست مجرد طريقة في الحديث فحسب، فميم الايمان بالحياة بعد الموت على سبيل المثال، يتحقق مادياً ملايين المرات كبنية في الاجهزة العصبية للافراد من البشر في جميع انحاء العالم.

ولنأخذ مثالاً فكرة الله. نحن لا نعرف كيف نشأت هذه الفكرة في الجمعية الميمية. لكنها على الارجح عن (تحولات) مستقلة متعددة. الا انها في مختلف الاحوال تبقى فكرة قديمة. لكن كيف يتضاعف هذا الميم؟ هو يتضاعف بالكلمة المكتوبة والمسموعة، متعاوناً مع الموسيقى الرائعة والفن الباهر. والسؤال هو: ما الذي يجعل لهذا الميم هذه القيمة المهمة لجهة البقاء؟ تذكروا أن قيمة البقاء هنا لا تعني القيمة بالنسبة الى الجينة في الجمعية الجينية، وإنما القيمة بالنسبة الى الميم في الجمعية الميمية. والمقصود تحديداً بالسؤال هو الاتي: ما المميز في فكرة الله الذي يعطي هذه الفكرة الثبات والمقدرة على اختراق البيئة الثقافية؟ الواقع أن قيمة البقاء بالنسبة الى ميم الله في الجمعية الميمية تنشأ عن الاغراء النفسي المهم الذي تنطوي عليه. فهذا الميم يقترح جواباً مقبولاً ظاهرياً للأسئلة العميقة والمقلقة بشأن الوجود. وهو يقترح أيضاً أن الظلم في هذا العالم قد يصوّب في الحياة الثانية. (فاليد الخالدة) تؤمّن وسادة لمظاهر قصورنا وتبقى فعالة لأنها خيالية كما

الدواء الغفل الذي يصفه الطبيب. وهذه بعض الاسباب التي تجعل الاجيال الكتعاقبة تنسخ فكرة الله من الادمغة الفردية، فالله موجود، سواء أكان ميماً بقيمة مهمة للبقاء، أو قوة يسهل نشرها في البيئة التي تؤمّنها الثقافة البشرية.

الواقع أن بعض زملائي أشار عليّ بأن هذا التفسير لقيمة البقاء المميزة لميم الله يشكل التفافاً على الموضوع. وهم كانوا خلال التحليل الاخير يرغبون دوماً في العودة الى (المنفعة البيولوجية). فهم لا يستحسنون الاكتفاء بالقول إن فكرة الله تنطوي على (إغراء نفسي مهم). هم يريدون أن يعرفوا سبب اشتمالها على هذا الاغراء النفسي تحديداً. ولا بد من الاشارة الى ان الاغراء النفسي يعني الاغراء للادمغة، والادمغة تتشكل بفعل الانتقائية الطبيعية للجينات في الجمعية الجينية. وهم من ثم يريدون العثور على طريقة تجعل امتلاك دماغ كهذا يحسّن من بقاء الجينة.

الجدير ذكره انني اتعاطف كثيراً مع هذا الموقف. ولا أشك في وجود منافع جينية لامتلاكنا الادمغة التي نمتلكها.لكنني على الرغم من ذلك اعتقد بان هؤلاء الزملاء سيكتشفون ان هم تمعنوا في أُسس فرضياتهم الخاصة، أنهم يلتفون على المواضيع بمقدار ما افعل انا ذلك. فالسبب الاساسي الذي يجعل محاولتنا تفسير الظواهر البيولوجية على مستوى المنفعة الجينية سياسة مفيدة، يُعزى الى ان الجينات تكوّن متضاعفات او نواسخ.فما ان يوفر الحساء البدائي الظروف الملائمة التي تسمح للجزيئات بأن تنتج نسخاً مطابقة لها حتى تتولّى المتضاعفات هذه المهمة)"[٣٨٨].

ولقد اسهبنا في نقل كلام دوكنز المتهافت عن الميمات لتتضح مقاصده امام القاريء ولنكون منصفين معه حين نقده. ولنا ان نتسائل انه اذا كانت كلمة (الإله) تمتلك اغراءاً نفسياً جعلها تتسم بالثبات والمقدرة على اختراق البيئة الثقافية والذي اعترف دوكنز نفسه به، فلماذا نجد ان نفس الملحد لا تمتلك هذا الاغراء ! واذا كان وراء هذا الاغراء فوائد جينية مفترضة ومزعومة، فلماذا تخلى الملحدون عن تلك الفائدة؟!

[٣٨٨] الجينة الانانية / ريتشارد دوكنز – ص (٣١٣ -٣١٥).

والمدهش انه يعترف على نفسه انه يلتف على الموضوع! وهذا يكشف عن ان كلامه كله حول الميمات هو مجرد افكار شبيهة بقصص الخيال العلمي! اما الواقع العلمي فليس له نصيب منه، ولذلك لا تجد مناقشات في مجامع علمية رصينة لأفكار دوكنز!!

ونجد من المهم ان نوجه السؤال التالي لدوكنز وانصار الميمات! وهو ما هو الاثبات العلمي على وجود الميمات؟!!

ويحاول دوكنز بشدّة الدفاع عن فكرة (الميم) ويحاول دون جدوى اثبات انها مصطلح لشيء حقيقي وليس مجرد اصطلاح وهمي وضعه من نبات افكاره! فيقول في كتابه (الجينة الانانية):

(ينبغي النظر الى الميمات باعتبارها بُنى حيّة، ليس على مستوى التشبيه فحسب، إنما أيضاً على المستوى التقني. ... وإذا كانت الميمات في الدماغ شبيهة بالجينات، فلا بد من أن تكون بُنى دماغية تتضاعف ذاتياً، أو بتعبير آخر، نماذج فعلية من الاسلاك العصبية التي تعيد تكوين نفسها في دماغ تلو آخر. ولطالما شعرت بالانزعاج لإفصاحي عن هذه الفرضية علانية، باعتبار أنّ ما نعرفه عن الادمغة أقل بكثير مما نعرفه عن الجينات، مما يعني حتماً أنّ معرفتنا بالتركيبة الدماغية أقل بكثير مما نعرفه عن الجينات، مما يعني حتماً أنّ معرفتنا بالتركيبة الدماغية مبهمة. وقد تنفست الصعداء عندما تسلّمت أخيراً مقالة مثيرة للاهتمام كتبها خوان ديليوس Juan Dulius من جامعة كونتانز University of Konstanz في ألمانيا. وخلافاً لي أنا، لم يضطر ديليوس الى اتخاذ موقف المعتذر لأنه عالم متميّز في حين أنني لست كذلك. ومن ثم يسرني أنه يتمتع بالجرأة الكافية للحديث عن هذه المسألة عن طريق نشر صورة مفصلة عمّا يمكن أن تكون عليه القطعة العصبية الصلبة المكوّنة للميم. واذكر أيضاً من الامور الاخرى المهمة استكشاف الشبه بين الميمات والطفيليات بطريقة بحثية تفوق ما انجزته انا، ولمزيد من الدقة، باعتماد طيف تقع الطفيليات الخبيثة على أحد طرفيه، فيما تشغل "المتكافلات"

الحميدة الطرف الآخر. وانا اولي اهتماماً شديداً لهذه المقاربة خصوصاً بسبب اهتمامي الخاص بمفاعيل "النمط الظاهري المتمدد" لجينات الطفيليات على سلوك المضيف)[٣٨٩].

ورغم هذه التمويهات واستعمالات الخيال العلمي الذي لا واقع له، فالذي يكشف زيف موقف دوكنز ان الميم الذي هو وحدة الثقافة التي تقابل الجينات في الموروثات، هذا الميم يفترض به هو الذي يكوّن الوعي عند الانسان، باعتبار فرضية ان الميم هو اصغر وحدة للثقافة وللوعي! ولكن دوكنز نفسه يعود في مناظرته مع ديباك شوبرا لينكر اي معرفة علمية بطبيعة الوعي وكيف يتكون في دماغ الانسان! فلماذا لم يتحدث في تلك المناظرة عن الميمات التي توهمها واشاعها عبر كتابه السخيف (الجينة الانانية)! نعم ربما يمكن لدوكنز ان يتحدث عن الميمات في كتاب له هنا او هناك، لكنه لا يستطيع ان يجابه اي جهة علمية في مناظرة عن الميمات لأنها سيفتضح امره حينئذٍ! فدوكنز يدرك جيداً ان فكرة الميمات فكرة خيالية لا تصمد امام النقد العلمي.

ونؤكد من جديد ان دوكنز يتحدث مبيناً فكرته عن الانتخاب الطبيعي والذي من خلالها سنؤكد ما ذكرناه سابقاً من ان مفهوم الانتخاب الطبيعي عند دوكنز يختلف عما هو عليه عند داروين، فدوكنز جاء بمفهوم خاص به عن الانتخاب الطبيعي واطلق عليه نفس لفظ داروين (الانتخاب الطبيعي) للتدليس ولتمرير فكرته دون رقيب!

نعود الى هذه الفقرة في كتابه (وهم الإله)، حيث نجده يبتديء الفقرة بعبارة لـ (اوسكار وايلد) يقول فيها:

"في الشؤون الدينية فإن الحقيقة هي ليست أكثر من الاعتقاد الذي استطاع البقاء"[٣٩٠].

وهو نفسه يقول في موضع آخر:

"إذا أردت أن تقول الحقيقة للناس فاجعلهم يضحكون، وإلا فسوف يقتلونك".

---

[٣٨٩] الجينة الانانية / ريتشارد دوكنز – ص٣٢٥.

[٣٩٠] وهم الإله / دوكنز – ص١٩٣.

بمعنى ان تقول للناس ما يرضيهم حتى لو كان خلاف الحقيقة! وعلى ذلك يمكن أن نحمل كلامه عن الدين !! فلا يبقى لما استشهد به دوكنز من كلامه قيمة تذكر.

ومن جهة اخرى فحينما يستشهد بكلام شخص عن الدين عليه ان يأتي بشخصية اكثر اتزاناً من اوسكار وايلد المشهور بفضائحه الجنسية واللاأخلاقية واللواط !

ومن جهة ثالثة، فان الحقيقة في الدين هي القضايا المبنية على الادلة العقلية والقضايا الاعجازية، فالعقل من قبيل أن المادة لا يمكن ان تخلق نفسها وهي قد اتت من العدم حيث أنَّ فاقد الشيء لا يعطيه. اما الاعجازية فمن قبيل تكلم المسيح (عليه السلام) في المهد، والذي اثبت بذلك ولادته الاعجازية المباركة. ومن قبيل القرآن الكريم المعجزة الإلهية الخالدة.

كان اوسكار وايلد بحاجة لفهم اعمق للدين، واذا كان يقصد الدين المسيحي فهذا امر يرجعنا للكلام عن التأثير السيء للدين المسيحي الذي حرّفه بولس على المسيحيين والذي تسبب في العصور المتأخرة بالارتداد عن الايمان المسيحي نحو الالحاد وبعضهم نحو العلمانية ورافق كل ذلك انحسار لدور الكنيسة الممتدة من زمن بولس الى عصرنا الحاضر.

اما دوكنز فيظن ان الفكر الديني يخضع ايضاً للتطور الداروينى ! فيقول:

"وجود أي شيء منتشر بكثر لدى جنس ما، مثل الدين، يجب ان يكون له فائدة وإلا لن يكتب له البقاء، لأن الانتخاب الطبيعي الداروينى يكره التبذير"[٣٩١].

ثم يستمر دوكنز الى ان يقول:

"بشكل عام يجب على الانتخاب الطبيعي ان يختار من بين المُستنسِخات المختلفة. المُستنسِخة هي قطعة من المعلومات المُشفرة التي تصنع نُسخاً مُطابقة لذاتها وقليلاً من النُسخ الغير مضبوطة تماماً أو ما يسمى (المُحورة). والنقطة التي نتكلم عنها هي داروينية هنا. أصناف المُستنسخات التي شائت الصدف وكانت جيدة لتُضاعف نفسها ويزداد عددها على حساب المُستنسخات الاخرى التي جودتها أقل في التضاعف. ذلك هو الشرح الاولي للانتخاب الطبيعي. والمُستنسِخ هنا هو المورثة، شريط لـ DNA يتضاعف، وبدقة

[٣٩١] وهم الإله / دوكنز – ص١٩٣.

بالغة وعلى أجيال لا عدد لها. السؤال المركزي في نظرية الميمات هي عما إذا كان هناك وحدات ثقافية تقليدية تسلك سُلوك المُستنسِخات، مثل المورثات. لا أقول هنا ان الميمات هي بالضرورة متشابهة مع المورثات، أقول فقط بأنه كلما اقتربت الميمات شبهاً بالمورثات فإن النظرية تعمل بشكل أفضل. والسؤال هنا هو فيما إذا كان بإمكان نظرية الميمات ان تعمل في تلك الحالة الخاصة المسماة بالدين"[٣٩٢].

ويسترسل دوكنز ليقول:

"بنك الميمات أقل تنظيماً وترتيباً من مجموعة المورثات. برغم ذلك، فليس من السخف الكلام عن البنك الميمي والتي يكون لبعضها (تواتر) متغير كنتيجة للتفاعل بين ميمات بديلة.

البعض يتحفظ على التفسيرات الميماتية ولأسباب مختلفة تبنى غالباً على أن الميمات ليس تماماً كالمورثات. التركيب الفيزيائي للمورثات معروف (سلسلة الـ DNA) وتركيب الميمات ليس معروفاً، الميمات المختلفة تنتقل من وسط فيزيائي لآخر. هل توجد الميمات في الدماغ فقط؟ أو ان كل نسخة ورقية أو الكترونية لقصيدة فكاهية يحق لنا تسميتها بالـ (ميمة)؟ ومرة اخرى تتضاعف الجينات بدقة عالية جداً بينما فيما لو تضاعفت الميمات، ألن تفعل ذلك بدقة هابطة جداً؟

تلك المشاكل المزعومة عن الميمات مبالغ بها الى حد ما"[٣٩٣].

وبالحقيقة فانه ليست هناك مبالغة، فحينما يكون الحديث عن امور وهمية مخترعة، كقصص العنقاء ودراكولا ومصاصي الدماء، فليست هناك مبالغة في انتقاد مثل هذه الامور من الناحية العلمية. وليس تركيب الميمات وحده غير معروف كما يزعم دوكنز، بل وجودها نفسه امر وهمي مفترض. اليس غريباً على رجل يدعي العلم ويتاجر بأسمه في كتبه ومحاضراته أن يلجأ لفكرة وهمية مخترعة ليس لها اي اساس من واقع او علم او منطق!!

---

[٣٩٢] المصدر السابق – ص١٩٣ و١٩٤.

[٣٩٣] وهم الإله / دوكنز – ص١٩٤ و١٩٥.

وفي نهاية هذه الفقرة يبين دوكنز فكرته بوضوح فيقول:

"الاديان المنظمة يقوم عليها أشخاص: قسس ومطارين وحاخامات وأئمة وآيات الله. ولكن، ومرة اخرى للتأكيد على النقطة التي اريد توضيحها عن مارتن لوثر، ذلك لا يعني بأنها مصممة او مخلوقة من الافراد. حتى في حالة استغلال الدين ومعالجته لمصلحة بعض الافراد فإن الامكانية القوية تبقى بأن تفاصيل كل دين قد شذبت بطريقة تطورية لا واعية. ليس بالانتخاب الطبيعي الوراثي والذي هو بطيء جداً ليكون سبباً في التطور السريع والمتنوع للاديان. ودور الانتخاب الطبيعي الوراثي يقتصر على تأمين الدماغ بكل ميوله وانحيازه، كالجهاز والبرنامج البدائي والذي يخلق الخلفية للانتخاب الميمي. وبهذه الخلفية يبدو لي ان الانتخاب الطبيعي يشكل ما يؤمن تفاصيل التطور لدين ما بصورة معقولة. في الاطوار البدائية من تطور الدين وقبل ان يصبح منظما، تدين الميمات ببقائها لقيمتها المستقلة وجاذبيتها من الناحية النفسية البشرية. وهنا تلتقي نظريتيّ الميمات الدينية والدين كناتج عرضي نفسي. وفي المراحل اللاحقة، حيث يصبح الدين منظماً ومدروساً ومميزاً عن الاديان الاخرى. تشرح بشكل جيد نظرية المجاميع الميمية المركبة والمتميزات من الميمات المتكاملة. ذلك لا يلغي الدور الآخر الذي يلعبه القس والآخرون لتطويع الدين لمصالحهم. الاديان كما يبدو ولو بجزء ما مُصممة بذكاء، كما هو الحال في المدارس والموضة في الفن"[٣٩٤].

فمن هذا النص يبين دوكنز ان هناك ركاكة في داخل نفسه في قناعته بنظرياته الوهمية تماماً، ابتداءاً من نظرية الدين كناتج عرضي، ومروراً بنظرية الميمات الوهمية! ولذلك تجده تارة يتحدث عن هذه وتارة عن تلك! ولسنا بحاجة الى بيان الجهد الكبير من الاوهام التي يحاول دوكنز المجانسة بينها لانتاج تركيبة فكرية يحاول ان يجعلها قابلة لخداع القاريء ليتقبل اوهامه!! ويكفينا اعترافه في السطر الاخير من النص المقتبس بأن الدين مصمم بذكاء، وهذا هو مصدر معاناة دوكنز وسبب كل الاوهام التي يسطرها ليحاول شرح كيف كان الدين مصمم بذكاء بدون وجود إله! كما يحاول من قبل ذلك شرح كيف ان الكون مصمم بذكاء بدون وجود الخالق !! اذن يا

[٣٩٤] وهم الاله / دوكنز – ص٢٠٣.

دوكنز ويا اتباع دوكنز رغم انكم لم تقدموا تفسيراً مقنعا لكيفية وجود تصميم ذكي للكون، فكذلك لم تقدموا تفسيراً مقنعاً لكيفية وجود تصميم ذكي للدين.

كل ما يقدمه دوكنز هو أوهام فوق اوهام، وظلمات فوق ظلمات، وبهذه الافكار يريد التغطية على السؤالين الحيويين: من اين اتت المادة التي يتكون منها الكون، ومن اين اتت الحياة التي يزعمون تطور كائناتها؟

طائفة شحنات البضائع

يحاول دوكنز تجيير قصص اديان وضعية لصالح مبدئه الإلحادي في نفي الاديان، ويزعم في هذه الفقرة ان الاديان هي عملية نصب واحتيال وليست مرتبطة بالإله ولا من تنزيله. وهو في هذه المحاولة كمن يغطي الشمس بغربال، لأن الاديان بمنظومتها القانونية والاخلاقية التي تراعي مصالح البشر لا يمكن ان يكون مصدرها انساني فضلا عن المعجزات التي ترافق الانبياء الذين يتنزل الدين عليهم. ولا يخفى ان المعجزة الخالدة التي جاء بها الاسلام وهي معجزء القرآن الكريم هي معجزة باقية شاهدة على صحة الاسلام.

ومن الاسراف في القول مناقشة مثل هذه الافكار السطحية التي ذكرها دوكنز في هذه الفقرة. فشتان بين دين سماوي كالاسلام وبين دين وضعي تتبعه طائفة جون فروم في احدى الجزر المغمورة في جنوب المحيط الهاديء !

منشأ الاخلاق:

قال دوكنز في نهاية الفصل الخامس:

"من المتعارف عليه ان الاخلاق تأتي من الدين، وفي الفصل التالي ساناقش وجهة النظر تلك. وسأحاجج بأن الاخلاق بحد ذاتها هي موضوع دارويني. تماماً كما كان سؤالنا سابقاً: ما هي القيمة الداروينية للبقاء التي يقدمها الدين؟ نستطيع طرح السؤال نفسه عن الاخلاق. الاخلاق بدون شك سبقت الاديان. وكما اعدنا صياغة السؤال بالنسبة للدين، سنفعل نفس الشيء وربما نجد أن الاخلاق ربما كانت ناتج عرضي لشيء آخر"[٣٩٥].

دوكنز هنا يذكرنا بالسؤال الجدلي: البيضة من الدجاجة ام الدجاجة من البيضة! فهل الدين كان قبل الاخلاق ام الاخلاق قبل الدين؟! المؤمنون يقولون بأن آدم (عليه السلام) هو اول الانبياء (عليهم السلام) وبذلك يكون الدين هو مصدر الاخلاق. بالاضافة الى ان الله سبحانه وتعالى قد وضع في عقل الانسان قواعد فطرية من قبل الخير حسن والشر قبيح، وان من الخير بر الوالدين وصلة الارحام وحفظ الامانة، ومن الشر عقوق الوالدين وقطع الرحم وخيانة الامانة إلخ ... فالدين انما يذكر بهذه الامور الفطرية ويهذبها في حياة الانسان. بينما الملحدون يقولون بأن الاخلاق سبقت الدين بإعتبار انهم يؤمنون بالتطور وان الاديان ظهرت في مرحلة لاحقة كما يزعمون! ولكن اذا كانت الاخلاق قبل الدين فهذا معناه انها يجب ان تلقي بظلالها على الدين، واذا كانت الاخلاق الدينية الحالية قد ظهرت قبل الدين فهذا يعني انها مرتبطة بضمير الانسان وعقله وتفكيره واحتياجه الانساني فبأي حق يريد دوكنز محو الاخلاق الدينية إذا كانت فعلاً قد سبقت الدين بالظهور !!

[٣٩٥] وهم الإله / دوكنز – ص٢٠٩.

المصادر

الكتب:

١. حوارات سيدني / مجموعة حوارات لريتشارد دوكنز / ترجمة قيس قاسم العجرش / دار سطور في بغداد / الطبعة الاولى، ٢٠١٧م – تحت عنوان (دوكنز على قناة الجزيرة).
٢. رحلة عقل / عمرو شريف / مكتبة الشروق الدولية في القاهرة / الطبعة الرابعة ٢٠١١.
٣. أصل الانواع / تشارلس داروين / ترجمة مجدي محمود المليجي / المركز القومي للترجمة في القاهرة/ الطبعة الثالثة، ٢٠١٤.
٤. وهم الإله / ريتشارد دوكنز / ترجمة بسام بغدادي / الطبعة الثانية.
٥. صانع الساعات الاعمى / ريتشارد دوكنز / ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي / المركز القومي للترجمة / الطبعة الاولى
٦. الجديد في الانتخاب الطبيعي / ريتشارد دوكنز / ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي / الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧. تاريخ أكثر إيجازاً للزمن / ستيفن هوكينغ وليونرد ملوندينوف / ترجمة احمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ / دار العين للنشر.
٨. تاريخ موجز للزمان / ستيفن هوكينغ / ترجمة مصطفى ابراهيم فهمي / دار التنوير للطباعة وانشر / الطبعة الاولى ٢٠١٦.

٩. بحار الانوار / العلامة المجلسي / مؤسسة الوفاء في بيروت / الطبعة الثانية المصححة ، ١٩٨٣
١٠. الثورة الثقافية ، مقدمة قصيرة جداً / ريتشارد كيرت كراوس / ترجمة شيماء طه الريدي / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة / الطبعة الاولى ٢٠١٤م.
١١. داروين مترديداً / ديفيد كوامن / ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي / الناشر كلمات عربية في القاهرة / الطبعة الاولى، ٢٠١٣.
١٢. نفحات القرآن / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي / مطبعة سليمانزاده / الطبعة الاولى التصحيح الثاني، ١٤٢٦هـ.
١٣. احلام الفيزيائيين / ستيفن وانبرغ / ترجمة ادهم السمان / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق/ الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
١٤. الفلسفة والانسان / الدكتور حسام الآلوسي / منشورات دار الحكمة ، بغداد ١٩٩٠.
١٥. لسان العرب / ابن منظور / نشر أدب الحوزة ، ١٤٠٥هـ.
١٦. كوكب الارض ، نقطة زرقاء باهتة / كارل ساغان / ترجمة د. شهرت العالم / مراجعة حسين بيومي / سلسلة عالم المعرفة ٢٥٤ في فبراير ٢٠٠٠م.
١٧. مدخل الى فلسفة الدين / محمد عثمان الخشت / در قباء للطباعةو النتشر والتوزيع في القاهرة / ٢٠٠١م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)/ ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ت ٦٧١هـ / تصحيح أحمد عبد العليم البردوني / دار احياء التراث العربي في بيروت / طبعة سنة ١٩٨٥م.
١٩. اينشتاين حياته وعالمه / والتر إيزاكسون / ترجمة هاشم احمد / كلمات عربية للترجمة في القاهرة / الطبعة الاولى ٢٠١٠م.
٢٠. تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت / ترجمة محمود احمد السيد / التنوير للطباعة والنشر في بيروت / الطبعة الاولى ٢٠١٠م.
٢١. الكتاب التذكاري ، محي الدين ابن عربي ، في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر في القاهرة / ١٩٦٩م.
٢٢. الاثني عشرية في الرد على الصوفية / الحر العاملي / المطبعة العلمية في قم المشرفة.
٢٣. الصلة بين التصوّف والتشيّع / الدكتور كامل مصطفى الشيبي / دار الاندلس في بيروت / الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.
٢٤. نفحات الانس من حضرات القدس / ابو بركات عبد الرحمن الجامي / طبعة الازهر ١٩٨٩م.

٢٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة / حبيب الله الهاشمي الخوئي ت١٣٢٤هـ / المكتبة الاسلامية في طهران / الطبعة الرابعة.
٢٦. نهج البلاغة / كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهما السلام) / شرح الشيخ محمد عبدة / دار الذخائر في قم المقدسة / الطبعة الاولى ، ١٤١٢هـ.
٢٧. معاني الاخبار / الشيخ الصدوق / تحقيق علي أكبر الغفاري / مؤسسة النشر الاسلامي ، ١٣٩هـ.
٢٨. الكتاب المقدس / صادق على اعادة طباعته مطران بيروت اغناطيوس زيادة / دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ١٩٩٢م.
٢٩. العهد الجديد / صادق على اعادة طبعه النائب الرسولي للاتين في لبنان بولس باسيم / منشورات دار المشرق في بيروت / المطبعة الكاثوليكية في عاريا / الطبعة الثامنة ١٩٨٢م..
٣٠. تاريخ الفلسفة الحديثة / وليم كلي رايت / ترجمة محمود احمد السيد / التنوير للطباعة والنشر في بيروت / الطبعة الاولى ٢٠١٠م.
٣١. قصة الحضارة ، (عصر لويس الرابع عشر) / وِل وَايريْل ديورَانت / ترجمة محمد علي أبو درّة.
٣٢. حكمة الغرب / برتراند راسل / ترجمة فؤاد زكريا / سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، الاصدار ٧٢.
٣٣. هوية التشيّع / الدكتور احمد الوائلي / دار الصفوة بيروت / الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
٣٤. نهج الحق وكشف الصدق / العلامة الحلي ت ٧٢٦هـ / مطبعة ستارة في قم المقدسة ، ١٤٢١هـ.
٣٥. معالم الدين وملاذ المجتهدين / الشيخ حسن بن زين الدين العاملي / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٦. الفتاوى الواضحة / السيد محمد باقر الصدر / مطبعة الاداب في النجف الاشرف.
٣٧. لماذا لستُ مسيحياً / برتراند رسل / ترجمة عبد الكريم ناصيف / مكتبة الفكر الجديد / الطبعة الاولى ، ٢٠١٥.
٣٨. معجم اعلام المورد / منير البعلبكي / دار العلم للملايين في بيروت / الطبعة الاولى ١٩٩٢.
٣٩. وسائل الشيعة / الحر العاملي / مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة / الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ.

٤٠. الكافي / الشيخ الكليني / تحقيق علي أكبر الغفاري / دار الكتب الاسلامية في طهران / الطبعة الخامسة.
٤١. الخصال / الشيخ الصدوق / تحقيق على أكبر الغفاري / مؤسسة النشر الاسلامي ، ١٤٠٣هـ.
٤٢. بحار الانوار / العلامة المجلسي / مؤسسة الوفاء في بيروت / الطبعة الثانية المصححة ، ١٩٨٣.
٤٣. مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي / تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي / مؤسسة النشر الاسلامي.
٤٤. رحلة عقل / عمرو شريف / مكتبة الشروق الدولية في القاهرة / الطبعة الرابعة ٢٠١١.
٤٥. السر / روندا بايرن Rhonda Byrne / مكتبة جرير / الطبعة الاولى ٢٠٠٨.
٤٦. الداروينية الجديدة ، صانع الساعات الاعمى / ريتشارد دوكنز / ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي / دار العين للنشر / الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢.
٤٧. طبيعة الحياة / فرانسيس كريك / ترجمة د. احمد مستجير / سلسلة علم المعرفة ، رقم ١٢٥ في سنة ١٩٨٨.
٤٨. شرح أصول الكافي / مولى محمد صالح المازندراني / ضبط وتصحيح السيد علي عاشور، تعليق ميرزا ابو الحسن الشعراني / دار إحياء التراث العربي في بيروت / الطبعة الاولى، ٢٠٠٠.
٤٩. التبيان في تفسير القرآن / الشيخ الطوسي ت٤٦٠هـ / تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي / مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي / الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.
٥٠. التفسير الكاشف / الشيخ محمد جواد مغنية / دار العلم للملايين في بيروت / الطبعة الثانية، ١٩٨٧.
٥١. النباهة والاستحمار / علي شريعتي / الدار العالمية للطباعة والنشر في بيروت / الطبعة الاولى، ١٩٨٤.
٥٢. كشف الاسرار / السيد الخميني / ترجمة صحيحة معرَّبة / مكتبة الفقيه في الكويت ودار المحجة البيضاء في بيروت / الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
٥٣. شرح نهج البلاغة / ابن ميثم البحراني / مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي في قم المقدسة / الطبعة الاولى.
٥٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد / العلامة الحلي / مؤسسة النشر الاسلامي الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٣٢هـ.

٥٥. الاسرار الخفية في العلوم العقلية / العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي / مؤسسة بوستان كتاب / الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.
٥٦. فلسفتنا / السيد محمد باقر الصدر / مطبعة الامير، الناشر دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.
٥٧. الجينة الانانية / ريتشارد دوكنز / ترجمة تانيا ناجيا / دار الساقي في بيروت بالتعاون مع مركز البابطين في الكويت / الطبعة الاولى ٢٠٠٩.

المقالات:

١. مقال بعنوان (مترجم: من أئمة الإلحاد)، ترجمة عبده طلبة، منشور على الموقع الالكتروني) ساسة بوست(sasapost ، عبر الرابط التالي :
http://www.sasapost.com/atheism6
٢. مقال بعنوان (الثورة الثقافية الصينية في عيون ناقديها وحنين المولعين بها ، بقلم د. عيسى بوقانون ، منشور في الموقع الالكتروني euronews.com.
٣. مقال (اضواء على مخطوطات الكتاب المقدس) / نبيل الكرخي ، والمنشور عبر الرابط:

http://www.4shared.com/office/FkVv5wYK/_____-__.html?

٤. مقال منشور في موقع الـ BBC الالكتروني تحت عنوان (The rape of Berlin) ، من خلال الرابط: http://www.bbc.com/news/magazine-32529679.

٥. مقال بعنوان (فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا) للدكتور بدران بن الحسن ، منشور في شبكة الانترنيت العالمية.

http://www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/3875-2010-11-19-23-58-46

٦. مقال بعنوان (جدلية أينشتاين في وجود الله) بقلم توماس برنابا ، منشور في موقع (الحوار المتمدن) ، عبر الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=353987

٧. مقال بعنوان (جاهل فأفكاره خاطئة، أو أفكاره واهية فهو جاهل؟) للشيخ حيدر حب الله ، منشور في موقعه الاكتروني الرسمي: https://goo.gl/aZXkPq.

٨. مقال بعنوان (المنهج السيكولوجي في إثبات وجود الله) ، للدكتور السيد محمد علي ديباجي ، منشور في الموقع الالكتروني (نصوص معاصرة) بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٤.

٩. مقال بعنوان (الهلوسة) منشور في الموقع الالكتروني للدكتور مجدي دهب.

١٠. مقال بعنوان (الهستيريا الجماعية) بقلم كمال غزال ، منشور في الموقع الالكتروني ما وراء الطبيعة.

١١. مقال بعنوان: (الاوهام والهستيريا الجماعية: أضواء على الالفية الماضية) / روبرت بارثولوميو وإريك غود.

العنوان الاصلي للمقال هو: (Mass Delusions and Hysterias: Highlights from the Past Millennium) منشور في موقع: (CSI: the Committee for Skeptical Inquiry)، بقلم: (Robert E. Bartholomew and Erich Goode).

١٢. مقال بعنوان (بوشكين وَالقرآن) بقلم مالك صقور / منشور في مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ١١٣ أيلول "سبتمبر" ١٩٨٠.

١٣. مقال بعنوان (اصالة القرآن الالهية) / نبيل الكرخي، منشور في موقعه الالكتروني.

١٤. مقال للاستاذ يحيى محمد بعنوان (هل يلعب الإله النرد؟)، منشور في الموقع الالكتروني (فلسفة العلم والفهم). منشور عبر الرابط:

http://www.philosophyofsci.com/index.php?id=40

١٥. مقال بعنوان (ريتشارد برايس، نظرية بايز، والإله Richard Price, Bayes' theorem, and God)، لـ مارتن هوبر Martyn Hooper، يمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

https://www.york.ac.uk/depts/maths/histstat/price.pdf

١٦. مقال بعنوان (نعم... معظم العلماء يؤمنون بالله)، في الموقع الالكتروني أليتيا Aleteia.

١٧.

١٨. مقال بعنوان (البرهان الرياضي على المعرفة بوجود الله عند جان موران)، بقلم عزمي إسلام، استاذ الفلسفة بجامعة الكويت، منشور في مجلة عالم الفكر التي تصدر عن وزارة الاعلام في الكويت، المجلد التاسع عشر، العدد الثالث، اكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٨٨.

١٩. مقال بعنوان (المبدأ الانثروبي أو مكانة الانسان في الكون)، بقلم جمال ميموني ونضال قسوم / منشور في الموقع الالكتروني سور الازبكية، بتاريخ ٥ / ١ /٢٠١٠م.

٢٠. مقال منشور تحت عنوان (فقط ستة أرقام: القوى العظمى التي تُشكِل الكون). منشور في الموقع الرسمي لمركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، وهو المركز الذي قام بترجمة كتاب (فقط ستة ارقام) الى اللغة العربية.

٢١. مقال بعنوان (في حوار مع: البروفيسور فيكتور ستينغر) منشور في الموقع الالكتروني الملحدين بالعربي.

٢٢. مقال بعنوان (عالم فيزياء بريطاني: بحوثي أثبتت أن الله خلق الكون)، منشور في الموقع الالكتروني الرسمي لوكالة انباء روسيا اليوم، بتاريخ ١ / ٥ / ٢٠١٧.

٢٣. مقال بعنوان (المبدأ الإنساني وإحراج الإلحاد)، بقلم احمد كمال قاسم ، منشور في الموقع الالكتروني طريق الاسلام، بتاريخ ٢٠١٤/٩/٦م.

٢٤. تقييم كريغ ووترمان لكتاب "إحتمالات الإله" لـ "ستيفان اونوين" يمكن الاطلاع على هذا الرابط :

http://chem.tufts.edu/science/Shermer/ESkeptic/ProbabilityofGod.html

٢٥. مقال بعنوان (Is God an Accident?)، بقلم (PAUL BLOOM)، منشور في الموقع الالكتروني لمجلة (The Atlantic)، عدد ديسمبر ٢٠٠٥.
٢٦. مقال بعنوان (الذاكرة: وظائفها وأثرها في القراءة)، منشور في الموقع الالكتروني (Le blog d'education et de formation)، عبر الرابط:

http://cfijdida.over-blog.com/article-54404982.html

المجلات:

١. مجلة كشف الاقنعة، العدد الاول، موضوع بعنوان (العلم ووجود الله، نقاش علمي لآراء ستيفن هوكينغ).
٢. مجلة الملحدين العرب، العدد (٢)، مقال بعنوان (الخلية الاولى).

المواقع والمصادر الالكترونية:

١. لقاء مع مايكل روز منشور في موقع اليوتيوب تحت عنوان: (ملحد يقول كتاب دوكنز جعلني أخجل من كوني ملحدا Atheist M. Ruse says Dawkins' book is an embarrassment).
٢. الموقع الالكتروني ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
٣. مناظرة جون لينكس مع ريتشارد دوكنز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي ومترجمة الى العربي تحت عنوان: (هل دفن العلم الله).
٤. (الكتاب المقدس بالهوامش الكرخية) / نبيل الكرخي ، والمنشور في موقعه الالكتروني، وكذلك عبر الرابط:

http://www.4shared.com/office/Jd5T110t/____-__.html

٥. الموقع الالكتروني (الموسوعة العربية).

٦. موقع (العربية.نت)، مقال بعنوان (مرجع إيراني بارز: أينشتاين كان شيعياً)، منشور بتاريخ ٧ مارس/ آذار ٢٠١٤م، عبر الرابط:

https://www.alarabiya.net/ar/iran/2014/03/07/%D9%85%D8%B1%D8%AC%D8%B9-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%B2-%D8%A7%D9%8A%D9%86%D8%B4%D8%AA%D8%A7%D9%8A%D9%86-%D9%83%D8%A7%D9%86-%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D9%8A%D8%A7.html

٧. الموقع الالكتروني لسماحة السيد علي السيستاني ، عبر الرابط:
http://www.sistani.org/arabic/qa/0369/page/5

٨. مناظرة ريتشارد دوكنز مع ديباك شوبرا ، منشورة في موقع اليوتيوب.

٩. قصة د. محمد باسل الطائي مع بول دافيس منشورة في موقع اليوتيوب ، تحت عنوان: (قصة العالم الفيزيائي بول ديفيز من الإلحاد إلى الإيمان).

١٠. خطبة للدكتور عدنان ابراهيم بعنوان (بالون هلام أم كون ناطق؟) منشورة في موقعه الالكتروني ، بتاريخ ٣ نيسان / ابريل ٢٠١٢.

١١. رسالة جامعية بعنوان (قابلية التعابير البلاغية والثقافية للترجمة في ضوء دراسة تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية) ، للباحث الدكتور أحمد عبد العزيز مهيوب العباسي ، منشور في موقع (المركز الوطني للمعلومات) التابع لرئاسة الجمهورية في جمهورية اليمن ، رسالة ماجستير من جامعة العلوم الماليزية – كلية العلوم الانسانية – قسم اللغة الانجليزية ، سنة ٢٠٠٦.

١٢. الموقع الالكتروني (روائع العلوم) عبر الرابط التالي:
http://eltawil.org/sciencewonders/?m=201602

١٣. الموقع الالكتروني للاستاذ محمد شكري الجماصي، عبر الرابط التالي:
http://www.jmasi.com/ehsa/prob/bayes.htm

١٤. مناظرة جون لينكس مع ريتشارد دوكنز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي ومترجمة الى العربي تحت عنوان: (هل دفن العلم الله).

١٥. مناظرة بين ديباك شوبرا وريتشارد دوكينز منشورة في موقع اليوتيوب العالمي.

١٦. لقاء مع مايكل روز منشور في موقع اليوتيوب تحت عنوان: (ملحد يقول كتاب دوكنز جعلني أخجل من كوني ملحدا Atheist M. Ruse says Dawkins' book is an embarrassment).

١٧. خطبة للدكتور عدنان ابراهيم بعنوان (في سبيل اخوين او ٨ ابناء عم)، منشورة في موقعه الرسمي، بتاريخ ١٣ فبراير/ شباط ٢٠١٦م.

١٨. برنامج لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، من على شاشة قناة الشارقة. كلام الدكتور فاضل السامرائي منشور في موقع اليوتيوب، عبر الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=H2eyXRwla80

المصادر الاجنبية:

1. John van Wyhe, 2011. Was Charles Darwin an atheist? The public domain review.
2. THE GOD DELUSION / Richard Dawkins / Printed and bound in Great Britain by William Clowes Ltd, Beccles, Suffolk.